

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٧٣ - ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يونيو/ يوليو ١٩٩٩م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 273 - JUN./JUL. 1999

معركة بواتييه

البابونج وطب الأعشاب

كولومبيا: تنوع الأعراق والثقافات

حوار على فراش الموت

الإعلام الإسلامي

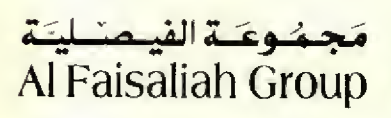
الأبعاد الاجتماعية لنقل التقنية

حرصت الفيصلية على تكريس جل جهودها وإمكاناتها لتحقيق هدف واحد. هو كيفية تطوير سبل الحياة في شتى ميادينها والإرتقاء بها إلى أفضل المستويات. ولتحقيق هذا الهدف فقد أقامت الفيصلية شراكات راسخة مع بعض من أشهر الماركات التجارية في العالم.

ففي منازلنا، نجد سوني SONY قد ساعدتنا في تعزيز أسلوب حياتنا اليومية على نحو أكثر متعة وإثارة. بينما نجد ميجاستار أكبر شركات الموسيقى في الشرق الأوسط قد منحتنا البهجة والسعادة بما تقدمه لنا من فنون أصيلة وموسيقى راقية. أما في مكاتبنا ومدارسنا ومنازلنا، فنجد أن HEWLETT PACKARD hp تواصل باستمرار تقدمها لتحقيق التميُّز النوعي في مجال أتمتة المكاتب، والتعليم والثقافة والمعرفة، والإستفادة القصوى من تقنية المعلومات بواسطة الكمبيوتر. كما تجد أن مئات الآلاف من الأسر في كافة أرجاء المملكة العربية السعودية تفضل حليب ومنتجات الصافي ALSAFI الطبيعية التي توفرها لهم أكبر وأضخم مزرعة ألبان متكاملة في العالم. وفي محلات السوبرماركت والزهور نمدكم بأرقى أنواع الورود والزهور الطبيعية والخضروات الطازجة التي يتم زراعتها بواسطة مؤسسة الفيصلية الزراعية. وفي مجال وقود السيارات نجد شركة Ethyl الرائدة عالمياً في صناعة المواد الكيميائية تقوم بانتاج المواد المضافة ذات الجودة العالية التي يتم استخدامها في تحسين وقود السيارات. كما نجد أن المستشفيات والمستوصفات الطبية تعتمد بدرجة كبيرة على كفاءة أجهزة TOSHIBA Medical Systems الطبية في أغراض التشخيص وغيرها من الأمور الطبية. فمن أجهزة التسلية وأنظمة الكمبيوتر والصناعات الكيميائية إلى منتجات الألبان الطازجة والخضروات والزهور الطبيعية، كرسنا جهودنا وسخرنا إمكاناتنا لنحقق التميُّز والهدف المنشود.

في جميع مساعيها





شارع العليا العام - مركز النمر التجاري. ص . ب ١١٤٦٠ الرياض ١١٤٦٤ المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦١٠٠٧٧ - فاكس: ٤٦٤٠٤٩٨





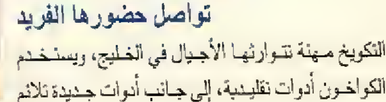
مـجلة ثقـافيـة شـهـرية ـ السنة ٢٣ـ العـدد ٢٧٣ ـ ربيع الأول ١٤٢٠هـ ـ يونيـو/ يوليـو ١٩٩٩م

ALFAISAL MAGAZINE - No273- Jun./JUL. 1999

الأبعاد الاجتماعية لنقل التقنية في الوطن العربي

٦

قاد عدم التوازن في نمو القطاعات تقنيًا في الوطن العربي إلى عدم التوازن الاقتصادي والاجتماعي، وجاء تركيز التقنيات الحديثة في القطاع الصناعي على حساب القطاع الزراعي، مما أفرز مشكلات اجتماعية خطيرة، من أبرزها الهجرة الداخلية في بعض الأقطار العربية، التي أدت إلى اختلال في التوزيع الجغرافي، فما الأبعاد الاجتماعية الأخرى لنقل التقنية في الوطن العربي؟



التكويخ: مهنة تراثية خليجية تواصل حضورها الفريد

١١

التكويخ مهنة تتوارثها الأجيال في الخليج، ويستخدم الكواخون أدوات تقليدية، إلى جانب أدوات جديدة تلائم تطور العصر، ويوجد نوعان من الكواخين. الأول يتشكل من أولئك الذين لديهم أكواخ ثابتة، أما النوع الثاني فيتكون من الكواخين الجدد الذين يتنقلون في أرجاء المناطق النائية والساحلية القريبة من مناطق سكنهم بحثًا عن مواقع مناسبة لنصب أكواخهم الجديدة. ولهذه المهنة تقاليد أخرى.

سوهو: راصدة الشمس

٩٦

المركبة الفضائية سوهو من أهم المركبات الفضائية العلمية، وقد رصد لها نحو بليون دولار أمريكي، وتتركز مهمة هذه المركبة على الشمس، إذ تشكل أهم مصدر للمعلومات في البرنامج العالمي لفيزياء الشمس والأرض، فما أهم المعلومات التي أرسلتها المركبة؟

حوار على فراش الموت

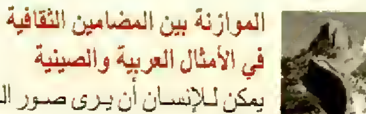


٨١

تميز الدكتور حسن ظاظا ـ رحمه الله ـ بخفة الظل، وتعدد اهتماماته الفكرية، وغزارة معلوماته في المجالات المختلفة، وتفرد في مجال الفكر اليهودي، فكان علمًا بارزًا فيه، وقد تلمذ له كثير من المتخصصين من مختلف أنحاء العالم العربي.

و«حوار على فراش الموت» الذي تنشره «الفيصل» في هذا العدد كان من آخر حواراته التي تكشف جوانب من شخصيته الموسوعية، إلى جانب فلسفته في الحياة، ومتاعب ما بعد الثمانين.

المحتويات



الموازنة بين المضامين الثقافية في الأمثال العربية والصينية

٥٥

يمكن للإنسان أن يرى صور الحياة والعادات لدى شعب من الشعوب أو أمة من الأمم من خلال رصد الأمثال الشعبية المتداولة، التي تنشأ ملتصقة بالواقع جغرافية وتاريخاً وبيئة طبيعية، بل إن الأمثال قد تعكس نفسية الأمة وتجسد قيمها ومشاعرها العاطفية. في هذا الإطار، كيف ستكون نتائج الموازنة بين الأمثال العربية والصينية؟



كولومبيا: تنوع الأعراق والثقافات

٣٣

مع أن تاريخ كولومبيا يعود إلى ١٢٤٠ قبل الميلاد، إلا أنها لم تعرف إلا بعد اكتشاف كولومبوس لأمريكا في عام ١٤٩٢م.
وتتكون كولومبيا من خمس مناطق تضم مدناً، لكل منها طبيعة مميزة، وآثار متنوعة لحضارات قديمة كانت سائدة فيها، وهي تكشف بجلاء الغنى الثقافي والحضاري لهذا البلد المتنوع الأعراق والثقافات.



الحشرات: هل تصلح مصدراً غذائياً؟

٨٩

توضح الإحصاءات وجود ٨٠٠ مليون شخص في العالم يعانون من سوء التغذية، ومن المتوقع أن يصبح تعداد سكان العالم في عام ٢٠١٠م نحو ٢ر٧ مليارات نسمة، مما يقتضي زيادة الإنتاج الغذائي بنسبة ٥٠٪، فهل تصبح الحشرات جزءاً من هذا الإنتاج؟ وما مدى تقبل الشعوب لهذا الحل؟



بواتييه: معركة كادت تغير وجه التاريخ

١٧

شهد السهل الواقع بين بواتييه وطورس الموقعة الحاسمة في تاريخ الشرق والغرب، وهي الموقعة التي عرفت في التاريخ الإسلامي بموقعة البلاط أو بلاط الشهداء لكثرة من استشهد فيها من المسلمين، فما أسباب هزيمتهم بعد أن كان النصر حليفهم؟ وكيف انقلب النصر إلى هزيمة؟

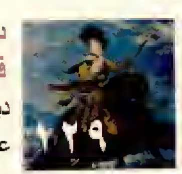


الأصداف البحرية: كنوز من متحف الطبيعة

٦٥

تتجلى في الأصداف البحرية معجزة الخلق وإبداع الخالق، فهذه الأصداف برونقها وبهائها تشكل لوحة فنية طبيعية آية من آيات الحسن والجمال.

وهذه الأصداف ليست إلا إفرازات لبعض الأحياء البحرية لتحمي بها جسمها الرخو، وتتميز بقدرتها على مقاومة عوامل التلف الطبيعية، وقد تبقى مئات السنين من غير أن تتأثر، مما جعلها من القرائن التي يهتدي بها علماء الأرض «الجيولوجيون» لتحديد عمر الطبقات الصخرية، ومعرفة أحوال البيئة التي سادت في فترة ما.

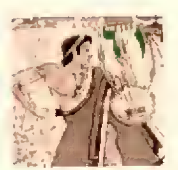


دييجو فيلازكيز:
فنان هاجسه الطبيعة والضوء والحركة

ديبجو فيلازكير من أعظم الفنانين الإسبان، عمل رساماً في البلاط الملكي، فتوزع وقته بين الأعمال الرسمية والنشاطات الفنية.
ويضم متحف برادو الإسباني مجموعة كبيرة من أعماله التي توضح مراحل تطوره الفني، وتروي لوحاته جزءاً مهماً من تاريخ إسبانيا.

البابونج: سيد في طب الأعشاب

اكتشف العالم الألماني هيوبنر وجود مركب الأزولين في زيت أزهار البابونج، وأثبتت الأبحاث العلمية فوائده العلاجية الجمة.
فقد تعددت أسماؤه وإن كان يقال: إن البابونج كلمة فارسية نقلت إلى العربية، فماذا عن مناطق زراعته ومكوناته الفعالة؟



لمسات درامية في مصر القديمة

يشك بعض الباحثين في وجود مسرح في مصر القديمة، بينما يرى آخرون أن معابد المصريين القدماء شهدت نشأة المسرحية؛ إذ كانت تقام هذه المعابد في وسط المدن، وكانت الطرق المؤدية إليها تتسم بالاتساع، حتى تستوعب المواكب الضخمة التي كانت تحشد لتعظيم الآلهة، وكان روادها يمثلون فيها الروايات القديمة والحوادث التاريخية.
ترى أين الحقيقة في هذا الموضوع؟ وهل صحيح أن كهنة معبد آمون تولوا إخراج مسرحية «أوديب»؟



من رحلة إبليس
في تراثنا الإسلامي العربي

إبليس نبع الشر، الذي لم يذكر القرآن الكريم له اسماً غير هذا الاسم، له أسماء أخرى صنعتها الأساطير، كما تم تداول أخبار عن ذريته وأحفاده، فما مصدر ذلك كله، أهو أساطير عربية ترجع إلى العصر الجاهلي، أم أنه أساطير شرقية جاءت من الهند وما جاورها؟ وهناك سيل لا ينقطع من الأسئلة عن إبليس ؛ فما الإجابة عنها؟

الفيصل

الناشر: دار الفيصل الثقافية

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

السعر الإفرادي:

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

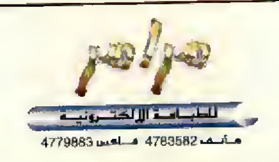
الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: **يحيى محمود بن جنيد**
مدير التحرير: **عبدالله يوسف الكويليت**

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



عمان: التراث والحضارة

أود إحاطتكم علمًا بأنني أحرص دائمًا على متابعة المواضيع الثقافية والعلمية التي تزخر بها مجلة الفيصل الغراء، وإنني جد معجب بأسلوبها الموضوعي ومادتها العلمية التي تروي ظمأ القارئ المتعطش لينابيع المعرفة.

ولقد شدني ما نشر في العدد «٢٧٠» بعنوان «الكتابات في المساجد العمانية»، وهذه انطلاقة مثمرة نحو معرفة ما تكنه حضارتنا الإسلامية من تراث نفخر به جميعًا، لكونه ليس قاصرًا على قطر دون آخر، وإنما هو مفخرة وعطاء لجميع من ينتمي لهذه الحضارة الإسلامية الخالدة. وإنني بصفتي ممن تربى وترعرع على أرض عمان الحضارة والتاريخ لأؤكد لكم أن هناك موضوعات جديرة بالاهتمام والنشر عبر صفحات مجلة «الفيصل» الغراء عن مكنون التراث والحضارة العمانيين لأنهما ضاربان بجذورهما في أعماق التاريخ، وسوف يستفيد منهما القارئ الكريم ليعطياه دفعًا إلى الأمام لمزيد من الإنجازات والتقدم لأمتنا العربية والإسلامية من مبدأ أن من له ماضيًا لاشك سيكون له حاضر واعد.

ولقد استفدت كثيرًا من موضوع «صناعة الفخار: لغة تشكيلية لها مفرداتها»، وإشارة إلى ما ذكرته سلفًا، فإن صناعة الفخار في سلطنة عمان قديمة حديثة تشتهر بها ولاية بهلاء، وتوجد مصانع متخصصة في هذه الصناعة، ومتخصصون من العمانيين.

لذا استميحكم عذرًا لاستكمال موضوع صناعة الفخار، بأن يطلّع القارئ الكريم من خلال مجلتكم المشهود لها بالنجاح عن تجربة العمانيين في هذا المجال لكي تعم الفائدة. ولا شك أنكم سوف تأخذون ملاحظاتي هذه في الحسبان، وتنشرونها عبر زاوية «رسائلكم» مع تزويدي بنسخة من ذلك العدد.

وتقبلوا اسمى تحياتي وتقديري الأخوي.

سعيد بن خميس بن محمد الخميسي

SAID AL - KHAMISI

35 HARBOR POINT # 310

BOSTON, MA 02125 - U.S.A

التحرير:

نشكر لك إطراءك على المجلة، وموضوع صناعة الفخار - كما تعلم - واسع ومتشعب، لأن لها وجودها الواضح في معظم الأقطار العربية، وإذا كان باستطاعتك تناول تطور هذه الصناعة في عمان، فإننا نرحب بنشره، كما نفيدك أن هناك استطلاعًا شاملاً عن ملامح الحياة في سلطنة عمان سوف يأخذ طريقه إلى النشر قريبًا إن شاء الله.

المجلة .. الحلم

عطفًا على اقتراحات أخينا محمد ذيب من الجزائر وأخص بالذكر الاقتراح الأول الخاص بإصدار مجلة للأطفال بعنوان «الفيصل الصغير»، فإنني - شخصيًا - أرى أن ذلك كان - ولا يزال - حلمًا، أرجو من الله تعالى أن يتحقق، ولا أعتقد أنه صعب المنال، فمجلة جديدة للأطفال سترفد المكتبة العربية - وبخاصة مكتبة الأطفال - إلى جانب مجلات الأطفال الأخرى كمجلة الجيل الجديد والشبل والرواد وسنان التي تصدر في المملكة العربية السعودية، ومثل هذه المجلة الموجهة إلى الأطفال العرب والمسلمين، لهي مجلة تستحق أن ترى النور، فلماذا لا تنطلق «الفيصل الصغير». من بلد العروبة والإسلام إلى بلاد العرب والمسلمين. أعتقد أنه حلم كثيرين من أبناء العروبة والإسلام.

جودت علي أبو بكر

مدارس دار السلام - الرياض

أعداد زائدة

أرفع قلمي لأول مرة من حلب الشهباء، لأكتب أولى رسائلي إلى أعز وأغلى مجلة على قلبي، ألا وهي «الفيصل»

لقد وددت مراسلتكم منذ فترة، لكن الظروف الدراسية الجامعية حالت دون ذلك، وأنا قارئ قديم لكم، وأيضًا أبي من قراء مجلتكم، فأنا ورثتها من أبي الذي يقرؤها منذ فترة بعيدة، تقريبًا بعد صدورها بحوالي السنتين، وهو الذي حثني على كتابة هذه الرسالة إليكم.

أنا وأبي وجميع قراء الفيصل نشكر لكم الجهود الجبارة التي تبذلونها في إخراج هذه المجلة الثقافية للعرب، وللشباب لكي تنير طريقهم وتقوم بتوعيتهم، وتنمي فيهم مواهب الكتابة.

وإن شاء الله سوف أرسل لكم بعضًا من نتاجي الأدبي، وأرجو أن تقبلوني صديقًا دائمًا للمجلة.

بهذه المناسبة أود أن أقول لكم: إنه توجد لدي أعداد زائدة من مجلة الفيصل من سنوات مختلفة، فمن يود من القراء أن أرسل له بعضًا من هذه الأعداد بالمجّان، فليراسلني على عنواني الموضح أدناه.

محمود بيرقدار

حلب - ص.ب ١٣١١٥- سورية

أين المراجع؟

اطلعت مؤخرًا على العدد ٢١٨ من مجلة الفيصل الذي وقع تحت يدي مصادفة، وقرأت أغلب المواضيع المنشورة أو بالأخص الملف الخاص باللغة العربية والحفاظ عليها.

أولاً - أنا إذ أبعث إليكم أشكر لكم في البداية جهودكم المبذولة في

سبيل الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم.
ثانيا: أفيدكم علماً أنني اطلعت على التنويه الذي تفضلتم بنشره في آخر مقالة الأستاذ أحمد حسن الزيات، والذي يفيد بأنكم على استعداد لتزويد الراغبين ببعض المراجع وهنا فإني أتقدم إليكم بطلب - إذا كان عرضكم لايزال قائماً -، وهو تزويدي ببعض المراجع التي تنقصني أو التي ترونها أنتم مناسبة أو متوافرة لديكم، لأني أبحث عن بعضها في مدينتي في مكتبتها العامة ومكتباتها الخاصة أو التجارية، لكن يا للأسف لم أعثر على شيء منها، علماً بأنني طالبة في كلية الآداب - قسم اللغة العربية - وأنا من المهتمين بهذه المواضيع، وأحب أن أطور ثقافتي، أو أن أطلع على التراث العظيم؛ لأني مؤمنة بأهميته. أتمنى ألا أكون قد أثقلت عليكم، ولكن كلي ثقة بكرمكم، وأن تلبوا طلبي. فلكم جزيل الشكر والعرفان، وإن لم يتسن لكم ذلك فلكم أيضاً جزيل الشكر، وأرجو أن يتم إبلاغي بالنتيجة، ولكني أرى نفسي رابحة في كلتا الحالتين لأني أبعث إلى هذه المجلة. وأتمنى ألا تكون رسالتي مملة، وهي الأولى، وبإذن الله لن تكون الأخيرة. متمنية أن ترسلوا لي رداً لتعلموني بالنتيجة؛ ولكم مني وافر الشكر، وتقبلوا فائق احترامي.

بثينة رشيد الإبراهيم
ص.ب (٧) - أبو كمال - سورية

التحرير:

نفيد القارئة الكريمة أن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يقدم خدماته للباحثين في الميادين المتصلة بالحضارة الإسلامية، ويمكنها مراسلة المركز على العنوان التالي: ص.ب ٥١٠٤٩ - الرياض ١١٥٤٣

مع تحديد ما تريدينه من مراجع.

اعتزاز

بكثير من الاعتزاز وصلتني هديتكم المتمثلة في نسخة من معجم الأمثال العربية. وبذلك أدركت مدى احترامكم للعلم والثقافة واحترامكم واعتزازكم بلغتنا العربية وأنتم تعرفون ما يعانيه العربي في كل مكان على الرغم من أننا كنا أسياد العالم، ماذا يبقى منا إذا استلبت منا لغتنا، كنا بالأمس في الأندلس، وأصبحنا أثراً بعد عين، ولا يمكن أن نكرر ضياع أندلس أخرى. هنا في الجزائر مازلنا نقاوم الظلم والهوان من أجل محاربة الجهل، ونحاول في كل مرة إرساء اللغة العربية.
وسوف نأخذ الدنيا ذات يوم، وسنكون نحن محور هذه الحضارة طبعاً بالعلم والإبداع.

أحمد موفقي - بناية رقم ٢٢ رقم الباب ٥ - السقيفة - حي الوسط حاسي بحبح ١٧٣٠٠ - ولاية الجلفة ١٧٠٠٠ - الجزائر

ردود سريعة

الأخ بو فرعة السعيد - ولاية سطيف - الجزائر:
سوف يصل إليك الإصدار الذي طلبته، مع بعض أعداد «الفيصل» القديمة، شاكرين لك ثقتك في مجلتك.

الأخ إسماعيل أبو الفتوح إسماعيل - مركز الشهداء - محافظة المنوفية - مصر:
نفيدكم أن هناك مجلدات تضم أعداد الفيصل من العدد الأول إلى العدد ١٨٠، قيمتها ثلاثة آلاف ريال، ومن المؤمل جمع الأعداد الباقية في مجلدات مماثلة، تسهيلاً للقراء للاطلاع على المجلة في أعدادها السابقة، وسنحاول أن نرسل إليك الأعداد التي طلبتها قريبا إن شاء الله.

الأخ علاء سالم مهران - موشا - أسيوط - مصر:
نأسف لتأخر وصول العدد الذي وعدناك به، وترقب وصوله إليك في أقرب وقت إن شاء الله، شاكرين لك إطراءك على المجلة.

الأخوان: محمد عبدالغفار علي سلامة - الكفر الجديد - مركز المنزلة - الدقهلية - مصر، أكرم محمود قنوص - دمشق - سورية - الأخت فاطمة محمد القواسمة - كلية الأندلس - عمان - الأردن:
الأبواب التي أشرتم إليها يتم النظر في إعادتها في ثوب جديد يلبي رغبات القراء الكرام ويحقق غايات المجلة في أداء رسالتها الثقافية، وستطالعون في هذا العدد «الملف الثقافي» الذي يرصد الفعاليات الثقافية على امتداد العالم، يعد تجديداً لباب «الحركة الثقافية في شهر»، كما أن المسابقة سوف تعود بأفكار جديدة وبشكل متميز، وسترصد لها جوائز قيمة أكثر بكثير مما كان مرصوداً في السابق.

الأخ عمار الجنيدي - جماعة رايات الإبداعية - عجلون - الأردن:
وصلت إلينا تحياتكم باسم جماعة «رايات» الإبداعية، وتوقع وصول بعض أعداد المجلة إليك في القريب - إن شاء الله - آملين أن تحقق هذه الجماعة الأدبية أهدافها في خدمة العمل الإبداعي والمبدعين.

الأخ باسم بن محمد ضياء صائب - دير الزور - سورية:
الكتاب الذي أشرت إليه وغيره من الكتب تخضع للتحكيم العلمي الذي يقوم به متخصصون في مجال الموضوع الذي يتناوله، ولا يمكن الحكم على صلاحية كتاب ما أو عدم صلاحيته للنشر من خلال استعراض بسيط له في أقل من صفحة.

الأبعاد الاجتماعية لنقل التقنية في الوطن العربي

نوزاد عبدالرحمن الهيتي

تأثر المجتمع العربي - شأنه في ذلك شأن أي مجتمع إنساني - بالتقنية (التكنولوجيا) المستوردة، ولا يخفي العديد من الدارسين والبحاثين العرب مخاوفهم من أبعاد هذه الآثار في سلوك الفرد العربي، وفي منظومة القيم الاجتماعية.

فالتحول الاجتماعي العربي من مجتمع شبه تكنولوجي إلى مجتمع تكنولوجي، لابد أن تواكبه مجموعة من الآثار السلبية في سلوك المجتمع وعاداته وفي موروثه الشعبي، ويمكن إيجاز أهم الانعكاسات في نقاط.

تعميق ظاهرة الاستقطاب في المجتمع العربي

يجد المتتبع للمسيرة التنموية في الوطن العربي التي استندت إلى أساس محاكاة العالم المتقدم عبر نقل التكنولوجيا الغربية، يجد مدى إسهام هذه التكنولوجيا في إحداث الاختلالات في التركيبة الاجتماعية، حيث عمقت من حدة الفجوة بين طبقتين داخل المجتمع العربي، طبقة تحاكي العالم المتقدم، وتعتنق مثله، وترتبط به في الإيفاء بمتطلباتها؛ لأنه وحده القادر على توفيرها لها، والطبقة الأخرى التي تمثل السواد الأعظم من المجتمع ازدادت فقراً وعزلة عن الطبقة الأخرى.

وعلى الرغم من النشاط التنموي المكثف في الوطن العربي خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، إلا أن مظاهر القلق الاجتماعي والاستقطاب الخطر بين هاتين الفئتين لازالت قائمة، مما يهيئ أرضية خصبة لبروز تيارات فكرية متطرفة، يميناً ويساراً، بدأنا نحس بها بصورة جلية، وندرك مكامن خطورتها في أكثر من منطقة في وطننا العربي.

ويمكن القول: إن التكنولوجيا والتنمية العربية قد قادتا إلى استقطاب اجتماعي وطبقي خطير في كل قطر



التقنية قد تساهم في إحداث اختلالات في التركيبة الاجتماعية



ارتفاع سعر النفط زاد من سعر الغاز

عربي، وسنأخذ مثالين في قطرين عربيين على سبيل الإبانة.

ففي اليمن أدخلت في منتصف عقد الستينيات تكنولوجيا مضخات المياه في منطقة وادي زبيد في الشمال، وبالنظر إلى ربحها العالي، فقد قام عدد من الوسطاء بإدخال الماكنات في مساحات كبيرة قاموا بإدارتها نظير الحصول على ٥٠٪ من عائد الأرض، ونتيجة لوفرة المياه تطوّر الإنتاج الزراعي، فخلال الفترة من عام ١٩٦٥إلى عام ١٩٧٥م ازدادت الكثافة المحصولية من ٨٢٪ إلى ١٢٥٪، وازداد المحصول لكل هكتار بنسبة ٤٣٪. ولكن هذا التطور كان مقتصراً على الأقلية، وحرم السواد الأعظم من سكان الوادي منه، واستفاد من التكنولوجيا الوسطاء، وأصحاب المزارع الكبيرة الذين امتلكوا هذه المضخات، وكان الحصاد نمطاً غير متكافئ للنمو(١).

أما في مصر، فتشير إحدى الدراسات إلى أن الحكومة قد سعت خلال السبعينيات إلى إدخال المكننة الزراعية، ورفع عدد الجرارات المستوردة سنويًا من متوسط (١٢٠٠) جرار خلال الفترة من عام ١٩٦٦م إلى عام ١٩٧٣م إلى نحو (٦٠٠٠) جرار عام ١٩٧٧م، وكانت نسبة الجرارات المملوكة فردياً إلى المملوكة من قبل التعاونيين (٤ - ١)، وطبيعي فإن الجرارات العائدة للأفراد كانت تؤجر إلى صغار الفلاحين من أصحاب الملكيات الكبيرة، وكان محصلة ذلك زيادة حدة الاستقطاب الطبقي داخل الريف والمجتمع المصري(٢). وما يقال عن التجربة اليمنية والمصرية ينطبق على تجارب أغلب الأقطار العربية.

الاختلال في التوزيع الجغرافي للسكان

لقد ركز عدد من الأقطار العربية في نقلها للتكنولوجيا على القطاع الصناعي أكثر من القطاع الزراعي، فقامت بإنشاء المشاريع الصناعية على حساب المشاريع الزراعية، وقاد هذا

عدم التوازن في نمو القطاعات تقنياً انعكس على عدم التوازن الاقتصادي والاجتماعي الشامل

الشركات الكبرى توجد أنماطًا استهلاكية جديدة تطيح بالقيم والأخلاق

إلى إحداث حالة عدم توازن في نمو القطاعات تكنولوجيًا، وقد انعكس ذلك أيضًا على عدم التوازن الاقتصادي والاجتماعي الشامل، مما أفرز مشكلات اجتماعية خطيرة، منها على سبيل المثال الهجرة الداخلية التي أدت إلى اختلال في التوزيع الجغرافي للسكان في الوطن العربي، حيث ارتفعت نسبة سكان الحضر من ٢ر٤٤٪ عام ١٩٧٠م إلى ٥٨٪ عام ١٩٩٦م بالنسبة إلى عموم الأقطار العربية(٣).

وقد أدى استمرار زيادة سكان الحضر إلى تكدّس السكان في المدن الكبيرة، حيث أصبحت عشرات المدن العربية في عداد المدن المليونية، وهذا بحد ذاته يشكل ظاهرة غير محمودة، إذ تقود إلى اضطرابات نفسية (سيكولوجية) وعصبية، تتبعها زيادة في معدلات الجريمة، وارتباط ذلك بمعدلات البطالة، وكثرة فرص الاختلاف في المجتمع الواحد، بل بين الأسرة الواحدة، أو ما يتبع ذلك من شعور بالفردية والعزلة، وما يلزم ذلك من تفشي التحلل وعدم المبالاة وتسكع الشباب والنساء، وانعدام الوازع الديني والأخلاقي وانقلاب في منظومة القيم الاجتماعية، وتفشي الكثير من الأمراض الاجتماعية(٤).

ومثال على الآثار الاجتماعية التي يصعب تصحيحها ما جرى بحثه في أواسط الخمسينيات عن أبدال النفط الأبيض الذي كان يمثل الوقود التقليدي للاستعمال المنزلي في مصر، وكان الخيار هو نشر استخدام الغاز الذي بدأ إنتاجه وافرًا مع تطوير قدرات المصافي النفطية، وإقامة صناعة المواقد والأفران التي تستخدمه، والأسطوانات التي يعبأ فيها، وضمن هذا المسار قامت الدولة بدعم كلفة الغاز لتشجيع انتشار استخدامه، ولكن ما حدث كان أمرًا محيرًا، فقد التهمت المدن كل ما هو متاح من موارد هذا الوقود البديل، وخصوصا مع تصاعد هذا الاستخدام في المناطق الحضرية والريفية كافة.

ومع أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات، ونتيجة لارتفاع النفط ومشتقاته، ارتفع سعر الغاز الذي أصبح القسم الأعظم منه يستورد من الخارج، وذلك لعجز الموارد المحلية عن مواجهة الطلب المتزايد، وأصبح العبء المالي في دعم هذا الوقود الذي



القنوات الفضائية تحقق أنماطًا استهلاكية جديدة



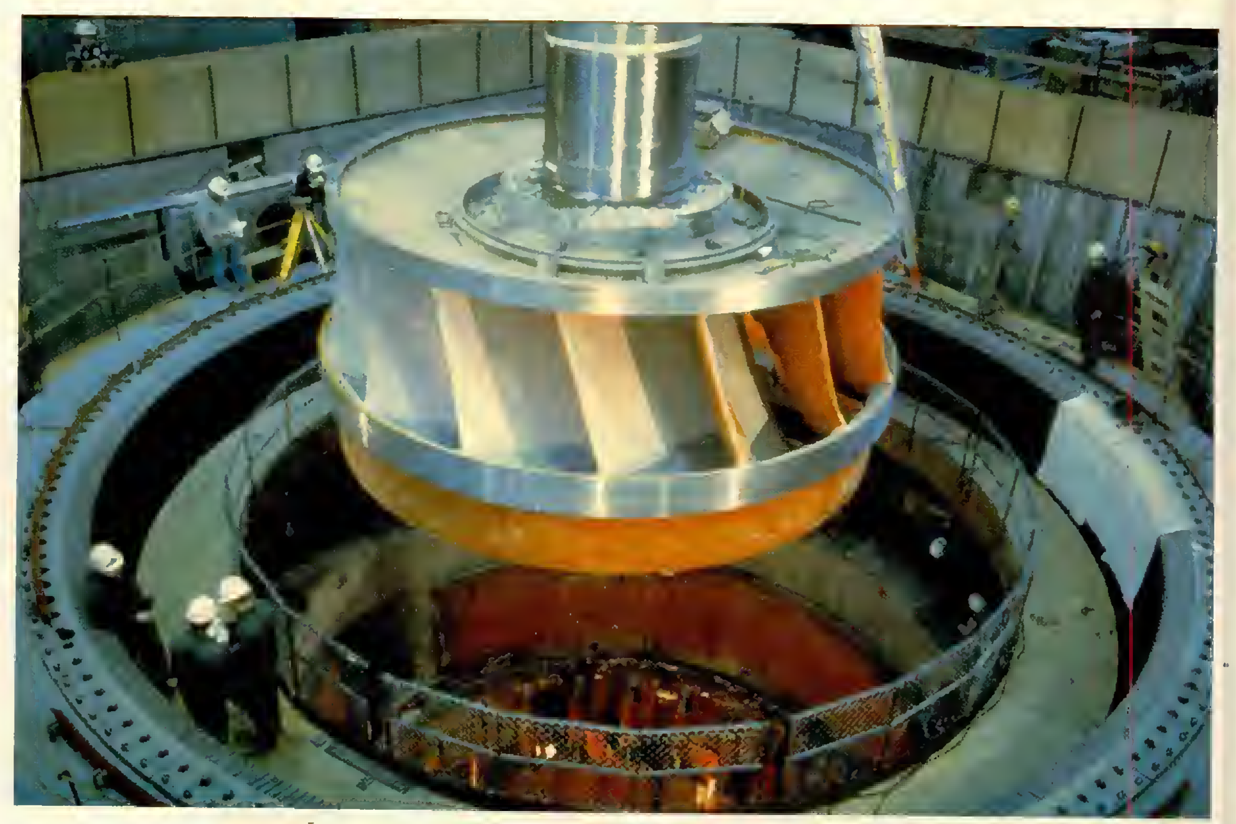
تحقيق التوازن بين البيئة والموارد تحدٍ يواجه العالم العربي

لا مناص منه بعد كل هذه السنين عبئاً غير محتمل. وكان من المستحيل عملياً تحويل نمط هذا الاستخدام على هذا المستوى الاجتماعي الشاسع إلى أبدال أخرى من الوقود، بل إن هذه الأبدال لم تكن متوافرة. وفي الوقت نفسه اكتشفت مكامن غنية من الغاز الطبيعي قريبا من المراكز الحضرية التي تستهلك أكبر كمية من الوقود، فكان أن أقيمت شبكة إمداد ضخمة من الأنابيب في المدن الكبرى، وتطلب الأمر تعديل المواقد المستخدمة كافة، والاستغناء عن كمية هائلة من أسطوانات الغاز(٥).

الاستهلاك وتوسيعه

يوجد نمط خاص من السيطرة المباشرة التي تتمتع بها الشركات المتعددة الجنسية TNCS يمكنها من التلاعب بالأوضاع الثقافية للقطر المستورد للتكنولوجيا، ويمكن أن نطلق عليه بالسيطرة عن طريق التحكم في سيكولوجية الاستهلاك. ولا تقتصر هذه الشركات على أساليب خلق نطاق الاستهلاك وتوسيعه، فقد تطور لهذه الغاية تخصص كامل من البحوث في ميدان التلاعب بتكنولوجيا التلاعب بسيكولوجية الاستهلاك، تمكن من مواءمة الطلب لخصائص المنتوج المراد تسويقه، وكمحصلة لذلك استطاعت هذه الشركات - عن طريق وسائل الإعلام - أن تخلق طلباً ليست هناك حاجة إلى إشباعه(٦).

فبنظرة عميقة للإعلانات في القنوات الفضائية العالمية والعربية نرى بوضوح عملية ناجحة لتوفير طلب من دون الحاجة إلى إشباع في سوق لم تعد لها نظرية، ولم يبق لها قانون. وهذه المسألة بحد ذاتها تحمل بين ثناياها أساليب للتفكير والقيم والسلوك - تطورت في الدول الرأسمالية المتقدمة، وصدرت إلى الأقطار العربية بغض النظر عن



المشروعات الصناعية في بعض الدول العربية قامت على حساب المشروعات الزراعية

طابعها الإنساني لشيوع قبولها اجتماعيًا، ففي الأقطار العربية تتبنى الفئة الغنية، وهم القلّة في المجتمع، أنماط الاستهلاك والسلوك الشائع في الدول الرأسمالية المتقدمة، فتدفع الطبقة الوسطى والمجتمع برمته إلى نمط استهلاكي يبدد كل الفائض الاقتصادي المتبقي بعد تحويل أرباح الشركات الأجنبية، وفوائد أقساط الديون، وهكذا يتناقص الادخار المحلي، ويتصاعد عجز الاقتصاد الوطني على الاعتماد على الذات، كما

تكدس السكان في المدن الكبيرة يقود إلى اضطرابات نفسية وزيادة في معدلات الجريمة

أن هذا التكالب الاستهلاكي يطيح بالقيم والأخلاق، ويجعل الطريق سالكة أمام الفساد الإداري والخلقي، وما إلى ذلك من الأمراض الاجتماعية الفتاكة.

والسؤال الذي يطرح نفسه ونحن على أعتاب الألف الثالث الميلادي:

إذا كان العلم والتكنولوجيا المستوردة قد قادت إلى تغريب المواطن العربي عن حضارته، فهل سيترك الأمر لجهات أجنبية لا سلطان لها علينا أن ترسم لنا نمط حياتنا، وتشكله طبقًا لمصالحها من خلال سيطرتها على السوق الكوني للتكنولوجيا؟

فالخلاص من هذا المزلق يتجسد في قدرتنا على إقامة نظام اجتماعي متكامل تختفي فيه معالم الاغتراب الحضاري، ونصبح فيه القيمين على العلم والتكنولوجيا، ونوجهها توجيهًا يخدم قيمنا الإسلامية، وموروثنا الحضاري في تحقيق التوازن بين البيئة والموارد، وتوجيهها لحياة سعيدة، ملؤها العدل، وتتحرر فيها القدرات الخلاقة للمواطن العربي ليختار ما ينفعه، وليبتكر في خلق ما يحتاج إليه ولا يجده في العالم من حوله.

المراجع:

١- علي الدين هلال، الأبعاد السياسية والاجتماعية لنقل التكنولوجيا في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٧)، مارس/آذار ١٩٨٢م، ص١١٣.
٢- سلمان رشيد سلمان، العلم والتكنولوجيا والتنمية البديلة، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦م، ص١٣٣.
٣- صندوق النقد العربي وآخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٧م، أبو ظبي، سبتمبر/ أيلول ١٩٩٧م، ص٢٥٣.
٤ - زغلول غالب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، مؤسسة الخليج العربي للنشر والطباعة، الدوحة، ١٩٨٩م، ص١١١.
٥ - أسامة الخولي، إدارة عمليات التغير التقني في العالم الثالث، مجلة المال والصناعة، العدد التاسع، ١٩٨٨م، ص٦١.
٦- نورمان كلارك، الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا، ترجمة محمد رضا محرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

التكويخ.. مهنة تراثية خليجية تواصل حضورها الفريد

كامل يوسف حسين

يعد التكويخ من المهن التراثية الخليجية البارزة التي ترتبط برياضة الصيد بالجوارح، وبالصقور بصفة خاصة، وهي تواصل حضورها، متجاوزة العديد من التحديات التي تهدد باندثارها، وتتم في عصر التقنية والأقمار الصناعية استنادًا إلى المهارات الأساسية التي طالما اعتمد عليها الآباء والأجداد، وإن أضاف من يمارسون التكويخ اليوم بعض العناصر المساعدة والأدوات الحديثة، التي تمكنهم من تحقيق النجاح في مهنتهم التي لا تفتقر إلى الصعوبة ولا التعقيد.



همة لبدء الرحلة

ومن الناحية اللغوية، فإن الكوخ في لهجات أبناء الخليج هو قفص الطير، وبخاصة طير القنص، كالصقر والشاهين، والحر، والكوخة فخ لصيد الصقر، والكواخ هو صياد الصقور ومدربها على القنص والصيد، والجمع كواويخ، والتكويخ ـ تقليديًا ـ قيام الكواخ بحفر حفرة في الأرض يختفي فيها، ويضع شيئًا من القش والزرع على رأسه ليتم اختفاؤه، ثم يأتي بحبارى ميتة

مربوطة بحبل من ساقها، ويرميها إلى مسافة قصيرة، فإذا رآها الصقر، انقض عليها وحاول افتراسها، وهنا يبادر الكوّاخ إلى جذب الحباري نحوه على مهل، فيتبعها الصقر إلى أن يصير في متناول يده، فيقبض عليه، ويصيده بهذه الصورة.

ولو أننا تجاوزنا هذه الإطلالة اللغوية والصورة التقليدية للتكويخ التي تربط بها، لانفتح أمامنا الفضاء الرحب لعالم مهنة التكويخ التراثية، ولتعيّن علينا أن نواجه محاولة تحديد بُعدين أساسيين متعلقين بالتكويخ، هما الزمان والمكان.

في انتظار نجم سهيل

ومن حيث الزمان، فإن بعضهم يتصور أن التكويخ مرتبط بالشهور الأخيرة للعام، ولكن وفقاً للتقاليد الخليجية العريقة في التكويخ، فإن موسمه يبدأ في الحقيقة في وقت مبكر، وبالتحديد في أوائل شهر آب / أغسطس من كل عام، حيث يترقب الكواخون ظهور نجم سهيل، ليبدأ بعد ذلك الحساب الدقيق، حتى بلوغ شهر أيلول/ سبتمبر، حيث يبدأ الاستنفار لموسم التكويخ.

أما من حيث البعد الثاني لعملية التكويخ، وهو المكان، فلابد لنا من ملاحظة أن الصقور تصاد خلال موسم هجرتها في الخريف من المناطق الباردة في الشمال إلى الجنوب. وفي الخريف نجد أن شبه الجزيرة العربية تقدم طريقين أساسيين لجميع الطيور المنطلقة من المنطقة ذات الاتساع الهائل الممتدة من جنوب شرق أوربا إلى روسيا وآسيا الوسطى:

الطريق الأول يشكل حزامًا يمتد من البوسفور إلى الساحل الشرقي للمتوسط نزولاً إلى الخط الذي يمتد من بداية وادي الصدع الأعظم في سورية ولبنان عبر الأردن فجبال الحجاز والبحر الأحمر.

أما الطريق الثاني فيمتد من جبال القوقاز، ويعبر جبال كردستان نزولاً إلى سهول العراق ومن ثم الخليج.

وخلال شهر أيلول / سبتمبر حتى منتصف تشرين الثاني / نوفمبر تتحول الأراضي التي يمتد عبرها هذان الطريقان إلى جنة لهواة مراقبة الطيور، وأيضاً إلى ساحة رحبة لنشاط الكوّاخين. وبينما تنطلق ملايين الطيور، عن هذين الطريقين هاربة من برد الشتاء إلى دفء الجنوب، ترافقها ألوف من الجوارح، بينها النسور والصقور والشواهين والبزاة التي تنقض على



أجيال جديدة من أبناء الخليج تبذل جهودها في تدريب الصقور على القنص



لحظة الانطلاق

طرائدها لتبطش بها في استمرارية لا نهاية لها لدراما البقاء، التي تتخذ من الطبيعة مسرحاً لها.

وقد تبدو الأساليب التي يتبعها الكواّخون الخليجيون والأدوات التي يوظفونها بسيطة، وربما غير فعالة، في مواجهة المهمة الصعبة التي يتعين إنجازها، ولكن استمرار التكويخ عبر أجيال بكاملها، وتطوير هذه الأساليب والأدوات يؤكدان أنّ النجاح كان حليف الكواخين الخليجيين على نحو يتجاوز ما يتصوره الكثيرون.

أدوات التكويخ

ولكن ما هي الأدوات التقليدية التي درج الكواخون الخليجيون على استخدامها؟

من المؤكد أن هذه الأدوات عديدة، ومتنوعة، ولكن يبرز من بينها بصفة خاصة ما يلي:

الحمامة: يقوم الكواّخون باستخدام إطار خفيف تحاط فيه نحو اثنتي عشرة

كامل يوسف حسين



القنص ـ شأن التكويخ ـ أفضل أوقاته في الصباح الباكر أو قبيل الغروب

أنشوطة مفتوحة، ويثبت في ظهر الحمامة، وقد يستخدم القطا كذلك، وإذا فتك الصقر الحر بالحمامة أو حتى لمسها خلال انقضاضه عليها فإنه سوف يشتبك مع الأنشوطات، التي طورت مؤخراً إلى شباك صغيرة تصنع لهذا الغرض، وعلى الرغم من أنه سيكون بمقدور الصقر التحليق حتى في هذا الوضع، فإن الشعور بالغضب والإحباط والضيق سيدفعه للهبوط على الأرض. وهنا يتاح للكوّاخ إلقاء عباءة أو غترة عليه والإمساك به.

البزوار: غالباً ما يتم الاعتماد على باشق تربط به مجموعة من الأنشوطات وتغطى بالريش، وعندما يلقيه الكوّاخ عاليا في الهواء، فإنه يدور مرتبطاً في دوائر محاولاً الارتطام بأي شيء حوله، وقد يهبط مرتطماً بالأرض، وهذا المشهد قد يبدو للصقر الحر كأنه انقضاض للباشق على فريسة فيهبط لانتزاعها منه مما يؤدي إلى وقوعه في الأنشوطات، ويتيح للكوّاخ الإمساك به.

الشبكة: تعد من أقدم الوسائل التي لجأ إليها الكوّاخون الخليجيون في اصطياد الصقور، وقد برهنت على قدرتها على تحقيق الهدف منها.

الكوخة: إن الكوخة ـ من خلال الصبر والبراعة ـ قد مكنت العديد من الكوّاخين من الإمساك بالصقور المنشودة خلافاً لما يتصوره الكثيرون.

ولكن ما جوهر عملية التكويخ كما عرفتها أجيال من الكواخين الخليجيين؟

انقسم الكواخون الخليجيون، تقليدياً قسمين: القسم الأول يضم الكواخين الذين توجد لديهم أكواخ من مواسم سابقة، وهم في بداية الموسم يمضون إلى مواقع تلك الأكواخ لصيانتها وإصلاحها وتنظيفها وإعدادها للموسم الجديد. أما القسم الثاني فيضم الكواخين الجدد الذين يقومون بالتنقل والتجوال في أرجاء المناطق النائية والساحلية القريبة من مناطق سكنهم للبحث عن مواقع ملائمة لنصب أكواخهم الجديدة.

شروط لا بد منها

وهناك عدة شروط جرى العرف لدى الكواخين الخليجيين، ومنها:

ـ أن يكون موقع الكوخ متوسطاً في مساحة واسعة ومنبسطة من الأرض، تجمع بين ساحل بحري قريب ومساحة بحرية فسيحة، حيث غالباً ما تقطع الصقور مسافات طويلة فوق الأرض لتستقر على البر من أجل الدفء والراحة.

ـ يُراعى أن تكون المساحة المختارة مترامية الأطراف، بحيث تستوعب كل مرافق الكوخ وأدواته ومعداته وتوابعه.

ـ لابد من أن يكون الكوخ في موقع يطل على ما سواه، لكي يتمكن الكواخ من مسح

يضع الكواخون البرقع على رأس الصقر وعينيه حتى لا يموت قهراً



الصقر والحبارى والصقار ثالوث يلتقي بعد التكويخ الناجح

المناطق المجاورة، ورصد اقتراب الصقور من دون أن يعوق مجال رؤيته شيء من حواجز أو خلافها.

وبعد اختيار الموقع يبدأ الكواخ ببناء كوخه بحفر الأرض بعمق متر واحد على الأقل، وبعرض مترين على وجه التقريب، ويبني أطراف الحفر بالأحجار أو الطابوق، ويعد السقف على شكل قبة، ويخصص في أحد الأطراف باب للدخول والخروج يغلق بالخيش أو بجريد النخيل، ويغطي السقف بالجريد أو بالأشجار البرية أو العشب، ويراعى توفير العديد من الشبابيك الصغيرة التي يفتحها الكواخون في أطراف السقف ليطلوا منها على ساحة الصيد.

ومن هذه الشبابيك تمتد خيوط أدوات الصيد العديدة من شباك وطيور لاجتذاب الفرائس من الجهات الأربع.

وعندما يوفق الكواخ في اجتذاب صقر باستخدام البزوار أو الحمامة أو القطا أو الحبارى أو الشباك فإنه يبادر بالإمساك بالصقر مع مراعاة عدم الإضرار به أو التسبب في كسر منقاره أو جناحيه أو قوادمه.

ويلاحظ أنه جرى في السنوات الأخيرة توظيف وسائل حديثة في مهنة التكويخ، ولكن مع بقاء جوهرها التراثي على ما هو عليه، حيث يتم في الوقت الحالي الاستعانة بالسيارات القوية ذات الدفع الرباعي القادرة على الانطلاق في الصحراء والجبال، كما تستخدم خيام حديثة تضم كل وسائل الإعاشة الضرورية، حيث قد يمتد موسم التكويخ إلى أربعة أشهر تامة أو يزيد.

كما يلجأ الكواخون الآن إلى وضع البرقع على رأس الصقر وعينيه عقب اصطياده حتى لا يموت قهراً إذا أدرك وقوعه في الأسر، ولمنع إقدامه على إيذاء نفسه أو الآخرين، كما يحتفظ في أقفاص واسعة يتخذ سقفها من مطاط أو قماش قوي، حتى لا يؤذي الصقر نفسه بلطم رأسه بحديد سقف قفصه.

ماذا يصيدون؟

ولكن ما الذي يفلح الكواخون في صيده خلال موسمهم الفريد؟

قد يمكن، من خلال تجربة الكواخين في دولة الإمارات العربية المتحدة، رسم صورة لما يصل إليه نظراؤهم على امتداد الخليج ، وكذلك في صحراء الشام وبعض مناطق صحراء مصر الشرقية.

فالكواخون في الإمارات يوفقون في صيد العديد من أنواع الطيور الضارية ذات القيمة المتفاوتة، ومنها صقر العسل الحوام الذي، على الرغم من ندرته، تم رصده في الفترة الممتدة من أيلول / سبتمبر إلى شباط / فبراير حول مدينة أبو ظبي. وهناك الباشق الشرقي الذي رصد في الزيد على بعد ٥٠ كيلو متراً من الشارقة، على الرغم من ندرة وجوده في شبه الجزيرة العربية، كما رصد

استمرار التكويخ عبر الأجيال يؤكد فعالية الأدوات المستخدمة على بساطتها



الصقر والطريدة والقناص

العقاب المنقط في مواقع أشجار القرم والسنجات والجزر الداخلية.

وهناك عقاب بونلي الذي يرصد في الجبال ويبتعد عنها في الفترة من تشرين الثاني/ نوفمبر إلى آذار/ مارس. ويرصد الكواخون طريدتهم المفضلة، وهي الصقر الحر في الفترة من تشرين الأول/ أكتوبر إلى نيسان/ أبريل، وهم يفلحون في صيد أعداد منه خلال ارتيادهم للمناطق شبه الصحراوية والسهوب الحصوية والمناطق المكشوفة ذات الأشجار المتناثرة.

ويرصد الكواخون الخليجيون كذلك صقر الغزال الذي توجد مجموعات صغيرة منه في السعودية، وتتجول أعداد من طيوره اليافعة في سماء شبه الجزيرة العربية في الفترة من آب/ أغسطس إلى نيسان/ أبريل.

ومن الطيور الأثيرة لدى الكواخين كذلك الشاهين، الذي يرصدونه في الفترة من أيلول/ سبتمبر إلى آذار/ مارس وفي بعض الأحيان إلى أيار/ مايو، وقد زادت أعداده في الفترة من أيلول/ سبتمبر إلى آذار/ مارس وفي بعض الأحيان إلى أيار/ مايو، وقد زادت أعداده مؤخراً بشكل ملحوظ على الرغم من كونه هدفاً أثيراً للكواخين. وهناك الصقر المغربي، الذي يصاد لتدريب هواة القنص الحديثي العهد بالصيد بالجوارح على فنونه المختلفة. وقد رصدت أعداد محدودة جداً من الصقر الخشن الساقين، وذلك خلال التشرينين/ أكتوبر ونوفمبر في جنوبي الإمارات.

ويظل سؤال مهم يفرض حضوره في نهاية المطاف: ما هو المستقبل الذي ينتظر التكويخ مهنة تراثية خليجية؟ ويرى الخبراء أنه، ما بقيت طيور قنص تهاجر في الخريف قادمة إلى الخليج من الشام وإيران وتركيا وأفغانستان وروسيا وشرق أوربا وجنوبها، فإن أجيالاً جديدة من أبناء الخليج ستواصل التمسك بتراث الأجداد في التكويخ والقنص بالصقور.

المصادر والمراجع:

1 - MARK ALLEN - FALCONARY IN ARABIA - ARBIS PUBLISHING - LONDON 1984.

٢- كولن ريتشارد سون - طيور الإمارات - المجمع الثقافي - أبو ظبي ١٩٩٢م.

٣- باتريك أوسبورن وآخرون - الحبارى - ندوة الثقافة والعلوم - دبي - د.ت.

٤- فالح حنظل - معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية - وزارة الإعلام - أبو ظبي - د.ت.

٥- سلسلة حوارات أجراها الكاتب مع عدد من الكواخين الخليجيين.

بواتيه

معركة كادت أن تغير وجه التاريخ

طارق عبدالفتاح شديد

تحاول بعض الأقلام في الغرب الآن استعادة معركة بلاط الشهداء أو (بواتيه) لذاكرة أقوامهم بمناسبة مرور ألف ومئتي عام عليها، بوصفها الموقعة التي حسمت مصير أوربا، وأنقذتها من المدّ العربي الإسلامي والوقوع تحت قبضة حكم استبدادي غريب، وتسعى هذه الأقلام إلى تجسيد ذلك الخطر المزعوم الذي كان على وشك العصف بأوربا على أيدي الجحافل الهمجية، السود البشرة، الواضعي سيوفهم قتلاً، الواطئين بحوافر بغالهم كل كائن حي يعترض طريقهم!.

وقد تبنت هذه الأقلام دعايات الحروب الصليبية نفسها التي ترسبت روحها في جميع الكتابات - تقريبًا - التي عرضت للإسلام وحضارته وعلاقته بالغرب، فهذا لودفيج شتاكه - مثلاً - في «تاريخ ألمانيا» يقدم نموذجاً للكتابات التاريخية حول هذه المعركة، فيذكر «أن العرب في عام ٧٣٢م زحفوا من إسبانيا بقيادة عبدالرحمن الغافقي، قاطعين جبال البرانس منحدرين إلى جنوب فرنسا، فهزموا الدوق أودو حاكم أكوتين، وأتوا على الأخضر واليابس بالنار والسيف البتار حتى ضواحي طورس، ولقد كانت قضية الساعة آنذاك مستقبل أوربا وخضوعها لحكم الصليب أو الهلال، أوبمعنى أدق للتربية والحياة الفكرية النصرانية الجرمانية أو للإسلام.

ولقد كان الغرب في ضائقة عظمى، بينما كانت جحافل العرب لا تحصى عددًا، ثم التقى الجمعان بين طورس وبواتييه، ودامت المعركة يومًا كاملاً، بيد أن شارل مارتل حطمهم تحطيمًا، كأنه المطرقة، هشمهم دمًا وعظمًا، وذلك بما جيّش من حشوده المدربة على القتال من عماليق النمسا والجرمان، مثل قبائل تيرنجن والأليمان وبافاريا، وممن انضم إليهم كذلك من جحافل اللومبارديين، فتصدوا للمعتدين المسلمين، الذين تبدد زحفهم أمام بسالة شارل وشعوب الفرنجة، وتحطمت شوكتهم على عتبة ذلك الحصن الحصين، وسقط عبدالرحمن صريعًا، وحوله كما يذكر، أشلاء ثلاثمئة وخمسة وسبعين ألف عربي، وأما بقية جيشه فقد ارتدت على أعقابها هربًا. هكذا نجت أوربا، وأما شارل فقد صار بطل النصرانية المبجل»(١).

هكذا تشابهت كتابات المؤرخين مع كتابات رهبان العصور الوسطى، حيث حرص أولئك الرهبان على الزعم بأنهم كانوا شاهدي عيان، مؤرخين للأحداث، متشدقين فخرًا بأنهم راحوا دائمًا يذودون عن مجد النصارى، فقتلوا من الأعداء آلافًا لا تحصى، وروّج كلا الفريقين مزاعم حول مقاصد الغزاة العرب، بدءًا من سرقة كنوز الكنيسة في طورس، أو السطو لمجرد النهب، وذلك ليضفوا على الأحداث أبعادًا توحي بأن العدو هو «هانيبال الجديد»، الذي يسعى لإبادة الحضارة الإندروجرمانية، أو مقارنتهم بقبائل الهون «أتيلا» الذي أباد شعوبًا بأسرها، وانتهاءً بأنهم يستهدفون إبادة الحضارة النصرانية، وإكراه أهلها على اعتناق دين محمد(٢).

فما حقيقة هذه المعركة التي أخضعتها الكتابات الأوربية بتعسف للأحكام المسبقة الظالمة، فآلت في أنظارهم إلى خرافة مبجلة؟!!

وقائع ودوافع

معروف أن العرب فتحوا إسبانيا، وغنموا مُلْك القوط عام ٩٢هـ/٧١١م على

يد الفاتحين العظيمين: طارق بن زياد وموسى بن نصير في عهد الوليد بن عبدالملك، وأصبحت إسبانيا من ذلك التاريخ كمصر وإفريقية ولاية من ولايات الخلافة الأموية، وتعاقب عليها الولاة من قبل الخليفة الأموي، ينظمون شؤونها، ويدفعون الغزوات الإسلامية إلى ما وراء جبال البرنيه «الممرات - البرت» فلم تمض عشرون عاماً على افتتاح الأندلس حتى استطاع العرب أن يجتاحوا ولايات فرنسا الجنوبية، وأن يبسطوا سلطانهم على سهول الرون، وأن يتقدموا بعيداً في قلب فرنسا، ولكن بسبب اضطرام إسبانيا بالفتن والمنازعات الداخلية، وإفاقة النصرانية من صدمتها الأولى لقي العرب هزيمتهم الأولى في مدينة تولوشة «تولوز» في ذي الحجة ١٠٢هـ/٧٢٢م، وقتل أميرهم السمح بن مالك، فارتدوا إلى إسبانيا بعد أن فقدوا زهرة جندهم، وعدداً من زعمائهم.

وظلت حالة الفوضى والمنازعات

وكان منوسه كثير الأطماع، شديد التعصب لبني جلدته «البربر» الذين كانوا يرون أن العرب فازوا بكل شيء في الأندلس، فدب الخلاف بين البربر والعرب، وفي سبيل ذلك كان منوسه يتفاهم مع أودو دوق أكوتين الفرنجي، ليفوز بولاية الأندلس، في حين كان شارل مارتل محافظ القصر الفرنجي على عداء مع أودو، فأعلن الحرب عليه لميله لمنوسه. ثم عقد منوسه هدنة مع الفرنجة، ولذلك أرسل عبدالرحمن الغافقي إلى الشمال جيشاً بقيادة ابن زياد للتحقق والتحوط لسلامة الولايات الشمالية، فغزا منوسه وطارده حتى قتل.

وعندما رأى أودو ما حل بحليفه، واستشعر الخطر الداهم، تحالف الفرنج والقوط في الولايات الشمالية بغية التحرك لمهاجمة المواقع الإسلامية، وكان عبدالرحمن الغافقي يتوق إلى الانتقام لمقتل السمح، وهزيمة المسلمين على أسوار تولوشة، ويتخذ العدة منذ بدأ ولايته لاجتياح

الغرب قد فتح، ولذلك قال إدوارد جيبون: «امتد خط الظفر مدى ألف ميل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار، وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا وربما إيقوسيا، فليس الراين بأمنع من النيل أو الفرات، ولعل أسطولاً عربياً كان يصل إلى مصب التيمز دون معركة بحرية، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد أكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحي والرسالة»(٤).

والحق أن فكرة فتح أوربا ونشر الإسلام فيها، ظلت تراود الخلافة الإسلامية، وبذلت لذلك جهوداً كبيرة متمثلة في حصار القسطنطينية مرتين، ولكن الفشل كان مصيرهما، الأولى سنة ٤٨هـ، والثانية سنة ٩٩هـ، ثم كانت فكرة فتح الأندلس وأوربا من الغرب، ولولا تردد الخلافة وخلاف الزعماء، لاستطاع موسى بن نصير أن ينفذ مشروعه في اختراق أوربا من المغرب إلى المشرق إلى دار الخلافة بطريق القسطنطينية.

تباطأ شارل مارتل في لقاء جيش المسلمين حتى تمتلئ أيديهم بالمغانم ويتنافسوا في الرياسة

الداخلية سائدة حتى عين عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي والياً على الأندلس في صفر عام ١١٣هـ/ نيسان/إبريل سنة ٧٣١م، وهو من التابعين من زعماء اليمانية وكبار الجند، وتولى قيادة الجيش وإمارة الأندلس بعد مقتل السمح، ثم تولاها للمرة الثانية عام ١١٣هـ، وكان جندياً عظيماً وحاكماً قديراً، وكان - بلا ريب - أعظم ولاة الأندلس وأقدرهم جميعاً، واستقبلت الأندلس به عهداً جديداً(٣).

حركة تمرد

وكانت هناك حركة تمرد في شمال إسبانيا على يد زعيم مسلم هو حاكم الولايات الشمالية، الذي تسميه الروايات العربية «منوسه»، وكان من زعماء البربر الذين دخلوا الأندلس عند الفتح مع طارق، ثم عين حاكماً لولايات البرنيه وسبتمانيا،

مملكة الفرنج كلها، فلما رأى الخطر محدقاً بالولايات الشمالية لم ير بداً من السير إلى الشمال، وجمع جيشاً أعظم ما سيره المسلمون إلى غاليس «فرنسا» منذ الفتح الإسلامي لإسبانيا.

سار عبدالرحمن الغافقي في أوائل سنة ١١٤هـ/٧٣٢م مخترقاً أراجون ونافار، ودخل فرنسا في ربيع عام ٧٣٢م، واستولى على مدينة آرل، ثم عبر نهر الجارون واستولى على ولاية أكوتين بعد معركة مع أودو على ضفاف الدرادون، وهزمه فيها هزيمة فادحة، ومزق جيشه شر ممزق. وواصل عبدالرحمن الغافقي زحفه حتى «صانص» التي تبعد عن باريس مئة ميل فقط، وبوصوله إلى ضفاف اللوار يكون نصف فرنسا الجنوبي من الشرق إلى

وتقدر الروايات الغربية عدد جيوش عبدالرحمن الغافقي في «بلاط الشهداء» بحوالي ٤٠٠ ألف مقاتل غير حشود أخرى، وهو قول مبالغ فيه، في حين تقدره الروايات العربية بسبعين أوثمانين ألفاً، وهو قول أقرب إلى الحقيقة والمعقول. وتقول بعض الروايات الكنسية إن «أودو» هو الذي استدعى الغافقي إلى فرنسا ليعاونه ضد خصمه شارل مارتل، وهذا قول مردود؛ لأن مملكة «أودو» كانت أول ما غنمه المسلمون.

عوامل الوهن

وبينما كان عبدالرحمن الغافقي يتوغل في قلب فرنسا، كان شارل مارتل بطيئاً في تحركه، وترد الرواية الإسلامية هذا البطء إلى خطة مرسومة، فتقول في ذلك: «فأجمعت الفرنج إلى ملكها الأعظم «قارله»، وهذه سمة لملوكهم، «المقصود شارل مارتل»، فقالت له: ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب، وكنا نسمع بالعرب



فكرة فتح أوربا ظلت تراود الخلافة الإسلامية مدة طويلة

وتحالفهم من جهة مطالع الشمس حتى أتوا من مغربها، واستولوا على الأندلس، وعظم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل، وقلة عدتهم، وكونهم لا دروع لهم، فقال ما معناه: الرأي عندي ألا تعترضوهم في خرجتهم هذه، وإنهم كالسيل يحمل من يصادره، وهم في إقبال أمرهم، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد، وقلوب تغني عن الدروع، ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم، ويتنافسوا في الرياسة، ويستعين بعضهم ببعض، فحينئذ تتملكون منهم بأيسر أمر»(٥).

وكان السهل الواقع بين مدينتي «بواتييه وطورس» هو مكان هذه الموقعة الحاسمة في تاريخ الشرق والغرب، والإسلام والنصرانية، وبالتحديد حول نهري كلين وفيين فرعي اللوار. وبعدما استولى المسلمون على بواتييه وكذلك طورس، وصل جيش الفرنج من دون أن يشعر به المسلمون بادئ الأمر، حيث أخطأت الطلائع الإسلامية عَدَده وعُدده، وعندما أراد الغافقي أن يقتحم اللوار لملاقاة العدو على ضفته اليمنى، فاجأه شارل مارتل بجموعه الجرارة، فارتد الغافقي من ضفاف النهر ثانية إلى السهل الواقع بين طورس وبواتييه، وعبر شارل اللوار غرب طورس، وعسكر على يسار الجيش الإسلامي.

والمتأمل في حالة المعسكر الإسلامي قبل هذه الموقعة يلاحظ أموراً كانت تفل من عزيمته وتقلل من فرص انتصاره، على الرغم من ارتفاع معنوياته، وتوافر الخبرة لدى قيادته، أولها: أن المسلمين بعدوا مسافات شاسعة جداً عن مركز الدولة الإسلامية، ويكفي أن يتصور الإنسان المسافة بين دمشق وجبل طارق، وبين جبل طارق ونهر اللوار ليعلم أن الجيوش الإسلامية المحاربة في نواحي فرنسا كانت تقوم في الواقع بمغامرة أقرب إلى قصص الأساطير منها إلى حوادث التاريخ؛ لأنها كانت في وضع لا تستطيع معه أن تحصل على إمدادات من الجند أو العتاد من مركز الخلافة. وثانيها: ما كان بين العرب وقبائل البربر التي يتكون منها معظم الجيش الإسلامي من شقاق، وهي ظاهرة تاريخية ينبغي ألا يهمل حسابها في كل ما يتصل

بتاريخ المغرب والأندلس حتى نهاية القرن الهجري الثاني. وثالثها: الغنائم الكثيرة التي جمعها المسلمون قبل لقاء الفرنج في هذه الموقعة، والتي أصبح الحفاظ عليها عبئاً على الجيش الإسلامي، وقد تنبه عبدالرحمن الغافقي لذلك، وحاول حمل الجيش على تركها، ولكنه لم يشدد في ذلك خيفة التمرد(٦).

وقد بدأ التناوش بين المعسكرين الإسلامي والفرنجي في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من تشرين الأول/أكتوبر ٧٣٢م، أواخر شعبان وأوائل رمضان ١١٤هـ، حيث نشبت معارك جزئية على مدى سبعة أيام أو ثمانية، وفي اليوم التاسع نشبت معركة عامة، كان القتال فيها شديداً، وفي اليوم التالي استمر القتال حتى بدا الإعياء على الفرنج، ولاح النصر في جانب المسلمين، ولكن الفرنج فتحوا ثغرة إلى معسكر الغنائم الإسلامي، فارتدت قوة من الفرسان كبيرة من قلب المعركة إلى ماوراء الصفوف لحماية الغنائم، فكان الخلل، وحاول عبدالرحمن إعادة النظام وتهدئة الجند، وبينما هو يجمع شتات الجند، ويقوده أصابه سهم أودى بحياته فسقط شهيداً، وعظم الذعر والاضطراب، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين، وكثر فيهم القتل، ولكنهم صمدوا حتى الليل، فافترق الجيشان دون فصل في ٢١ أكتوبر، وفي جوف الليل غادر المسلمون مراكزهم عائدين إلى قواعدهم في سبتمانيا، تاركين أسلابهم وأثقالهم للعدو، وفي فجر الغد لاحظ شارل وحلفاؤه سكون المعسكرات الإسلامية، فتقدموا إليها بحذر، فإذا هي خالية ما عدا بعض الجرحى الذين ذبحوا على الأثر، وخشي شارل الخديعة والكمين فلم يجرؤ على المطاردة، وآثر العودة بجيشه إلى الشمال.

شارل مارتل والدعايات الصليبية

ولقد عرفت هذه المعركة في التاريخ الإسلامي بموقعة البلاط أو بلاط الشهداء، لكثرة من استشهدوا فيها، وفي هذه التسمية، وفي تحفظ الرواية الإسلامية مايدل على أن المؤرخين المسلمين يقدرون خطورة هذا اللقاء الحاسم بين الإسلام والنصرانية، ويقدرون فداحة الخطب الذي نزل بالإسلام شمال بواتييه، ومما يدل على لون الموقعة الديني ما تردده الأسطورة الإسلامية من أن الأذان لبث يسمع عصوراً طويلة في بلاط الشهداء، ويرجع بعض الدارسين تحفظ المؤرخين المسلمين في هذا المقام إلى أنهم لم يريدوا أن يبسطوا القول في مصاب جلل نزل بالإسلام، ولا أن يفيضوا في تفاصيله المؤلمة في حين تفيض الرواية النصرانية في تفاصيل الموقعة إفاضة واضحة، وتشيد بظفر النصرانية، ونجاتها من الخطر الإسلامي(٧).

والحق أن الجيش الإسلامي على الرغم من خسائره المؤلمة لم يهزم في بواتييه، ولم يسحق بالمعنى الذي تفهم به الهزيمة الساحقة، ولكنه ارتد من تلقاء نفسه، بعد أن لبث في المعركة الفاصلة يقاتل حتى المساء، محتفظاً بمراكزه أمام العدو، ولم يرتد في أثناء القتال، ولم يهزم، وأسطع دليل على ذلك حذر الفرنج وإحجامهم عن مطاردة المسلمين عقب الموقعة، وتوقعهم أن يكون انسحاب المسلمين خديعة حربية(٨).

كما أن شارل مارتل والتاريخ المعاصر له آنذاك، لم يخلعا على معاركه التي خاضها ضد المسلمين بأية حال من الأحوال تلك الأهمية التي قيم بها انتصاره على قبائل الجرمان من الفريزن والسكسون والأليمان. وعندما أراد القيصر لودفيج المُتبتّل تخليد ذكرى أسلافه، فإنه أمر بأن تسجل على حوائط القصر الإمبراطوري في إنجلهايم ذكرى قهر جده شارل مارتل للجرمان من الفريزن في لوحة تاريخية. إن ذلك فحسب هو سبب إطلاق لقب «المطرقة» الذي حظي به شارل.

ومعروف أن شارل مارتل - الذي شاءت دعايات الحروب الصليبية فيما بعد أن تخلع عليه هالات التمجيد والتعظيم، وأنه «بطل النصرانية» - استولى على الممتلكات الكنسية من كنائس وأديرة وضياع وأوقاف، ونهب كنوزها لتمويل جيوشه وفرسانه الجدد، ولتزويدهم بالعتاد والسلاح، ومنحهم الإقطاعيات، ولهذا استنزلت اللعنات على قبره بأن يصير متفحماً، وعلى قبره الذي على الشيطان أن يختطفه، ويلقيه في نار السعير(٩).

كانت أوربا الكاثوليكية تحارب الأديان الأخرى بينما كان النصارى واليهود يتمتعون بالحرية الدينية في الأندلس

تاريخ الغرب البرهان العكسي!

ومن المؤسف، أنه لا يخلو أيّ كتاب تاريخي من تأكيد أهمية تلك المعركة التي زعموا أنها كانت المعركة الحاسمة التي «أنقذت الغرب النصراني» والحضارة النصرانية بقيمها ومُثُلها، مع أن النصرانية الغربية وقتئذ لم يكن لها أي وجود، حيث لم يتحدد مستقبل غرب أوربا مع النصرانية بأي حال إلا بعد عام ٧٣٢م، كما أن النصرانية لم تفتقر - على العكس من كل ذلك - إلى العنف الرهيب إبان عصور التبشير وبعد التبشير، والزعم بأن تلك المعركة الحاسمة هي التي حمت النصرانية من إبادة الإسلام لها، وأنها هي التي - كما يزعمون - قد صانت تلك الرقعة كلها - أي القارة الأوربية - من التحول إلى قارة شرقية سامية، وأنها هي التي حفظت الحضارة الأوربية، وأنقذتها من الاندثار والفناء.

وعلى النقيض من ذلك، لم يشغل أحد باله بالعواقب الحتمية للتنصير، حيث

أجبرت الشعوب أفواجًا على اعتناق النصرانية، أما الآلاف المؤلفة التي أبت التنصير فقد ذبحت، ولم يهتم أحد بهذا الخرق الوحشي لحقوق الإنسان، وما تم من اغتصابات نفسية وجسدية لمحو الديانات الذاتية الحية من رؤوس السكان الأصليين، وغرس ديانة غريبة عنهم بدلاً من دياناتهم التي شبوا عليها.

ومن من أولئك الذين احتفوا بانتصار «القيم النصرانية وكرامة الإنسان» في الصراع المفترض أنه تم بين العالمين الإسلامي والغربي النصراني تراه يدري كم دمعة ذرفتها المرأة كل يوم مستذلة مستضعفة وقد حملتها النصرانية وزر الخطيئة الأصلية، وجعلتها أم المعصية، وألزمتها الخضوع للرجل سيدها، فصارت هدفًا لصفعاته على امتداد خمسة عشر قرنًا من الدموع؟ من منهم يدري كم ألفًا من النساء حرقتهم الكنيسة أحياء على أعين الملأ فوق كومة الخشب المنصوبة للحرق بزعم أنهن ساحرات؟ بل من يستطيع حتى يومنا هذا أن يخمن عدد المؤمنين والمؤمنات ممن تعمقوا في البحث في الدين، وانتهوا إلى ما اطمأنوا إليه من يقين، فطوردوا، وأوذوا أو قتلوا؟ ويمكن القول مثل ذلك فيمن قتل من الدارسين والعلماء الذين نبهوا إلى ما في الإنجيل من اختلاف وتناقض. وكم عدد أولئك الذين ذبحوا وسفكت دماؤهم في الحروب الدينية لكونهم يدينون بدين مخالف؟ بل كم من آلاف البروتستانت الذين ذبحهم الكاثوليك، ثم كم من الآلاف انتقم البروتستانت من الكاثوليك بذبحهم ؟ وأي مدى للكره والتأليب الذي جعل النصارى يعتقدون أن اضطهادهم لليهود إنما هو أخذ الثأر لصلب عيسى؟!.

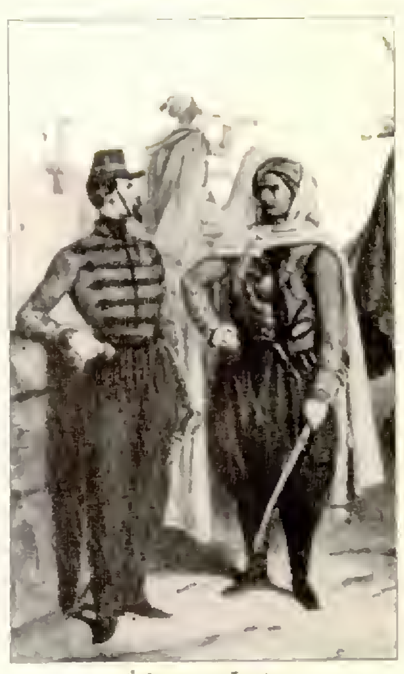
الوجه المشرق للميدالية

فلا مراء - إذن - أن تاريخ الغرب نفسه يثبت البراهين العكسية الدامغة التي تدحض التشويهات التي ألصقت بالإسلام زورًا، والتي تحفل بها كتبهم في التاريخ، حيث تسم الإسلام ظلمًا وعدوانًا بأنه يشكل خطرًا يتهدد البشرية والحضارة الإنسانية. وحسبنا مثال واحد فريد متميز إبان تلك العصور لتفنيد تلك التخرصات، والذي يمثل الوجه المشرق لميدالية الواقع الأوربي الحالكة السواد. هذا الوجه الذي أشرق على البشرية حقبة مباركة لم تكن بالقصيرة، وإنما امتدت قرابة ثمانية قرون، ونقصد الأندلس، أو إسبانيا تحت الحكم الإسلامي.

فبينما كانت أوربا الكاثوليكية وراء جبال البرانس تقضي قضاء مبرمًا على كل دين آخر يجرؤ على الظهور إلى جانب دينها الكاثوليكي «بصفته الدين الأوحد للخلاص» نرى أن النصرانية لم تستأصل ولم تضع تحت حكم المسلمين لإسبانيا. وكذلك اليهودية، التي شنت عليها الكنيسة الحرب، ومارست معها بلا انقطاع أقسى صنوف الاضطهاد، تمتعت في ظلال الحكم الإسلامي في إسبانيا أول مرة بعد الشتات بمطلق الحرية، بصفة اليهود ذميين من أهل الكتاب، إلى أن استعادت النصرانية الحكم في إسبانيا فطردت اليهود منها.

ويوضح مثال إسبانيا هذا أن تلك البلاد التي كانت قبل الحكم الإسلامي تتسم بالفقر والخراب والاستعباد، قد تحولت في ظل الحكم الإسلامي إلى إسبانيا أخرى، رفرف الرخاء والثراء على ساكنيها جميعهم، وتميزت بازدهار الحضارة والتمدن فيها وتقدمها في العلوم والفنون كافة، فصار لها السبق والريادة في أوربا، وذلك بسبب موقف الكنيسة المعادي للفكر، وأمست إسبانيا الإسلامية أسوة بها يقتدى، ومنارًا به يهتدى في شتى المجالات، واستمر ذلك ثمانمئة عام، إلى أن زحفت إسبانيا النصرانية من الخارج فقوضت كل ذلك وحطمته تحطيمًا(١٠).

وهكذا لا يستطيع أي باحث موضوعي ومتجرد أن يتفق - مطلقًا - مع أمثال إدوارد جيبون من مؤرخي الغرب، حين يردد: «أن حوادث هذه الموقعة «بلاط الشهداء» أنقذت آباءنا البيزنطيين، وجيراننا الفرنسيين من نير القرآن المدني والديني، وحفظت جلال روما، وأخرت استعباد قسطنطينية، وشدت أزر النصرانية وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والانحلال»(١١).



مواجهة تكررت كثيرًا

بل يمكن القول: إن المسلمين فقدوا في سهول بواتييه وطورس سيادة العالم بأسره، وبهذه الموقعة تغيرت مصائر العالم القديم كله، وارتد تيار الفتح الإسلامي أمام الأمم الشمالية، لأسباب معينة منها التمسك بأذيال العصبية والقومية، وطلب الدنيا متمثلاً في امتلاء الأيدي بالغنائم، والتنافس في الرياسة فيما بينهم، وغير ذلك من نقاط الضعف التي استثمرها شارل مارتل.

المراجع والهوامش:

١. زيجريد هونكه: «الله ليس كذلك»، ترجمة د. غريب محمد غريب، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٧.
٢. السابق: ص٤٨.
٣. محمد عبدالله عنان: «مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام» ص٤٦.
٤. السابق: ص٥٠ - ٥٢.
٥. السابق: ص٥٢ - ٥٧.
٦. د. حسين مؤنس: «فجر الأندلس»، الدار السعودية، جدة، ١٩٨٥م، ص٢٦٨ - ٢٧٠.
٧. محمد عبدالله عنان: مرجع سابق، ص٥٩ - ٦٧.
٨. د. عبدالرحمن البر: «رياض الصائمين»، دار الوفاء، ١٩٩٤م، ص١٤٣.
٩. زيجريد هونكه: مرجع سابق، ص٥٠.
١٠. السابق: ص٥١ - ٥٣.
١١. د. عبدالرحمن البر: مرجع سابق، ص١١٤.

التواصل

مراحله وأنواعه وأثره في العملية التعليمية

بشير إبرير

يقابل المصطلح الأجنبي Communication المصطلح العربي «التواصل»(١)، وهو، بمعناه العادي، كلام شفوي أو مكتوب يرسله إنسان إلى إنسان آخر، أو آخرين يتضمن معارف اكتسبها شخصيًا. وهو تبادل المعلومات التي تعطي أهم الأشكال التي يتم تبادلها أو التكلم بها بناء على الاستناد إلى وضع لغوي معين(٢).

فنستشف من هذا التعريف لروبير لافون R. LAFON أن التواصل هو ما يتم تبادله من أفعال كلامية، شفوية كانت أم مكتوبة، بين متخاطبَين، ولكي يتحقق هذا التبادل لابد من توافر شرط أساسي وهو: أن ينطلق المتخاطبان من وضع لغوي واحد في الإرسال والاستقبال.

وتجدر الإشارة إلى أن التواصل يعد جوهر الحياة الإنسانية، فهو يأخذ في حسبانه وسائل التواصل اللغوية وغير اللغوية، إنه مفهوم أشمل من اللغة وأوسع نطاقًا؛ بما أنه يتم بوسائل عدة، أما اللغة فإن واحدة منها تتحقق فائدتها ويتحدد معناها بالتواضع المسبق ما بين المتكلم والمخاطَب.

مراحل العملية التواصلية

تتم العملية التواصلية - انطلاقًا من المرسل في عملية الإرسال والبث، وانتهاءً بالمرسل إليه في عملية التلقي والتفكيك والتحليل والفهم - من خلال المراحل التالية:

. مرحلة تكوين الرسالة:

وهي مرحلة تخص المرسل، ففيها يقوم بتكوين الرسالة وإطلاقها إلى المرسل إليه مستحضرًا إياه في وعيه أثناء التكلم، ومحددًا النتيجة المنتظرة من الرسالة، ويمكن أن نأخذ مثالاً ليكون منطلقًا ومادة للتحليل ننطلق منه وهو: أن شخصًا ما رأى لصًا يسرق مصرفًا فاتصل بالشرطة مسرعًا للتبليغ بما رآه بقوله: «سُرِقَ المصرف (البنك)»، فأول ما يقوم به المرسِل في هذه المرحلة هو اختياره للمعاني في قوالبها الجاهزة الموجودة في لغته التي قد اعتاد أفراد مجتمعه استعمالها.

فإذا عدنا إلى ما قاله المرسل وهو جملة «سُرِقَ البنكُ»، فإننا نجده قد عبّر عن مفهوم الحدَث الذي رآه وهو «السرقة» واختار له الفعل المبني للمجهول «سُرِق»؛ لأنه لا يعرف السارق من هو؟ أو لكونه خائفًا منه مثلاً، أو يريد أن يتستر عليه.

ونجد أيضاً مفهوم «المكان»، وقد اختار له المرسل كلمة «البنك» ليعبر عنه، و«الهدف» من وراء اتصاله بالشرطة وهو القبض على اللص(٣).

وكما يختار المرسل الوحدات التي تخص المعنى، مثلما رأينا، فإنه يختار أيضًا، ما يناسب تلك المعاني من قواعد لغوية؛ فالمثال الذي أوردناه يمكن أن يأتي به المرسِل على النحو التالي:

- سرق البنكُ.
- البنكُ سُرِق.
- سرق اللصُ البنكَ.
- توجد سرقة في البنك.
- اللصوص يسرقون البنك... إلخ.

فالملاحظ لهذه الجمل يجد فروقًا بينها من حيث المعنى(٤)، ثم بعد ذلك يتم اختيار القوالب الصوتية الملائمة لإطلاق رسالته.

. مرحلة أوامر الدماغ:

يصدر الدماغ أوامره إلى أجهزة الإرسال المختلفة الموجودة في الجانب الأيمن من المخ؛ فإذا كانت الرسالة كتابية، فإن الأوامر تصدر إلى عضلات اليد لكي تقوم بالكتابة، وإذا كانت الرسالة سمعية، فإن الأوامر تصدر إلى جهاز السمع ليقوم بالسماع وفهم الأفكار التي يسمعها، وإذا كانت الرسالة مرئية فإن الأوامر تصدر إلى أجهزة الإبصار لفهم معنى الكلمات التي يقرؤها. وتعد هذه المرحلة بالغة الصعوبة والتعقيد؛ لأنها تتعلق بالعمليات العقلية العليا ووظائفها عند كلٍّ من المرسل والمرسَل إليه.

. مرحلة تحليل الرسالة وفهمها:

وهي مرحلة تخص المرسل إليه، ففيها يقوم بما يلي:

- تتلقى أذن السامع ما ينطقه المتكلم من أصوات ويحتفظ بالصورة اللفظية لما يسمعه من كلام في الذاكرة العاملة لتحليله إلى مكونات جُملية.
- يبدأ السامع تحليل هذه الألفاظ التي دخلت الذاكرة العاملة إلى مكونات جُملية في الوقت نفسه الذي تتلقى فيه الذاكرة العاملة عبر الأذن مزيدًا من ألفاظ الجملة.
- يحول كل مكون جملي إلى الفكرة التي تعبر عنها (معناها) في الوقت نفسه الذي تستمر فيه



الخطوتان السابقتان.

- يضم الفكر معاني المكونات الجملية شيئاً فشيئاً ويؤلف منها معاني مركبة لمكونات جملية أوسع، إلى أن يتم تأليف معنى الجملة كاملة من معاني أجزائها.

- يتخلص من الصورة اللفظية للجملة وينقل معناها إلى الذاكرة الدائمة(٥).

فالملاحظ لهذه الخطوات الخمس يجدها قد ركزت على الجانب السمعي للكلام المنطوق مهملة الجانب المرئي للكلام المكتوب، فكما يسمع المرسل إليه ليفهم، فإنه يقرأ ليفهم أيضاً؛ أي إن الرسالة يمكن أن تكون منطوقة أو مكتوبة وعلى هذا فإن للعين نصيباً في الفهم كالأذن.

كما يلاحظ على هذه المراحل أنها عمليات عقلية معقدة ليس باستطاعة المتلقي أن يفهم الرسالة المكتوبة أو المنطوقة، المقروءة أو المسموعة، إلا إذا كان عارفاً بالنظام اللغوي والمجتمع والظروف التي أنتجت فيها الرسالة(٦).

ويجب أن نشير إلى أنه توجد عوامل عديدة تؤثر في العملية الخاصة بسمع الرسالة وفهمها منها:

. العوامل اللغوية: كصعوبة المفردات، وتعقّد تركيب الجملة، وكثرة مقولاتها وأفكارها، والتقديم والتأخير في عناصرها، وكثرة المترادفات ومخالفة التعبير لتوقعات السامع، واللغة التي يستعملها أفراد المجتمع(٧).

. العوامل النفسية: التي تتعلق بالحالة النفسية والانفعالية لكل من المرسل والمرسل إليه في مختلف حالاتها: الغضب، أو الفرح، أو السرور.

. العوامل المتعلقة بحال المتخاطبَيْن: أمتقاربان هما الواحد من الآخر، أم متباعدان؟ وهل المرسل إليه يقظ ومنتبه لما يرسله المرسل أم إن ذلك يتم بصفة عرضية؟ وهل هو راغب في الحديث ومهتم بموضوعه؟ وهل هو يسمع جيداً أم يسمع بصعوبة؟

. العوامل التي تتعلق بالموجات الصوتية: وهل تتم بوضوح ويسر، أم يوجد ما يعطلها.

. عوامل متعلقة بمرسل الرسالة أرجل هو أم امرأة؟ أهو فتى أم فتاة؟ أهو بالغ أم طفل؟(٨).

فالعملية التواصلية معقدة تتداخل فيها عوامل لغوية واجتماعية ونفسية، وهي تتطلب نشاطاً فكرياً معقّداً من المتخاطبين، فلكي يتم التفاهم بينهما يقوم كل منهما بنشاط مركب من الافتراضات والبرهنة عليها؛ ويجب تأكيد أن هذا النشاط يكون غير ممكن، إذا كانت الرسالة واردة بنظام لغوي غير النظام اللغوي للمتخاطبين، أو إذا كان المحتوى الدلالي للرسالة لا يدخل في حقل أحدهما ومعارفه وعاداته والسياق الاجتماعي الذي يوجد فيه.

ولهذا فإن الدراسات العلمية الحديثة في ميدان التواصل أصبحت تركز اهتمامها في البحث على: مقام التواصل والإطار المرجعي للرسالة، وطبيعة الوسائل التواصلية والعلاقات بين المتخاطبين، والعوامل المختلفة التي تؤثر في ذلك وتؤدي إلى ما يسمى بـ الملكة التواصلية La Competence de Communication، التي تتمثل في «القدرة على استعمال لغة ما في مختلف الأحوال الخطابية لشتى الأغراض»(٩).

إذا كان التواصل الشفوي مقصوراً على القريب الحاضر، فإن التواصل المكتوب مطلق في الشاهد والغائب، يتيح مجالاً أوسع للإعداد الذهني، وفرصة أكثر للتفكير

أنواع التواصل

إن وسائل اللغة متعددة، وليست اللغة إلا واحدة منها، ولكن اللغة لها الأهمية القصوى في العملية التواصلية أكثر من غيرها على الرغم من أن التواصل يمكن أن يحصل بين الناس



جنس مرسل الرسالة من العوامل المؤثرة في عملية سماع الرسالة وفهمها

بوسائل أخرى غير لغوية لانعدم أهميتها.

فعندما نود التعبير عن أغراضنا وتعوزنا الكلمات وتعجز ألسنتنا عن الإبانة والإفصاح عن المعاني الكامنة فينا نستعين بوسائل أخرى ليست من اللغة لتبليغ أغراضنا وتحقيق تواصلنا مع الآخرين. وعلى هذا يمكننا تقسيم التواصل إلى: التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي.

ـ **التواصل اللغوي**: ويمكن أن نقسمه ـ هو بدوره ـ إلى التواصل اللفظي أو الشفوي والتواصل الكتابي.

أما التواصل اللفظي (الشفوي) فيمثل الجانب المنطوق من اللغة واستعمالها في مختلف مستويات التخاطب اليومي التلقائي بلا صنعة ولا تكلف، وبذلك فهو يمثل الأساس الأول في عملية التخاطب؛ فهو الأصل والمحرك الرئيس لها؛ لأن «اللغة المنطوقة هي الأصل، ولغة التحرير فرع عليها، ومن ثم كان المسموع هو المنبع الأول الذي يستقي منه الإنسان مقاييس اللغة والمادة الإفرادية...»(١٠).

ونشير إلى أن التواصل الشفوي أو المشافهة تتعدد فيها القنوات الموصلة والأحوال؛ فالمشافهة وجهاً لوجه تشكل الجوانب الصوتية وما يصاحبها من إشارات وتعابير للوجه وكل ما يتعلق بالحال الذي يتم فيه إحداث الخطاب.

كما إن المشافهة ممارسة دائمة وحية للمتكلمين في الإبانة والإفصاح عن أغراضهم المختلفة. وقد ألح علماؤنا العرب القدماء على مدى أهمية المشافهة والسماع والأسباب التي تتعلق بهما، بوصف اللغة منطوقة مسموعة قبل أن تكون مكتوبة مقروءة، وهو عامل أساسي يجب مراعاته في دراسة اللغة؛ لأن ذلك له تأثيره في الخطابات المنتجة.

فالخطاب المنطوق، بالإضافة إلى كونه عفوياً تلقائياً، يستعمل إشارات وإيماءات لا يمكن استعمالها في التواصل الكتابي؛ بل هي دائماً تفترض وجود الآخر/المرسل إليه الذي يتلقى الخطاب.

«إن لغة المشافهة في جميع الأماكن وجميع العصور هي أكثر اختزالاً وأوسع تصرفاً من لغة التحرير، أكثر اقتصاداً منها، وذلك لكثرة استعمالها ووجود القرائن الحالية في جميع أحوال الخطاب، فيميل المتكلم حينئذ إلى التخفيف ما دام المخاطب قادراً على إدراك غرضه»(١١).

ومن هنا تكون المشافهة استثماراً للغة في التعبير عن النشاطات المختلفة للحياة اليومية. وحيوية اللغة تبرز في استعمالها في التخاطب اليومي، ويجب ألا تنحصر في الاستعمالات الرسمية فقط؛ لأن ذلك يبعدها عن الواقع المعيش ويجعلها عاجزة عن التعبير عن كثير من المفاهيم في الحياة اليومية(١٢).

فالمشافهة توفر لنا عنصراً مهماً جداً في عملية التخاطب، وهو تمكيننا من مشاهدة الحال التي تصحب الخطاب، كما يمارسه المخاطِب، وهو ما لا نجده في الخطاب المكتوب.

ولهذا فإننا في التواصل التعليمي نعطي:

«الأسبقية للمشافهة ـ بالنسبة للتلاميذ ـ على القراءة والكتابة، وأسبقية الإدراك على التعبير، وعلى هذا فإنه لابد من أن يبدأ المعلم، بإيصال ذوات العناصر مشافهةً لا كتابة، وأن يميز تلاميذه بهذه المشافهة ـ المتكررة ـ بالسماع وحده بين هذا الحرف وذاك، وبين هذه الصيغة الإفرادية والتركيبية وتلك»(١٣).

وأما التواصل الكتابي(١٤) فيمثل الجانب المكتوب من اللغة، إذ تعد الكتابة المظهر الثاني للغة بعد المظهر الصوتي، وهي محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي، ومحاولة لنقل الترجمة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية يمكن قراءتها.

والكتابة ـ حسب تعريف روبيرا سكاربيت ـ هي التقاء اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة، التقاء الصوت بالخط(١٥).

واستعمال نظام الكتابة يستلزم الانتقال من القناة السمعية إلى القناة البصرية؛ أي الانتقال من الاستماع والمشافهة إلى القراءة.

وتعد الكتابة في التواصل التعليمي هي المهارة الرابعة بعد الاستماع والحديث والقراءة؛ فنقول: مهارة الكتابة أو التعبير الكتابي في مقابل مهارة التعبير الشفوي.

وهي وسيلة من وسائل التواصل الإنساني، بفضلها يتم تعرف أفكار الآخرين والتعبير عما لدى الفرد من معان ومفاهيم وأحاسيس ومشاعر، وكثيراً ما يؤثر الخطأ الكتابي في تغيير المعنى فيصبح غير واضح عند القارئ؛ لذلك فإن الكتابة الصحيحة مهارة بالغة الأهمية في العملية التعليمية، فهي أساس الثقافة، وضرورة اجتماعية لنقل الأفكار.

وإذا كان التواصل الشفوي مقصوراً على القريب الحاضر - في أغلبه - فإن التواصل المكتوب مطلق في الشاهد والغائب، يتيح مجالاً أوسع للإعداد الذهني وفرصة أكثر للتفكير من الكلام المنطوق.

ويمكن أن نبين الفرق بين التواصل المنطوق والتواصل المكتوب كما يلي:

- المجهود العضلي والعصبي المبذول في الكتابة أكثر منه في الكلام المنطوق.
- يفترض الكلام المنطوق وجود السامع الذي يتلقى الخطاب، بينما تتوجه الكتابة إلى متلق غائب، يقوم بتلقيها عن طريق عينيه قراءة.
- يمكن الكلام المنطوق من مشاهدة الحال التي تصحب الخطاب من إشارات وإيماءات وتقاسيم للوجه، وهو أمر غير ممكن في نظام الكتابة.
- الكلام المنطوق لا يتجاوز سامعه إلى غيره، بينما الكتابة لها ديمومة؛ فهي تقرأ ويتم التواصل بها في كل زمان ومكان.
- اللغة الشفوية تنتج خطابات des discours، بينما الكتابة تنتج نصوصاً des textes(١٦)، وكل منهما يحدد بمرجعية القنوات التي يستعملها؛ الخطاب محدود بالقناة النطقية بين المتكلم والسامع، ومن ثم، فإن ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أما النص فإنه يستعمل نظاماً خطياً، ومن ثم، فإن ديمومته رئيسة في الزمان والمكان.
- يوجد في كل حال للخطاب شفوياً كان أم كتابياً، معنى اجتماعي خاص يتحكم في سلوك المتخاطبين ويوجهه.

ة نتكلم في هذا النوع من التواصل عن: العلامة SigneLe، والإشارة L'Indice والرمز Le Symbole، والعلامة (المؤشر) Le Signial، والأيقون L'Icone، ونشير من خلال هذا إلى تفاصيل أخرى.

- **العلامة**: تتكون العلامة من صورة حسية يتم إدراكها بحاسة من الحواس الخمس: السمع، أو اللمس، أو البصر، أو الشم، أو الذوق، وتتأسس هذه الصورة على ما يتواضع عليه متخاطبان اثنان أو مجموعة من المتخاطبين(١٧).

فبارتباط الشكل الحسي مع ما يتواضع عليه المتخاطبون تفصح العلامة(١٨)، عن مكنونها، وتبوح بمعانيها ودلالاتها، ويتحقق الاتفاق على الوضع مع كل قناة يمكن استعمالها في إيجاد لغة ما. فيكون الشم واللمس والبصر والسمع قنوات للتخاطب العلامي، ويوجد تخاطب علامي آخر، إذا حصل اتفاق متخاطبين على معنى من المعاني بقصد التفاهم بينهما؛ كأن يضع أحدهما عطراً معيناً على أثوابه، أو منديلاً أحمر يطل من جيبه، أو كالمصافحة شداً على اليد بطول أمده أو بقصر، أو التربيت على الكتف، أو دق الجرس في مدرسة، أو إطلاق صفارات الإنذار، أو رفع الأعلام على الشواطئ أثناء المصيف(١٩).

المعلم الذي يشتغل بالنص ويعمل على تبليغه للمتعلمين عليه أن يبحث في تحليله، ومعرفة مختلف المعاني التي تؤديها العلامات والإشارات والرموز في النص

فالعلامة معطى نفسي واجتماعي وثقافي وحضاري، أصله الوضع والعرف والاصطلاح، من خلالها يمكننا معرفة العلاقة بين سعة أي نظام تواصلي وطبيعة مكوناته الدلالية. فهناك تناسب طردي بين «اعتباطية أي نظام علامي وسعة إبلاغه، وهو ما يفضي بنا إلى القول بأن مقبولية العلاقة بين الدال والمدلول في كل نظام تواصلي على أساس الاقتران الطبيعي أو الاقتران المنطقي تتناسب تناسباً عكسياً مع طاقة ذلك النظام المعتمد في الإبلاغ، فيكون معيار الاعتباط الذي هو مرآة العرفية هو النموذج الأوفى للجهاز الإبلاغي»(٢٠).

فنستشف من هذا أن الجانب الاعتباطي الذي تتضمنه العلامة هو الذي يبين لنا سعة القدرة على التبليغ، وعلى هذا فإن المرسل إليه الذي يتلقى الرسالة لابد أن يكون على دراية بنظامها لكي يستطيع تفكيكها وفهمها ومعرفة مختلف وظائفها وأغراضها.

- **الإشارة**: هي وسيلة لنقل المعنى من ميدان التخاطب باللغة إلى ميدان التخاطب الصامت بالإشارة أو بالإيماء، فيمكن أن تترجم الإيماءات وحركات اليدين فكرة أو كلمة أو مفهوماً أو حالة نفسية أو روحية مرة، وتترجم مجموعة أكثر تعقيداً من الأفكار مرة أخرى(٢١).

كما يمكن للإنسان أن يعبر بعينيه عن كثير جداً من المعاني؛ فللعين لغة بها تشرق المخيلة وتنطق الرغبات، ولذلك شكلت مصدراً إلهامياً كبيراً ومرجعية جمالية وفنية مهمة للأدباء والفنانين. ولا يتعلق الأمر باليدين والعينين فقط، بل الجسد البشري كله له القدرة على رسم كثير من التعابير بمختلف أعضائه؛ فمثلاً عندما نهز الرأس من الأمام إلى الخلف، فإن في ذلك دلالة على القبول؛ أي معناه نعم(٢٢).

ونسجل بأنه يوجد للإشارة أبعاد دلالية وتركيبية ووظيفية؛ فالعلاقة بين المجموعة الاجتماعية والإشارة هي علاقة دلالية، والعلاقة بين الإشارة والإشارات الأخرى هي علاقة تركيبية، أما العلاقة بين الإشارة ومستعمليها فهي وظيفية(٢٣).

كما أن الإشارة أنواع منها:

- **الإشارة التعويضية**: ومهمتها تعويض الكلام والحلول محله.
- **الإشارة التوضيحية**: لتوضيح الكلام وتدعيمه وشرحه.
- **الإشارة التنظيمية**: وتستعمل في تنظيم التواصل بين المتخاطبين.
- **الإشارة التعبيرية**: تستعمل للتبليغ غير اللغوي مثل تعابير الوجه.
- **الإشارة العفوية**: وهي التي تحدث بصفة تلقائية غير مقصودة ولا ترمي إلى غايات معينة(٢٤).
- **الرمز** : هو شيء مادي محسوس له طاقة تمثيلية تتعدى ماديته إلى ما يؤديه من معان ودلالات، وهو إشارة مصورة ترتبط بما تدل

عليه من أفكـار وحركـات وأشيـاء أخرى يمكن أن يشـار إليهـا(٢٥)، وتتحكم في الرمـز عـدة شروط منها:

ـ أنه تمثـيل مـرئي تصـوري اصطلاحي لا يُهتم به لذاته، وإنما بما يرمـز إليه، والفـائدة التي تنتج من ذلك.

ـ أنه قابل للتلقي بمعنى أنه يوجد شيء مثالي يمكن تلقيه بالرمز الذي يضعه موضعه.

ـ أنّه عميق الجذور اجتماعياً وإنسانياً.

ـ له وظيفة مزدوجة: بعضهـا ذاتي بما ينبثق منه من إمكانات تعبيرية، وبعضها موضوعي بما يتـوافـر للمـتلقي من قـدرة واسـتعـداد لربط العـلاقـة بين الرمــز والشــيء الـذي يرمـزَ إليه(٢٦).

للعـين لغـة تشرق بهـا المخـيلة، وتـنطق الرغبات، ولذلك شكلت مصدرًا مهمًا وكبيرًا، ومرجعية جمالية وفنية للأدباء والفنانين

ـ **العـلامـة (المؤشـر)**: يعـد (المـؤشـر) أداة تعبيـرية يمكن استثمارها فـي التواصل الإنساني مثل الـعلامة التي هي بمـنزلة إشارة اصطناعية على رأي «بريبتو»(٢٧).

ويؤدي المؤشر وظيفـته التبليغـية من الارتباط الحاصل بينه وبين من يتلقاه؛ أي إن المؤشر الذي يتبـعه «أ» لا تتحقق إفـادته إلا من خلال اللحظة الزمنية التي تتلقاه فيها «ب».

ـ **الإيقـون**: ويتميز بميـزات خاصة تمكنه من أن يكون كـالصـورة والرسم الـبيـاني، ويتـجلى موضوعـه بناء على علاقة التشـابه بينه وبين ما يشير إليه.

كـمـا أن الطريقـة المباشـرة التي من خـلالهـا يمكن أن نـعـرف الآخـريـن بشيء مـا هي أن نعرضـه عليـهم كـما هو فَيُـدركُـونـه بمخـتلف حواسهم؛ فإذا تعذر علينا القيام بتلك الطريقة فإننا نعـرض عـليـهم ذلك الشـيء، أي مـا يشـبـهـه ويماثله، وذلك ما يسمى إيقونا؛ فهو نتيجة لصنع الإنسان وتصميمه على بناء على الشيء الأول.

ويؤدي الإيقـون وظيفـته التبليغـيـة بناء على المماثـلة بين الشيء وصورته، فـالبصمـات تمثل إيقونا للذي طبعها، وكـذا الصورة الشمسية تمثل إيقونا لما هو مرسوم عليها، ومن هنا تكون المماثلة عنصـراً أسـاسـيـاً للربـط بين الشيء وإيقـونه، وكـما يكون الإيقون بصـرياً، أي يدركه المتلقي بحـاسة البصـر، فإنه يكون غـيـر بصـري؛ أي يـتم إدراكـه بحواس أخرى؛ إذ توجد أنواع تتـشابه من الضـجـيج والأصـوات والـعطور والأذواق، فغناء مطرب ما يمثل إيقونا له، ونحن بإمكانـنـا أن نتـعـرف الأشـخـاص من خـلال أصواتهم دون أن نراهم.

وتجـدر الإشـارة إلى أن حـاسـة البـصـر لهـا امتـياز ـ في هذا المجال ـ على الحـواس الأخرى؛ لأن ما ندركـه بالبصر يكون أكثر وضـوحـاً، وما يدرك بغـيـر البصـر لا يكون إدراكـه تامـا إلا إذا انتقل إلى مجال الرؤية لما لها من أهمية في عالمنا المعـاصر؛ فـمعظم الأشـياء يتم التـوجه بهـا إلى العـينين مـثل: التـزيين، والملصـقـات، والتلفـاز، والسينما؛ ففيها يتوفر عنصر الصورة، وهو ما لا يتسنى في الأذواق والروائح مثلاً(٢٨).

فالعـلامة والإشارة والرمز والمؤشـر والإيقون كلهـا وسـائل تعـبيــرية ذات إمكانات مـتـعـددة لتـرجـمة وتبـليغ أغراضـنا ومقـاصدنا بعـضنا لبعض، فـهي تخبـرنـا بمختلف الوقـائـع، وتدفعنا إلى أن نقوم بردود أفعال معينة إزاءها.

وبعد كل هذا يمكننا التساؤل:

ماذا يمكن أن يستفيد المعلم من هذه الأنظمة التـواصلية غـير اللغـوية التي تنتـمي إلى ميـدان البحث الدلالي (السيميائي)؟

يمكن للمعلم ان يستثمر هذه الأنظمـة المختلفة بالاستعـانة بحركـات يديه في توصـيل وتفهـيم مقـاصده للمـتعلمين؛ لأن اليـد تكاد تكون داخلة في كل شـيء، ومـا علينـا إلا أن ننظر حـــولنا وندقق الملاحظة، فـسنجـد لليـد مـا يقارب مـئـة دلالة، بالإضافة إلى إشارات أخرى مثل تحريك الرأس والتعبيرات المختلفة للعينين... إلخ.

فـالمعلم الـذي يشـتـغل بالنص ويـعـمل على تبليـغـه للمـتعلمين عليـه أن يبـحث في تحليله ومعرفـة مختلف المعاني التي تؤديهـا العلامات والإشارات والرموز في النص وعلاقـاتها بينها بعضـهـا مع بعـض، وبينها وبين مـسـتـعمليـها، فالإشـارة في النص لا تكسب أهمـيتـها لكونهـا أداة تبليغية للمعنى؛ وإنما بكونها أداة جمالية.

فعلى المعلم أن ينتبه إلـى ذلك ويركز في تبليغه للنصوص علـى تبيان أهمـية العلاقـات والرموز والإشارات والمعاني المخبوءة خلفهـا.

المراجع والهوامش:

١. توجـد عـدة كلمـات تقـابل Communication منهـا: الاتصـال والإيصـال والتـوصيل والـتواصل والإبلاغ والتبليغ، ونرى كلمة «تواصل» أبلغ في التعبير لكونها تجمع بين طرفي التخاطب فيتبادلان الخطاب.

2 - R. LAFON - Vocabulaire de psychopedagogie, p. 201 et 203.

٣ ـ يمكن العـودة إلى نايف خـرمـا ـ أضـواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ـ ص ٧٨ وما بعدها. وأشير إلى أن الأستاذ نايف خرما قد اختار للتمثيل على تكوين الرسالة «الجملة» التـالية: «البيت يحترق»، فرأيت من الأفضل أن أمثل بجملة أخرى وهي «سَرقَ البنكُ».

٤. أشار عبدالقاهر الجرجاني قديماً إلى قوالب لغوية متعددة مثل هذه في كتابه دلائل الإعجاز مثلاً: الفروق في الحال وفي الخبر...

٥. د. داود عبده ـ دراسات في علم اللغة النفسي ـ ص ٢٤، ٢٥، ط.١، ١٩٨٤ جامعة الكويت.

٦. يمكن العـودة إلى: بشير إبرير، تعليم القـراءة وفـهم النصوص لكبار الجزائريين المتعلمين بلغة أجنبية، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة عنابة ١٩٩٠م.

٧. المرجع نفسه، الفصل الخاص بالقراءة والفهم.

٨. يمكن العودة إلى نايف خرمـا، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٨٤ وما بعدها، وكذلك داود عبده، دراسات في علم اللغـة النفسي، ص ٢٨ وما بعدها.

٩. د. عبـدالرحمن الحاج صـالح، علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، ص ١٠ محاضرة ألقاها بمعهد تعميم اللغة العربية والتعليم المكثف للغات بجامعة عنابة ١٩٩١م.

١٠. د. عبـدالرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيـات في النهوض بمسـتوى مُدرِّسي اللـغة العربيـة، مجلة اللسانيات، عدد «٤» ص ٣٩.

١١. د. عبدالرحمن الحاج صـالح ، اللغة العـربية بين المشافهة والتحرير، ص ٢٠.

١٢. د. عبدالرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات، ص ٣٩.

١٣. المرجع نفسه، ص ٦٥، ٦٦.

١٤. يوجد كثير من الأنظمة المكتوبة التي توظف خارجاً عن كل مرجعية لسانية، مثلاً: رموز الموسيقى (نوتات الموسيقى).

15 - R. Escarpite - L'ecrit et la communication.p.17.

١٦. المرجع نفسه، ص ٣٩.

١٧. د. عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ٣٢ وما بعدها، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٧٦م.

١٨. العـلامة التي نـقصـدها هنا هي العـلامة الدلالية (السيميائية).

١٩. محمد عبدالحميد أبو العزم، المسلك اللغوي ومهارته، الجزء «١»، القاهرة ١٩٥٣م، وكذلك د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص ٤٦٣ وما بعدها، ط٣، ١٩٨٧م.

٢٠. د. عبدالسلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ٧٤.

21 - R. LAFON. Vocabulaire psychopedagogie, p. 202 et 203.

٢٢ ـ د. محـمد عبدالعزيز الحبابي، تأملات في اللغو واللغة، ص ٤٤.

٢٣. بيير غيرو، علم الإشارة السيمولوجيا، ص ١٦، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس للنشر، ط١، ١٩٨٨م.

٢٤. محمد الأخضر الصبيحي، التواصل اللغوي وأثره في تدريس اللغـة العـربيـة بالطور الثـالث من التـعليم الأساسي، ماجستير مخطوطة، جامعة قسطنطينة ١٩٨٨م، ص ١٥٩ وما بعدها.

٢٥. محمد عبدالعزيز الحبابي، تأملات في اللغو واللغة، ص ٦٠.

٢٦. د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص ٤٦٠ ومـا بعدها، وكـذلك د. عـبدالسـلام المسـدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ٦٤ وما بعدها.

٢٧. د. محمد السرغيني، محاضرات في السيمولوجيا، ص ٣٩.

٢٨. د. مـحـمد السرغيني، المرجع نفـسه، ص ٤٠ وما بعدها، وكذلك د. عبدالقـادر فيدوح، دلائلية النص الأدبي، ص ١١.

من رحلة إبليس في تراثنا الإسلامي العربي

علي أحمد علي الخطيب

لإبليس - لعنه الله - في تراثنا أساطير:
وأساطير هذا اللعين سرت في هذا التراث خلال التفسير والحديث، وبين التاريخ والأدب وغيرها، ونبادر فنقول - ابتداء:

إنه ينبغي علينا - في هذا المقام وما شابهه - أن نفرق بين «مصدر الخبر» وراويه، فإننا سوف نجد - في موضوعنا هذا - رواةً أعزاء علينا، توافرت فيهم العدالة والثقة، لا ترتقي إليهم شبهة، ولا يزنون بتهمة قد نقلوا شيئاً من هذا التراث، نقلوه كما وصل إليهم مما يمت أكثره بصلة لأهل الكتاب، وهم منه براء «أولاً»، كما أن روايتهم له لا تعني التسليم بصدقه «ثانياً» إلى ما فيها من خلط وتناقض وعدم موافقتها لصريح الكتاب الكريم والسنة الشريفة «ثالثاً». وكل ذلك مما يستحيل على هؤلاء السادة أن يكونوا مصدره الأول، ثم إن من المفسرين أعلاماً تتبعوا هذه الروايات باستقصاء، حتى أبانوا عن وهيها وهوانها وشر مصدرها، ولا على أعلامنا من الرواة الثقات بأس - بعد - إن لاذ بتراث إبليس هذا عشاقه المولعون بالأساطير، وأولئك الذين يحبون الوعظ بها.

وأساطير هذا اللعين يمكن تصنيفها في محاور تضم: أسماءه، وأسماء ذريته وغيرها، ثم ما قيل فيه من أحوال وصفات، ثم علاقة اللغة باسمه ثم نظرة أدبية في مذهبه.

أسماؤه:

«إبليس» هو العَلَم الشخصي الوارد بالكتاب العزيز لهذا المخلوق، جاء تالياً لذكر آدم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام - وقع ذكره أول ما وقع في سورة البقرة حيث قوله تعالى: *وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين*. البقرة:٣٤.

إبليس - إذاً - هو العَلَم الذي خصَّ الله - سبحانه وتعالى - به نبع الشر هذا؛ فلم يذكر له علَماً غيره، كما لم يخصه أيضاً بـ «لقب» لا ينصرف لغيره، لكنا وجدنا أساطير تصنع له أسماء أخرى ترضي زهوه وغروره، من ذلك ما وضع له من أسماء في السموات العُلى، في كل سماء منها اسمٌ يخصه، لا سند له من علم تقوم به حجة. نقل الإمام الجمل (ت:١٢٠٤هـ) عن «كشف البيان للسمرقندي» هذه الأسماء لإبليس:

«كان اسمه في سماء الدنيا: العابد، وفي السماء الثانية: الزاهد، وفي السماء الثالثة: العارف، وفي السماء الرابعة: الوليّ، وفي الخامسة: التقي، وفي السادسة: الخازن، وفي السابعة: عزازيل، وفي اللوح المحفوظ: إبليس، وهو غافل عن عاقبة أمره»(١).

وذلك في خبر طويل عن كعب الأحبار أبي إسحاق كعب بن ماتع الحميري (ت: ٣٢هـ)؛ وكعب ثقة عند أئمة المحدثين(٢) ونَقْلُهُ هذا يجعلنا نرجح أنه من قراءاته في أساطير أهل الكتاب، وسوف نتبين ذلك قريباً. فأما مصادرنا الإسلامية الخالصة فليس بها خبر صحيح، بل ولا ضعيف يشير إلى هذا الخلط العجيب بهذه الأسماء.

ثم ليس هذا كل ما هنالك من أسماء قيلت في هذا اللعين، فقد نقل الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - (ت: ٦٧١هـ) اسماً آخر له هو «الحارث» بالمثلثة و«الحارس» بالمهملة، وقال:

.. وكان اسمه بالسريانية «عزازيل» وبالعربية «الحارث»(٣).

فأما - فيما حدث به كعب الأحبار - رحمه

الله تعالى ـ فقد وجدنا له أصلاً عند اليهود بسفر «اللاويين» ٨/١٦ بصدد الذبح من أجل الخطيئة فيما كذبوا فيه على هارون على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فقالوا ـ وهو بريء مما قالوا:

.. ويُلقي هارون على التَيْسَيْن قرعتين: قرعة للرب، وقرعة لعزازيل»

قال الأستاذ العقاد ـ رحمه الله تعالى ـ ولعله كان يشرح هذا النص؛ فإنه ـ رحمه الله ـ لم يذكره:

«.. وقد كان من عادة اليهود أن يقترعوا على ضحيتين: تذبح إحداهما للرب (يهوا) وترسل الثانية محملة بالخطايا إلى عزازيل رب الأرض الخراب»(٤)... نعوذ بالله من الكفر.

ويؤكد العقاد ـ رحمه الله تعالى ـ عكوفهم على هذه الفرية وخطيئتها مرة أخرى حيث يقول:

«.. وكانت قرابين الكفّارة تقسم على التساوي بين الإله وبين عزازيل رب القفار، أو الجني الذي يهيمن على الصحراء»(٥).

ويتضح بذلك أصلُ النقل فيما رواه كعب الأحبار، وتناوله غيره من الرواة. وليست تلك أول فرية من اليهود ضد هارون عليه السلام، فقد رموه ـ لعنهم الله تعالى ـ بأنه سابك العجل الذي عبدوه(٦). وتكفينا صلة عزازيل بوثنية فرق اليهود التي تعبدت له خوفًا منه، أن تلقي به بعيدًا عن مصادرنا الإسلامية، تطرحه وتطرح معه كل ما اتصل به.

ذرية إبليس

جاء في «القرآن الكريم» في مقام حرص إبليس على إفساد البشر وضلال تابعيه ـ قوله تعالى: *أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا*. **الكهف: ٥٠**.

والذريةَ لغةً: شاملة للأبناء والأحفاد، وهذا يعني أن لإبليس زوجة أو زوجات له منهن أبناء وأحفاد، وليس في الآية الكريمة قرينة تصرف لفظ «ذريته» عن معناها الأصلي إلى الأعوان من الشياطين كما رأى بعضهم فقالوا: «ذريته أعوانه من الشياطين»(٧).

قال الإمام الشعبي ـ رحمه الله تعالى (ت:١٠٣هـ): «سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرسٌ لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: «أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذريتَهُ أولياءَ» فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم»(٨).

وليس بين أيدينا من كتاب ربنا ـ عز وجل ـ ولا من حديث الحبيب المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبرٌ يحدد لنا عدد أزواجه أو أولاده، أو أسماء هؤلاء وهؤلاء، وما ورد من ذلك ليس بين يديه حجة تقضي بصحته، ومصادرنا الإسلامية ـ بالذات ـ بريئة منه.

وقد أجمل الشيخ الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الحقيقة بناء على ما أرشد الكتاب العزيز والسنة الصحيحة فقال: «وفي الجن مسلمون وكافرون، وهم يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون»(٩).

وفي هذا المقام خاض خائضون وأدلوا إلينا بترهات عجيبة في نشأة ذريته، وما كان أبسط أن يتركونا وفهمنا الطبيعي لكيفية وجود الذرية، ولم يكن هناك داعٍ أبدًا لأن يقولوا:

ما جاء في إبليس في تراثنا أهو أساطير عربية أم شرقية وردت من الهند؟

إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذا أصل ذريته. أو إن له في فخذه اليمنى ذكرًا، وفي فخذه اليسرى فرجًا، فهو ينكح هذا بهذا، فيخرج كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانًا وشيطانة(١٠).

من أسماء الذرية

جاء في المُحَبّر: «ولد إبليس خمسة، قسم الشر بينهم: وهم:

الثُّبر، وزلفيون، ودامس، والأعور، ومسوط:

فالثُّبر صاحب المصيبات، وزلفيون الذي ينزغ بين الناس، ودامس صاحب الوسواس، والأعور صاحب الزنا، ومسوط صاحب الراية يركزها وسط السوق، يغدو مع أول من يغدو، فيطرح بين الناس الخصومات والجدال»(١١).

وزاد غير المحبر:

«الأبيض» وهو الذي يوسوس للأنبياء (كذا)، و«صخر» الذي اختلس خاتم سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، و«الهفهاف» وهو الذي يكون بالصحارى يضل الناس ويتيههم، ومنهم «الغيلان»، ونسب بعضهم إلى الهفهاف أنه صاحب الشراب، أي المغري بالخمر، و«المتقاضي» يتقاضى ابن آدم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة، و«الولهان» وهو صاحب الوسوسة في الوضوء، وبعضهم ألحق به «لاقس» من ذرية إبليس وهو كالولهان يمارس الوسوسة في الوضوء(١٢).

زاد الوضاعون سبعة خرجوا من بيضه:

المذهب: الموكل بفقهاء الناس وعلمائهم فينسيهم الذكر، ويعيقهم بالحصا، ويولعهم بكثرة الوضوء «والموكل بالنعاس» في المساجد.

و«ثوبان» وهو الموكل بالأسواق ـ أي إنه كمسوط السابق الذكر.

و«لغو» وهو الموكل بالويل والعويل وشق الجيوب ونتف الشعور ولطم الخدود...إلخ. و«مشوان» وهو الموكل بأعجاز النساء وأحلالة الرجال حتى يجمع بين الفاجرين على فجورهما.

و«مشوط» ـ ويبدو أنه تصحيف مسوط السابق ـ وهو الموكل بالهمز واللمز والنميمة والكذب والغش. و«غرور» وهو الموكل بقتل النفوس وسفك الدماء وانتهاك المحارم(١٣).

ومن أحفاده:

مرة، وهامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس(١٤).

فإذا خرجنا عن باب النسب الصريح إلى ذكر أسماء شياطين أُخر لم يذكر لهم نسب يصلهم بإبليس فسوف تجد ما لا حصر له مما اخترعه الوضاعون ومحترفو الكسب الحرام(١٥).

قال الإمام القرطبي: قال ابن عطية:

«.. وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح» زاد القرطبي:

«ولم يمر بي في هذا صحيحٌ إلا ما في كتاب مسلم من أن للصلاة شيطانًا يسمى خنزب،

وذكر الترمذي أن للوضوء شيطانًا يسمى «الولهان»(١٦).

وفات القرطبي - رحمه الله تعالى - أن الترمذي - عليه رحمة الله - (ت:٢٧٩هـ) تعقب خبر الولهان إلى أن قال: «ولا يصح في هذا الباب [أي باب الإسراف في الوضوء] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - شيء» وجاء بحاشيته سئل أبو زُرْعَة (ت:٢٦٤هـ) عن هذا الحديث [أي حديث الولهان] فقال: رفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - منكر(١٧).

وفي الحق أنه لم يرد في الحديث الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - من أسماء الشياطين إلا خنزب الذي يلبس على المصلي صلاته. رواه مسلم مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «أن عثمان بن أبي العاصي (ت:٥١هـ) أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان يقال له: خنْزَب؛فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثًا. قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني»(١٨).

وإلا اسمان آخران لشيطان وأبيه وردا بمطولات السيرة النبوية في خبر تلقاه العلماء بالقبول لصحة إسناده، في حديث بيعة العقبة الأخيرة عن «كعب بن مالك - رضي الله عنه - وهو ممن شهدها. قال: «فلما بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب، هل لكم في مذمم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم.... فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: هذا إزْبُ العقبة، هذا ابن أُزيب، اسمع، أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك»(١٩).

الضبط الحرفي والصوتي لهذه الأسماء

لاشك أنه يجب ضبط هذه الأسماء حرفيًا وصوتيًا حتى لو كانت خرافة، فذلك حق العلم، لكننا نأسف لافتقادنا أسباب الوصول إليه، نظرًا:

أ- لعدم وجود أصل مرجعي ثابت يمكن الاستناد إليه لنتبين من حقيقة حروفها وتشكيلها ضمًا وفتحًا..إلخ.

ب - كذلك؛ فإن المراجع التي بين أيدينا مما نطمئن لدقة مؤلفيها وقعت فيها هذه الأسماء جامعة بين التصحيف تارة والتحريف تارة أخرى، وقد يجتمعان في الاسم الواحد معًا، فاستحال علينا الضبط. من ذلك ما نراه في: «الثَّبْر» - عند ابن حبيب - «بتر» بمثناة فوقية في الفتوحات الإلهية.

و«زلفيون» عند ابن حبيب «زلنبور» في الفتوحات الإلهية، وتفسير القرطبي.

و«لاقس» في الفتوحات «لقوس» عند القرطبي.

و«داسم» عند القرطبي والفتوحات، هو «دامس» عند ابن حبيب.

ولقد نطرحها على مرجع آخر فنجد الخلط نفسه فيه، ونحمد الله تعالى على براءة مصادرنا الصحيحة من هذا الهراء

فما مصدر ذلك كله؟

أ- أهو أساطير عربية ترددت بين القبائل في العصر الجاهلي، كان لهذه الأسماء بذاتها شأن فيها..؟ أقول: لا، بقدر ما تصفحت من تراثنا الأدبي لهذه الحقبة، وقد كان ذلك واجبًا عليّ إذ كنت أعدّ رسالة عن «الوثنية العربية وأثرها في الأدب الجاهلي»، والجن يمثل ركنًا مهمًا في هذه الوثنية، ولم أجد - إطلاقًا - واحدًا من هذه الأسماء في كل ما راجعت، بل كانت المفاجأة المذهلة أنني لم أجد فيها أيضًا لفظ «إبليس»، بل ذُكر الشيطان والجن والمردة والغول والهامة.. وغيرها، فأما هذه الأسماء فلا وجود لها.

ولعل غيري من المثقفين قرأ غير ما قرأت ووجد ما لم أجد.

ب - أهو أساطير شرقية وردت إلينا من الهند - مثلاً - وما جاورها، أو تجاوزها إلى الشرق الأقصى؟ أستبعد ذلك أيضًا ولا أنفيه، ذلك أن الأساطير التي رددت هذه الأسماء، وقعت إبان حياة كعب الأحبار، ووهب بن منبه، ومجاهد بن جبر، وهؤلاء السادة لم تتجاوز وفاتهم العام العشرين بعد المئة الهجرية الأولى: فكعب بن ماتع الحميري (كعب الأحبار) توفي في خلافة عثمان - رضي الله عنه.

ووهب مات سنة بضع عشرة ومئة، أي قبل العشرين من المئة الثانية.

ومجاهد بن جبر الذي سمع هذه الأساطير مات سنة أربع ومئة هجرية(٢٠).

وذلك كله وقت لم تنشط فيه حركة الترجمة إلى العربية شرقًا أو غربًا بشكل يمكن أن ينسب إليه هذا البلاء، فلم يبق - أمامنا - إلا مصدران ببيئتنا العربية الإسلامية وقتذاك: أحبار أهل الكتاب والوضاعون.

ولقد تقدم لنا مصدر العلَم «عزازيل» الذي شغل مركزًا وثنيًا متقدمًا جدًا لدى الكفرة من اليهود، وعلمنا كيف خافوه وتقربوا إليه بذبائحهم(٢١)؟

ولقد نعجب أشد العجب حين لا نجد لإبليس - بهذا الاسم ذاته - وجودًا في كل أسفار العهد القديم (كتاب اليهود)، أو توراتهم المتداولة، ونقول: المتداولة حرصًا منا على احترام المنزلة، وبالرجوع إلى أبواب الأعلام من «فهرس الكتاب المقدس»(٢٢) لم نجد ذكرًا لإبليس كذلك في «إنجيل مرقس» بينما ورد اسمه في شذرات ضئيلة جدًا ومتفرقة فيما كتبه: لوقا، ويوحنا، ومتّى. وذلك يعني أن

النصارى لم يطلعوا على هذه التسمية إلا في النهاية من القرن الأول الميلادي، أو ما بعده.

وفي الحق لقد كان أحبار اليهود ولعين بالجن والسحر بشغف عجيب، وحسبنا أن نطالع في هذا الباب كتاب «اليهودي على حسب التلمود» حتى نجد ما تقشعر لهوله الأبدان من جرأة على المولى - عز وجل - ورسله صلوات الله عليهم أجمعين(٢٣).

وخاضوا - يشاركهم أحبار من النصارى - في السحر، ومارسوا أسفل أنواعه، وعلموها شرار الناس، وأذاعوا فيهم أسماء شياطين ووظائفهم، يقرون ذلك بآذان تابعيهم؛ فيبثونها في عوام الناس خيفة لهم وابتزازاً لأموالهم مدعين أن لهم عليها سلطاناً فهم - أي الجن - يفعلون ما يشاؤون بأمرهم، هؤلاء - فيما يبدو - وراء هذه الأسماء، وتأثر بها بعض شعرائهم، وكتبوا فيها على ما سيأتي.

ونعود إلى الوضاعين لنرى ما أحدثه كذبهم من إثم يكاد يبلغ حد الكفر؛ من ذلك:

١- «أدخل ذنبه في دبره فأخرج سبع بيضات» وضعه كذاب على لسان عمر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم» وفيه الأولاد السبعة. قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) في لسان الميزان: ظاهر الوضع(٢٤) ١هـ. وهو على كذبه مختلف الروايات.

٢- إذا قام العبد إلى صلاته قام معه سبعة شياطين، أحدهم يسمى: كنع والآخر يسمى كنس...إلخ.

سئل عنه ابن حجر فقال: باطل موضوع افتراه بعض الكذابين.. وليس له من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل(٢٥).

٣- حديث امرأة من الجن كانت تأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - في نساء من قومها، وهو حديث واحد تعدد مضمونه دون تغير يذكر، يصور عزم إبليس على التوبة، وجاء في «تاريخ جرجان» أنها فارعة الجنية، وفيه: أنها، في طريقها إلى الهند، رأت إبليس يصلي على صخرة. وفي «النهاية في غريب الحديث والأثر»: رأت إبليس ساجداً تسيل دموعه كسرح الجنين.. إلخ وفي الخبر تدليس عن كذابين وضعفاء، كما أن فيه منفر بن الحكم من الوضاعين(٢٦). ولهؤلاء أكثر من حبر ضم إبليس في روايتهم، وقد يسر الله - سبحانه - متابعتها فحصرتها في الموضوعات تاركاً ما اختلف في وضعه ليمكن للباحث متابعتها(٢٧). على أن أخبثها جميعا خبر مماثل لخبر الفارعة، قُدِّم للناس في كتيب أنيق الشكل يحمل عنواناً هو: «اعترافات إبليس للرسول صلى الله عليه وسلم» وهو غُفْلٌ تماماً من اسم ناشره ومطبعته؛ وجاء في مقدمته أنه من تراث محيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ) - رحمه الله تعالى - بإسناد مقتضب عن معاذ بن جبل عن ابن عباس - رضي الله عنهم، ويستطرد صاحب المقدمة فيذكر أيضاً أنه وجد بعضه مختصراً في «حلية الأولياء» ثم يقدم لخبر اعترافاته بخبر آخر رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم.

ولا شك أن صاحب المقدمة يريد أن يوحي إلى القارئ بصحة الحديث على ما في ذلك من إثم عظيم، ثم يبدو منه ذلك بقوله - في نهاية مقدمته: «ولقاء إبليس - عليه لعنة الله - مع أنبياء الله تعالى. وارد في كتب كثيرة...إلخ. ص٤، ٥، ٦.

ومتى كان ورود خبر في ألف كتاب أو تزيد دليلاً على صحته؟!

قال الإمام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) - رحمه الله تعالى - في هذا الخبر - وقد سئل عنه:

«هذا حديث مكذوب مختلق، ليس هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة، لا في الصحاح، ولا في السنن، ولا في المسانيد، ومن علم أنه كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحلّ له أن يرويه عنه، ومن قال: إنه صحيح يعلم بحاله؛ فإن أصر عوقب على ذلك. ولكن فيه كلام كثير قد جمع من أحاديث نبوية؛ فالذي كذبه واختلقه جمعه من أحاديث، بعضها كذب وبعضها صدق، فلهذا يوجد فيه كلمات متعددة صحيحة، وإن كان أصل الحديث - وهو مجيء إبليس عياناً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بحضرة أصحابه وسؤاله له - كذباً مختلقا لم ينقله أحد من علماء المسلمين»(٢٨).

فهو كذب مختلق على أي أوضاعه من نسبة سنده، أو مكان حدوثه، في المسجد، أو في بيت رجل من الأنصار، فذلك شأن الكذب ألا يبقى على نص واحد.

إبليس: اسم أم لقب؟ وهل كان له اسم قبل المعصية وآخر بعدها؟

أساطير أخرى في ذاته ومكانته:

وهي أساطير تبدو كأنها تنفخ في غروره راضية بزهوه، فمن ذلك:

أ- أن أصل خلقته من نار العزة(٢٩).

وتلك أسطورة لها من الغرور ما يتيه به هذا اللعين. وعلى أي حال ليس في القرآن الكريم ولا الصحيح من حديثه - صلى الله عليه وسلم - ذكر النار بهذا الاسم، فما في الكتاب العزيز من خلقة هذا الشرير إلا قوله تعالى: *والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم*. **الحجر**:٢٧، وقوله سبحانه: *وخلق الجانّ من مارج من نار*. **الرحمن**: ١٥.

وليس - كذلك - في الحديث الصحيح لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا حديث حسن صحيح رواه الترمذي بسنده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى (بولس) تعلوهم (نار الأنيار) يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال(٣٠).

وإلا حديث أبي هريرة رواه الإمام مالك - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»(٣١).

وإلا حديث غريب في سنده ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم مرفوعاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «الصعود جبل من نار، يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوي به كذلك منه أبداً»(٣٢)

ولا شيء في تلك الأحاديث من نار العزة خبر.

ب - وقيل: «كان خازنا على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وسلطان على الأرض»(٣٣)

وذلك من نقل الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري، وفي مسانيد بعضه مقال، على أنه لم يرد في الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - وقد برئ الإمام الطبري صراحة من مضمون بعض أخباره، فقال:

«فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»(٣٤).

ج - ومن رواية طويلة ردها ابن كثير لما فيها من إسرائيليات، تقول: «إن آدم ظل جسداً ملقى من طين أربعين سنة [في رواية قبلها: أربعين يوماً] من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه؛ فكان أشدهم فزعاً إبليس؛ فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار له صلصلة، ويقول إبليس: لأمرٍ ما خُلقت، ودخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا.. لئن سلّطت عليه لأهلكنّه»(٣٥).

وفي الخبر من المهانة ما لا يرضاه - عز وجل - لآدم، وهو - سبحانه وتعالى - القائل: لما خلقت بيدي. ص:٧٥. وإنما الصحيح في هذا الباب حديث:

«لما صور الله - تعالى - آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر إليه، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك».

د - وجعلوه القائد المغوار، وألصقوا ما قالوه بابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قاتل الجن العصاة - سكان الأرض قبل آدم، وقبل أن يستوطنها الإنس من بنيه»(٣٦) ولا دليل بين يدي ذلك.

وفي الحق أن هذه الفترة من الخلق الأول وغيرها من «الغيب» ليس لنا منها إلا ما حدّثنا به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وورد لنا عنه - صلى الله عليه وسلم - بسند صحيح.

شر البلية ما يضحك:

وإذا كنا قد انتهينا من أخبار تمجد له، وتحرق البخور لعابديه، فلننظر غيرها من أساطير يرويها رواتها الأصليون وكأنهم على مرأى منها ومسمع، قالوا:

أ- أنزل إبليس [أي بعد لعنته] مشتمل الصماء، عليه عمامة، أعور، في إحدى رجليه نعل(٣٧).

ونتساءل: لماذا لم يكن حافياً، أو أعمى..، ولماذا عمامة.. وهل يختلف الأمر لو كان حاسراً رأسه، أو لم يكن مشتمل الصماء..؟!

إن الله - عز وجل - أخبرنا عن عقوبته - بأنها كانت اللعنة والطرد من رحمته تعالى(٣٨). ولم يخبرنا - عز وجل - عن ملبسه، ولا نعلم - في ذلك - خبراً تقوم به حجة بين يدي هذا النزول. كذلك علمنا - يقيناً - أنه بمجرد أكل أبوينا من الشجرة.. *فَبَدَتْ لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة*.. **طه**:١٢١. وأنه سبحانه وتعالى أوحى إلى آدم: *فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم*. **البقرة**:٣٧. وشملت التوبة حواء لأنها كانت تابعة له(٣٩). فأما إبليس فأبى واستكبر وكان من الكافرين.

ب - وقالوا: «نزل إبليس مختصراً»(٤٠) أي: واضعاً يده على خصره، أو ممسكا بمخصره - أي عصا يتوكأ عليها. وهي صورة علي أي وجهيها تلوح بالكبر.

ج - ثم زادوا وضع هذا الحوار، بثوا فيه شيئاً من الكتاب العزيز والسنة الشريفة بأسلوب «اعترافات إبليس» نفسه التي تقدمت. قالوا: ولما أنزل قال: يارب أخرجتني من الجنة من أجل آدم، وإنني لا أقوى عليه إلا بسلطانك!.

قال [يعنون الله، تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً]: فأنت مُسلّط.

قال: زدني.

قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله.

قال: زدني.

قال: صدورهم مساكن لك، وتجري منهم مجرى الدم.

قال: زدني.

قال: أجْلِبْ عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد»(٤١).

د - وتلك طرفة لا تخلو من بهتان. قالوا: بصدد سفينة نوح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: وكان آخر من دخل السفينة الحمار، فلما دخل صدره تعلق إبليس بذنبه فلم ترفع رجلاه، فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال [أي نوح]: ادخُل وإن كان الشيطان معك.. فلما قالها دخل الشيطان»(٤٢)

لقد فات مبدع هذه الفرية أن إبليس ناجٍ من الغرق، دخل السفينة أم لم يدخلها، فقد وعده الله - سبحانه - بالحياة إلى يوم القيامة. وذلك إذ دعا الله - سبحانه - ألا يموت إلى يوم البعث فأخّر - تعالى - أجله، «قال *فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم*. **الحجر**:٣٧، ٣٨. أي إلى وقت النفخة الأولى.. نفخة الصعق، أي الموت. فإغراق الأرض لا يميته، وإذا رأى إبليس أنه لابد أن يدخل السفينة ليمارس وسوسته للمؤمنين، فإنه مستطيع الدخول دون أن يراه أحد. ففي الكتاب الكريم: *إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم*. **الأعراف**:٢٧.

فلاداعي للحمار، ولا لذنب الحمار.

> **خاض الخائضون وأدلوا بترهات عجيبة في عدد أزواجه وأولاده وأسماء هؤلاء وهؤلاء من غير دليل**

إبليس والعربية

إنما نعرف هذا العدو لله - تعالى - وللإنسانية بهذا الاسم «إبليس»، فهو اسمه من قبل المعصية ثم من بعدها، ولا حجة بين يدي من يرى أن الاسم لحقه عقب المعصية، إذ من يرى ذلك مطالب بتقديم اسم له قبل المعصية، يعد إبليس بعده لقباً لا اسماً لهذا الشرير، وأنّى لمنصف للعلم ذلك، فإن اتخذ «عزازيل» اسماً أصلياً لإبليس وقع في أحبولة الإسرائيليات، وخرج بذلك عن دائرة ما يتطلبه البحث وحيدته.

ومن ثم؛ فنحن - بأمانة العلم - لا نعرف له اسماً إلا ما سماه المولى - عز وجل - به، وإذا كانت هذه التسمية قد اكتسبت معنى الغلو في المعصية، والرغبة العارمة في إفساد البشر، فإنما اكتسبت ذلك المعنى بإصرار إبليس عليه وإعلانه به، ومخاطبته لرب العالمين بفحواه بعد المعصية.

قال فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين» ص:٨٢.
ثُمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين. **الأعراف**:١٧.

ومن هنا لا نقر الرأي القائل: «إبليس مشتق من الإبلاس، وهو الحزن الناشئ من شدة اليأس وفعله أبلس»(٤٣)، فالاسم ليس بعربي حتى يفسر بالعربية، ثم أين من أثبت بالدليل القاطع أن العربية كانت لغة الحديث يومئذ..؟

ثم هل يحق لنا أن نقول: إن التسمية العزيزة لـ «جبريل» هي من الجبر، ولـ «إسرافيل» هي من الإسراف؟ ذلك ما تأباه اللغات. ولو أنا فعلنا ذلك لخلطنا طبيعة الأشياء فقلنا - في: «سكوت scott» وهو علم إنجليزي هو من السكوت العربي أي الصمت، وفي «خسرو» العلم الفارسي من الخسران..؟!

قال العلامة الفيومي:

و«إبليس» أعجمي، ولهذا لا ينصرف للعجمة والعلمية، وقيل: عربي مشتق من الإبلاس، وهو اليأس، وردّ بأنه لو كان عربياً لانصرف كما ينصرف نظائره نحو إجفيل وإخريط»(٤٤)

وأكرر القول: إن هذا الاتجاه سيجعل من الاسم لقباً للإفساد والغواية، ويبقى إبليس بلا اسم، فكيف..؟!

مذهبه في الأدب

مذهب إبليس - لعنه الله عز وجل - هو - باختصار: «خسة الطين»، وتلك الخسة - وإن نبعت من ذاته حسداً وحقداً وكبرياء ودّ لو صبه على آدم وذريته - فقد اعتنقها بعض الشعراء، وأعلنها في زندقة صريحة، فهذا بشار بن برد (ت: ١٦٧هـ) يقول:

إبليس أكرم من أبيكم آدم
فتبينوا يا معشر الأشرار
النارُ عنصره وآدمُ طينه
والطين لا يسمو سُمُوَّ النار

ودبّ المذهب إلى شعراء آخرين لم يذهبوا هذا المذهب اللعين، لكنه - إذا عسعس إلى نفوسهم - جعلوا الطين سبب الحطة في كل إنسان مال إلى الكبر، وزلت قدمه في أخطاء البشرية. نرى ذلك كثيراً بين شعراء العصر الحديث. يقول إيليا أبو ماضي:

نسيَ الطينُ ساعة أنه طيـ
نٌ حقيرٌ فسار تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى
وحوى المالَ كيسُهُ فتمردْ

يا أخي لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقد...الخ(٤٥)

وفي الحق أن هذا المذهب الخطير في حاجة إلى بحث أدبي يتغلغل إلى أعماقه وخيوطه - بتقص، ولعل من أدبائنا الشباب، وطلاب الدراسات العليا من يطمح - بغير ملل - إلى هذا البحث، فإنما كتب فيه شذرات.

على أن في الأدب العربي أيضاً - نصوصاً نالت منه، وغضت من قيمته، وأثارت في شخصه السخرية والازدراء:

بلغ الحجاج بن يوسف الثقفي فرحُ أهل العراق بمرضه، بل قالوا: مات الحجاج، فتحامل حتى صعد المنبر، فكان مما قاله:

.. نفخ إبليس في مناخركم فقلتم: مات الحجاج، فمه، والله، ما أحب ألا أموت، وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت، وما رأيت الله - عز وجل - كتب الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه: إبليس»(٤٦).

وفي تصوير رائع يقول - فيه - أبو نواس (ت: ١٩٨هـ):

عجبتُ من إبليس في تيهه
وعُظْم ما أظهر من نخوتهْ
تاه على آدمَ في سجدةٍ
وصار قواداً لذريتهْ (٤٧)

المراجع والهوامش

١. راجع للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» المجلد الأول ص٤٢، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.
٢. راجع للإمام ابن حجر - تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨ - حرف الكاف ط أولى مجلس دائرة المعارف النظامية. الهند ١٣٢٦هـ.
٣. انظر تفسير القرطبي ٣٣٧/١ و٣٣٨ ط ثالثة، دار الغد العربي ١٤٠٩هـ.
٤. عباس محمود العقاد - إبليس - كتاب اليوم صادر عن دار أخبار اليوم بلا تاريخ، ص٤٦.
٥. المرجع نفسه ص٩٨.
٦. سفر الخروج ٣٣/ ٤، ٢٥من العهد القديم.
٧. تفسير القرطبي في الآية المذكورة... «أفتتخذونه»... ص(٤١٥)، المجلد الخامس، دار الغد العربي، القاهرة.
٨. المصدر نفسه في استطراده لتفسير الآية.
٩. الجمل - الفتوحات الإلهية ٥٤٣/٢، ٥٤٤.
١٠. انظر تفسير القرطبي - المجلد الخامس ص٤١٥٦ في الحديث عن الآية: «أفتتخذونه».. ولقد أبان - رحمه الله تعالى - حطة هذا كما ستوضحه قريباً.
١١. أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ) المحبر ص ٣٩٥، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
١٢. راجع القرطبي - المجلد الخامس ص ٤١٥٢، وانظر في «لاقس» الجمل - الفتوحات الإلهية ٢٩/٣.
١٣. انظر لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق/ د. عبدالوهاب عبداللطيف، وعبدالله محمد الصديق، ٢٤٩/١، نشر مكتبة القاهرة ط١ بلا تاريخ.
١٤. المرجع نفسه ٢٣٨/١.
١٥. انظر القرطبي - المجلد الخامس ص ٤١٥٣ - الشيطان البيضاوي، وتنزيه الشريعة ١٢٧/٢، كنع وكنس وغيرهم.
١٦. القرطبي: المجلد الخامس ص ٤١٥٢، وانظر في خبر «الولهان» الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى، وهو سنن الترمذي ٨٥/١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط أولى بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
١٧. المصدر الأخير نفسه، الترمذي ٨٥/١، ٨٦ حاشية رقم (١).
١٨. صحيح مسلم ٣٨٤/٧ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ١٤١٥هـ.
١٩. انظر. مسند أحمد ٣٦٠/٣ - ٣٦٢، ولابن كثير السيرة النبوية ٣٠٤/٢ تحقيق د. مصطفى عبدالواحد ط أولى، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٤هـ.
الجباجب: المنازل، وفي (أذب ضبوط عدة).
٢٠. انظر لابن حجر - تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند - حيدر آباد - ١٣٢٦: كعب بن مالك - المجلد الثامن ص ٤٣٨.
وهب بن منبه المجلد الحادي عشر ص ١٦٦ وما بعدها.
ومجاهد بن جبر المجلد العاشر ص٤٢.
٢١. انظر الحاشية رقم (٩).
٢٢. د. جورج يوسف - فهرس الكتاب المقدس - باب الأعلام، ط ثالثة، نشر مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت ١٩٥٨م.
٢٣. راجع د. روهلنج - اليهودي على حسب التلمود - وهو القسم الأول من «الكنز المرصود في قواعد التلمود» ترجمة عن الفرنسية د. يوسف نصر الله. انظر - على سبيل المثال. ص ٤١، ٤٣ الكتاب طبع مطبعة المعارف بمصر ١٨٩٩.
٢٤. تنزيه الشريعة - مرجع سابق ٢٤٨/١، ٢٤٩ الخبر رقم ١٨، وانظر في المقال الحاشيتين ١١، ٢١.
٢٥. تنزيه الشريعة ١٢٧/٢ - الخبر رقم ١٥٧.
٢٦. تنزيه الشريعة ٢٣١/١ - وانظر لابن حجر - الاصابة ٧٠/١٣، ٧١ ترجمة رقم ٨٢٥، وانظر لابن الأثير - النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: س ر ح.
٢٧. راجع تنزيه الشريعة، جزء أول ص (٢١١) الخبر رقم (٨٠)، وص (٢١١) الخبر رقم (١٩)، والجزء الثاني ص (٣٠) الخبر رقم (٩) و ص(٦٥) الخبر رقم (٨٠) وص (٣٦٤) الخبر رقم (١١٨)
٢٨. الإما ابن تيمية - علم الحديث ص ٤٨٤ تحقيق وتعليق موسى محمد علي، الناشر دار الكتب الإسلامية ١٤٠٤هـ
٢٩. مما نقله الإمام القرطبي وهو من عهدته براء، انظر تفسير القرطبي ٢٤٠/١ ط ثالثة دار الغد العربي ١٤٠٩هـ.
٣٠. الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٦٥٥/٤، مرجع سابق.
٣١. موطأ مالك - رضي الله عنه - بشرح الزرقاني - ٤١٦/٤ مطبعة الاستقامة ١٣٧٩هـ.
٣٢. الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٧٠٣/٤.
٣٣. الإمام ابن جرير الطبري - تاريخ الرسل والملوك، المعروف بتاريخ الطبري ٨/١ ط دار المعارف، مصر ١٩٦٩م وراجع مسانيده لدى ابن حجر - تهذيب التهذيب ٢٤٤/٤، ٤٠٥
٣٤. تاريخ الطبري ٨/١ نهاية مقدمته.
٣٥. باختصار مع الحفاظ على اللفظ، راجع تفسير ابن كثير ٧٦/١
٣٦. انظر لابن الأثير - الكامل في التاريخ - (باختصار) ٢٤/١، وراجع تعليقه ٢٦/١، دار صادر، ودار بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م
٣٧. المرجع نفسه ٢٩/١.
٣٨. النساء، الآية ١١٨، الحجر:٣٥، المرجع السابق ص ٧٨.
٣٩. انظر تفسير الإمام النسفي لقوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» البقرة ٣٧.
٤٠. ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٢٩/١، إنما قلناه: الرواة الأصليون، ونعني بهم أول من أطلقوها، لا السادة من رواتنا الذين رووها كما سمعوها.
٤١. ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٢٩/١، ٣٠، وثمة ما لا يعد ولا يحصى من مثل ذلك، انظر المرجع نفسه بفصول حوادث خلق آدم، والسجود.
٤٢. المرجع نفسه ٧١/١.
٤٣. راجع لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف - صفوة البيان لمعاني القرآن ص١٣، تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة، وليس فضيلته فحسب ناقل هذا التفسير فهو مردد بين مفسرين كثيرين، منهم من نقل ونقض، ومنهم من نقل وسكت.
٤٤. انظر: مادة أبلس في المصباح المنير، هذا، وإجفيل وإخريط لفظان عربيان مصروفان ردّ بهما على من يدعي أن منع إبليس من الصرف لأنه عربي لا تغيير له في العربية، وتعني (إجفيل) وصفاً لإنسان يجفل ويفزع من كل شيء، بينما (إخريط) علم لنبات من أطيب الحمض، يقوم على ساق ولا أصل له، وهو للماشية كالفاكهة للإنسان، انظر المعجم الوسيط مادتي جفل وخرط، ثم حمض)
٤٥. إيليا أبو ماضي - الجداول ص ٢٦ ط مصر، بلا تاريخ كتب مقدمته ميخائيل نعيمة.
٤٦. أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي - العقد الفريد ١٢٣/٤ ط ثانية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨١هـ.
٤٧. ابن قتيبة عبدالله بن مسلم المروزي - الشعر والشعراء ٨١٥/٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٦م.

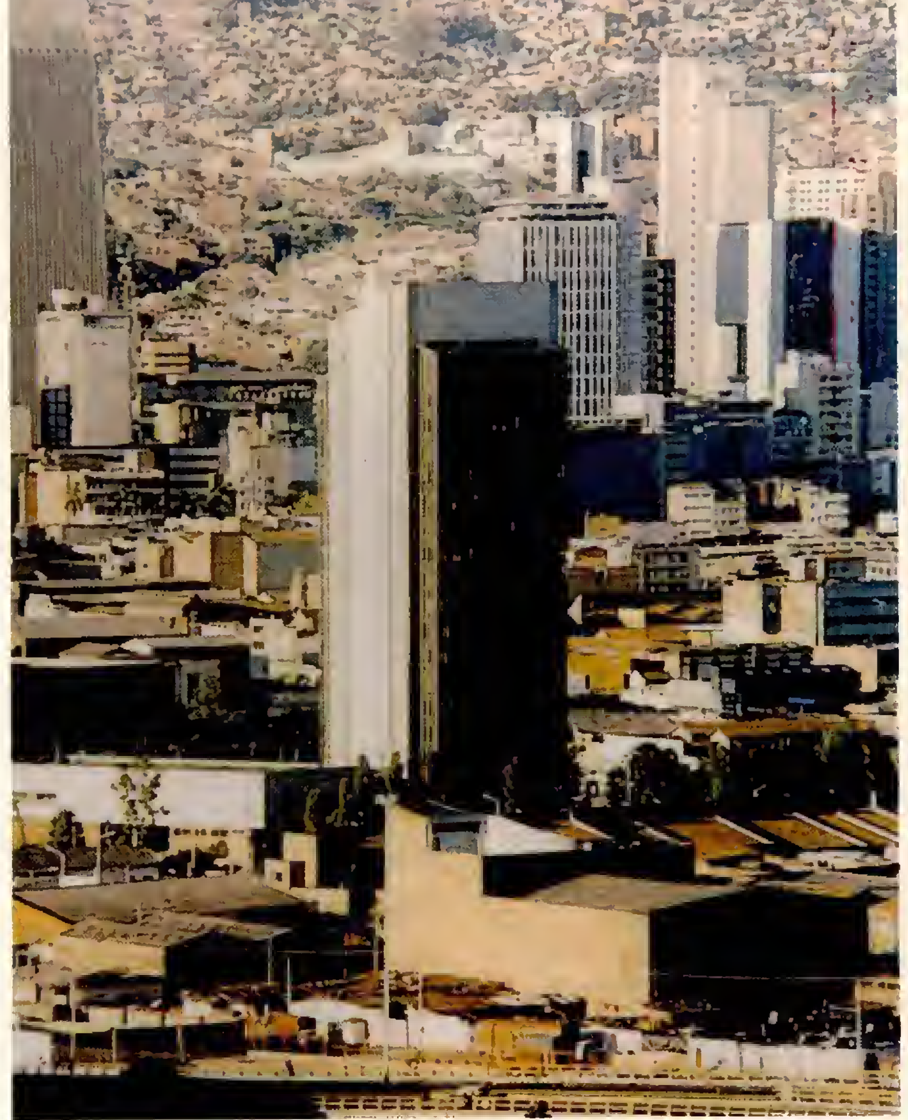
استطلاع

كولومبيا

تنوع الأعراق والثقافات

غازي سليمان حاتم

كولومبيا: البوابة الرئيسة لأمريكا اللاتينية الجنوبية، حسب ما أعلنه كل من البحارة كولومبوس، وأوخيدا، وفيسبوثيو، تتمتع بموقع جغرافي مهم، وبطبيعة جذابة ذات غابات مدارية، ونباتات باسقة، وطيور متنوعة. عانت كثيراً من مشكلات المخدرات التي كانت تتركز في مدينة ميديلين. لها تاريخ طويل غني بمخلفات الحضارات القديمة، ولها تقاليدها، وفنونها الشعبية وفلكلورها، وثقافتها المميزة بين دول أمريكا اللاتينية.



منظر عام لمدينة ميديلين، المدينة الثانية في كولومبيا

تقع جمهورية كولومبيا في أقصى شمال القارة الأمريكية الجنوبية بين خطي العرض صفر وعشر درجات، يحدها من الشمال البحر الكاريبي، ومن الشرق فنزويلا والبرازيل، ومن الجنوب البيرو والإكوادور، ومن الغرب المحيط الهادي وبنما. تبلغ مساحتها نحو مليوني كيلو متر مربع، منها نحو المليون كيلو متر مربع في البحر الكاريبي والمحيط الهادي. عملتها هي البيسو، وعاصمتها بوغوتا.

شيء من التاريخ

يعود تاريخ كولومبيا إلى ١٢٤٠٠ عام قبل الميلاد، ولكن لم تُعرف إلاَّ بعد اكتشاف أمريكا عام ١٤٩٢م من قبل كريستوفر كولومبوس. فبعد سبعة أعوام من وصول هذا الأخير إلى جزيرة سانتو دومينغو، أبحر الإسباني ألونسو أوخيدا في سواحل دي لا غواخيرا وكان يرافقه في سفرته الأولى كل من أميريكو فيسبوثيو، ورسام الخرائط الجغرافية خوان دي لاكوسا الذي رسم أول خريطة لساحل شمال كولومبيا. ثم عاد ألونسو دي أوخيدا من جديد إلى تلك الأراضي عام ١٥٠٩م، وحطَّ في مدينة كارتاخينا الكولومبية، وتتالت الرحلات الإسبانية إلى أمريكا، وسيطروا عليها، وبقيت كولومبيا تحت سيطرة الإسبان حتى عام ١٨١٩م، عندما حدثت معركة كبيرة ربحها الكولومبيون بقيادة الجنرال اللامع سيمون بوليفار الذي دخل منتصراً إلى بوغوتا، وعرف بالمُحرِّر، وكان أهم الشخصيات في أمريكا اللاتينية من حيث وقوفه في وجه السلطات الإسبانية. وفي العام نفسه تمت ولادة جمهورية كولومبيا المكونة من كولومبيا وفنزويلا والإكوادور، وفي عام ١٨٢١م أنشئت كولومبيا الكبرى، وحُلت من جديد عام ١٨٣٠م. أخذت كولومبيا اسمها الحالي منذ عام ١٨٨٦م من إسم مكتشف القارة الأمريكية كولومبوس، وكانت بنما جزءاً من كولومبيا حتى عام ١٩٠٣م، حيث أصبحت جمهورية مستقلة. وتقديراً للوطني الكبير بوليفار فقد سمِّيَ أحد بلدان أمريكا اللاتينية باسمه (بوليفيا)، وتُعد البيرو وبوليفيا والإكوادور وبنما وكولومبيا بلاداً بوليفارية تقديراً له أيضاً.

وفي بداية هذا القرن، تمتعت كولومبيا بهدوء سياسي وتفاهم بين الأحزاب التقليدية، حيث تعاقبوا على الحكم، ثم حدثت عمليات قتل شخصيات مهمة إلى أن تم الاستقرار السياسي في البلاد. ويوجد حالياً ثلاث سلطات شعبية تسيِّر أمور البلد هي السلطات التنفيذية والتشريعية والقانونية. والحزبان البارزان هما المحافظ والليبرالي، ويترأس السلطة التنفيذية رئيس الجمهورية الذي يُنتخب كل أربعة أعوام من الشعب.

المناطق الكولومبية

يمكن تقسيم المناطق الكولومبية إلى خمس مناطق كبيرة ومختلفة فيما بينها، تضم مدناً وطبيعة تميِّز بعضها من بعض، وتتمتع بطقس متناقض، وتحتفظ بآثار عائدة إلى حضارات قديمة.

منطقة الأنديس أو الأنديبا

هي المنطقة الأكثر تطوراً في كولومبيا، تبلغ مساحتها خمسة آلاف وثلاثمئة كيلو متر مربع، وتعادل ٢٦٪ من مساحة كولومبيا الكلية. يقدر عدد سكانها بأكثر من ٧٩٪ من عدد سكان كولومبيا الكلي.

وتعد بوغوتا أهم المدن في هذه المنطقة، وفي كولومبيا على السواء، وهي العاصمة السياسية والإدارية والاقتصادية للبلاد. تم إنشاؤها في ٦ آب/أغسطس ١٥٣٨م من قبل غونثالو خيمينس، وقد اختيرت لتكون عاصمة لكولومبيا في ٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٨٢١م لأسباب جغرافية. تحتفظ بكثير من الآثار الكولونيالية، كما شهدت تطوراً كبيراً، وأُحدث فيها كثير من الحدائق والمكتبات والطرق السريعة (الأتوسترادات) والنافورات، وأُقيم فيها كثير من الجامعات الخاصة والعامة والمتاحف والمسارح وساحات مصارعة الثيران، وازداد عدد سكانها كثيراً حتى أصبح الآن يتجاوز خمسة ملايين نسمة.

أما ميديلين، فهي ثاني مدن كولومبيا أهمية، تم إنشاؤها في ٢ آذار/مارس ١٦٧٥م من قبل فرانثيسكو دي هيريرا كامبوثانو على ارتفاع ١٤٨٦متراً فوق سطح البحر. عُرفت سابقاً باحتضانها لمعامل المخدرات وعصاباتها التي كان يقودها بابلو اسكوبال. تعد الآن مركزاً صناعياً وتجارياً مهماً، وتتمتع بمناظرها الطبيعية الجميلة وبحسن ضيافة أهلها، وهذا ما يجعلها مكاناً سياحياً بارزاً. تبلغ

BOLIVAR LIBERTADOR

بوليفار المحرر

سباق الدراجات من أهم الرياضات التي يمارسها الكولومبيون



أشجار الموز وجوز الهند تضفي على الطبيعة جمالاً

الطبيعة في كولومبيا تساعد على رواج النشاط السياحي



قصر حكومي في بوغوتا


من أهم الآثار الباقية عن حضارات الشعوب التي سكنت كولومبيا


مصارعة الثيران رياضة تنتشر في كولومبيا


الأخياكو، أكلة مفضلة في بوغوتا

درجة الحرارة الوسطية ٢٣ درجة مئوية، وهذا يشجع على زراعة النباتات والزهور. كما تُعرف باحتضانها لحفلات مصارعة الثيران ولرقصة التانغو، وتشتهر بأكلة الكريولا.

كالي، هي ثالث مدن كولومبيا، معروفة بوديانها ذات الثروة الكبيرة من السكر ومن الماشية. تم بناؤها في ٢٥ تموز/يوليو عام ١٥٣٦م من قبل سيباستيان دي بينالكازار على ارتفاع ٩٩٥متراً فوق سطح البحر.

منطقة الكاريبي

تبلغ مساحة هذه المنطقة ١٣٨ ألف متر مربع وتكافئ ١٢٪ من المساحة الكلية لكولومبيا. تقع في شمالي البلاد وتمتد من خليج أورابا في البحر الكاريبي حتى حدود كولومبيا مع فنزويلا. غالبية أراضيها مستوية باستثناء بعض المرتفعات وقطاع جبلي في سيراً نيفادا دي سانتامارتا.

أهم مدن هذه المنطقة هي كارتاخينا، تم بناؤها في ٢٠ كانون الثاني/يناير عام ١٥٣٣م من قبل الإسباني الدون بيدو دي هيريدا على ساحل البحر الكاريبي، ولها مظهر كولونيالي يبدو في شوارعها. مدينة غنية تاريخيًا وثقافيًا، وهي مركز صناعي وتجاري وبحري مهم.

كما تشكل جزيرة سان أندريس الواقعة في البحر الكاريبي جزءاً من الأراضي الكولومبية حسب ما صدر عن ملك إسبانيا في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٠٣م. يعود الفضل في اكتشافها إلى البحارة الكبير كريستوفر كولومبوس أثناء رحلته الثانية. تبلغ مساحتها ٢٦ كيلاً مربعاً، وهي جزيرة جميلة جداً مهمة تبعد عن الساحل الكولومبي ٧٠٠كم وتُعد من المراكز السياحية المهمة في كولومبيا.

منطقة أمازونيا

وهي منطقة واقعة في الطرف الجنوبي من البلاد، أراضيها مستوية نسبيًا، تقدم غاباتها أصنافًا مختلفة تستغل صناعيًا، منها النباتات الغذائية والألياف والأخشاب. أهم مدن هذه المنطقة ليتيسا التي يعود اسمها إلى أن مكتشف نهر الأمازون الدون فرانثيسكو دي أورينسا، حسب التقاليد الشعبية، قد وقع في حب إحدى صبايا هذه المدينة وسمّى باسمها هذه المنطقة. تم إنشاء هذه المدينة عام ١٨٦٧م على ارتفاع ٩٦متراً فوق سطح البحر، وهي تؤدي دوراً سياحيًا، حيث جُهزت بفنادق حديثة وتجهيزات سياحية جيدة.

الباسيفيكو والأرينوكيا

أما المنطقتان الباقيتان، الباسيفيكو والأرينوكيا، فهما أقل أهمية من المناطق الثلاث السابقة من الناحية

الاقتصادية أو السياحية أو السياسية على السواء. تضم منطقة الباسيفيكو الشريط الحدودي الغربي لكولومبيا، وتمتد من خليج أورابا في الشمال حتى حدود الإكوادور في الجنوب، وتبلغ مساحتها ٨٠ ألف كيلو متر مربع، تعادل ٧٪ من المساحة الكلية لكولومبيا، بينما تبلغ مساحة أرينوكيا ٢١٤ ألف كيلو مربع، وتعادل ١٩٪ من المساحة الكلية لكولومبيا. غالبية أراضيها سهلية، ويمر فيها كثير من الأنهار، وبالتالي فغالبية اقتصادها تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات.

الكولومبيون

يقارب عدد سكان كولومبيا الـ ٢٦ مليون نسمة، وهم خليط من البيض والهنود والسود، وقسم منهم من المولّدين (أو المولاتوس). ٣٦٪ من السكان عمرهم أقل من ١٥ عامًا، و٥٠٪ منهم عمرهم بين الـ ١٥ و٢٤ عامًا. يتكلمون الإسبانية لغةً رسمية للبلاد، ورثوها منذ دخول إسبانيا إلى أمريكا اللاتينية، علمًا بأنه توجد عدة لهجات عائدة لثقافات هندية قبل كولومبية. ويعتز الكولومبيون البيض بأصلهم الإسباني، ويعتقدون أنهم يمثلون الثقافة الإسبانية أكثر من غيرهم في أمريكا الجنوبية. للكولومبيين علاقة قوية مع جيرانهم من دول أمريكا اللاتينية، حيث توجد اتفاقيات ثنائية اقتصادية بين كولومبيا وتلك البلدان، بالإضافة إلى العلاقات الثقافية بين جميع دول أمريكا اللاتينية وإسبانيا. تقدم هذه الأخيرة مساعدات ومنحًا لطلاب تلك القارة وخاصة للباحثين منهم. كما توجد علاقات متينة بين المنتديات الثقافية الحرة في كولومبيا والمنتديات التي تماثلها في كل البلدان التي يتكلم سكانها اللغتين الإسبانية والبرتغالية.

كما أن للكولومبيين الذين هم من أصل عربي علاقات مميزة مع المنحدرين من أصل عربي في بلدان أمريكا اللاتينية كالأرجنتين والبرازيل وتشيلي وفنزويلا، وذلك من خلال المنظمة العربية في المهجر، والمعروفة بـ: «فيا آراب»، والتي ترمي إلى جمع شمل العرب في تلك القارة والمحافظة على لغتهم الأم وخدمة قضايا العرب عامة والدفاع عن حقوقهم المشروعة.

يعتمد الكولومبيون في حياتهم على الزراعة على الرغم من أنه تم خفض نسبة هذا القطاع في تشكيل الناتج الداخلي الصافي بالموازنة مع قطاعات أخرى مثل الصناعة والتجارة والخدمات. أهم إنتاجهم



غابرييل غارسيا ماركيز



ساحة سانتو دومنغو، ما زالت تحفظ الجدران التي بناها الإسبان (كارتاخينا)

الزراعي هو البن والقمح والسكر والقطن والموز، كما يعتمد بعضهم على تربية الحيوانات، حيث توجد مساحات واسعة مخصصة لذلك. كما يشتغل بعضهم في مصانع المعادن، حيث يوجد احتياطي كبير من المعادن كالحديد والنحاس والنيكل، ومن مصادر الطاقة كالبترول والكربون. كما تُعد كولومبيا من البلدان المشهورة بممارسة صيد السمك، حيث لديها ساحل طويل وأنهار تساعد على القيام بهذه المهنة.

أهم الرياضات التي يمارسها الكولومبيون هي سباق الدراجات، وهذه الرياضة من أكثر الرياضات ممارسة في كولومبيا، وخاصة بعد أن ربح لوتشو هيريرا سباق الدراجات في إسبانيا. كما أن لهذه الرياضة عشاقًا يمارسونها على كثير من الطرق الكولومبية.

أما طعام الكولومبيين، فكولومبيا لم تخرج عن القول الذي يؤكد أنّ طعام بلد ما يرتبط بثقافته، ومن هنا وُجد تنوع كبير في الوجبات والمشروبات بين مناطق كولومبيا التي تختلف بعضها عن بعض بكثير من الأشياء؛ ففي منطقة الأنديس توجد أكلة البرغل مع اللحمة، وفي مركز كولومبيا (بوغوتا) تُقدم الوجبة المشهورة الأخياكو مع كريم من الحليب والذرة، وترافق هذه الوجبة مع الدجاج. أما أهم الوجبات في الأمازون والكاريبي فهي السمك ومستخرجات البحار، بينما في المناطق السهلية يتركز طعامهم على اللحم، وفي منطقة الباسيفيكو على لحم الأرانب.

غابرييل غارسيا ماركيز

وعندما يُذكر اسم كولومبيا، يُذكر معه الكاتب الكبير غابرييل غارسيا ماركيز الذي ارتبط اسمه، ليس باسم بلاده فحسب، بل باسم أمريكا اللاتينية التي عانت طويلاً من الانقسامات الداخلية، حيث يتشرف بحمل مهمة نبيلة، ألا وهي العمل على توحيدها اجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا، كما كان يعمل على ذلك القائد الأمريكي سيمون بوليفار الذي لم يتحقق أمله في القرن التاسع عشر. ليس غارسيا ماركيز كاتباً عادياً، بل هو من أفضل كتّاب اللغة الإسبانية وأكثرهم شهرة، حصل على كثير من الجوائز المهمة، وفي مقدمتها جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٢م. كما يُعدّ من الكتّاب ذوي الشعبية الكبيرة في العالم العربي، حيث كتب عن العرب في كتابه





طبيعة جذابة غنية بأنواع النباتات والحيوانات والطيور



من حقهم أن يحتفلوا بالطريقة التي يريدون

المعـروف: «تاريخ مـوت مـعلن» يصف فيه تاريخ أحد المغتربين العرب في أمريكا. وعُرف بحبّه لهم ولبلدان العالم الثالث وبشجاعته وقوة شخصيته، ومن رواياته المشهورة «مئة عام من العزلة»، و«وقائع عملية اختطاف»، حيث يعرض في هذه الأخيرة قوة زعيم تجمع شركات ميديلين للمخدرات.

وعلى الرغم من تجاوزه السبعين من عمره، فمازال غارسيا ماركيز، الرجل القصير، ذا قدرة خارقة على العطاء، وينوي متابعة مهمته الإنسانية حتى الموت. وبالإضافة إلى قدرته الكبيرة على التخيل والإبداع، فقد قام بإنشاء مدرسة خصصها لإلقاء دروس على صحفيي أمريكا اللاتينية الحديثي الخبرة والإبداع، يقوم بإعطائها صحفيون بارزون، كل ذلك بقصد إحداث التغيير في أمريكا اللاتينية، بما يخدم سكانها من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتوجيههم للعمل على توحيد أمريكا الجنوبية التي قدم الكثير في سبيلها.

الفنون الشعبية

تُعد الفنون الشعبية (الفولكلور) في كولومبيا (فلكلوراً) غنياً بالموازنة مع فلكلور جاراتها من دول أمريكا اللاتينية، حيث تملك إرثاً من مخلفات هندية وإسبانية، هذا بالإضافة إلى (الفولكلور) الخاص بها. فالغناء والرقص الشعبي ورقصة التشاتشا، والموسيقي التي تبدعها أنامل مختصين على أجهزة موسيقية مثل الغيتار والفيولين، وتنوع الألبسة للنساء، كل ذلك يعطي للاحتفالات والمهرجانات نكهة خاصة بها، وتختلف من منطقة إلى أخرى؛ ففي منطقة الأنديس، مثلاً، يسمع سكانها موسيقي الباسيو والبامبوكو وهي موروثة عن الإسبان مع تغيير بسيط فيها، بينما في منطقة الأمازون، تسيطر الموسيقي والرقص اللذان أصلهما هندي، وتعود الموسيقي في منطقة الباسفيكو إلى أصل إفريقي بحت.

شهدت كولومبيا في السنوات الأخيرة تطوراً كبيراً في طرق السيارات وسكك الحديد والاتصالات البحرية والهاتفية وقدمت الحكومة إمكانات كبيرة لهذا الغرض، حيث كافحت كفاحاً مريراً ضد الطبيعة التي ألقت بصعوباتها عليهم، فالبلد ذو امتداد ضخم، وفيه كثير من الجبال والبحيرات، وهذا ما فرض على الحكومة القيام بجهود تقنية واقتصادية وبشرية كبيرة لتجاوز تلك الصعوبات.

وبسبب معوقات إنشاء الطرق والسكك الحديدية في كولومبيا، فقد شجعت الحكومة الجهود التي تُقام لدعم الخطوط الجوية، حيث تمت إقامة المطارات، وعملت على تقديم التسهيلات الممكنة لدخول الزوار والسياح إليها سواء في الحصول على تصاريح دخول أو تأمين الوصول إلى كولومبيا من غالبية بلدان العالم. وركزت على إقامة الفنادق من جميع الدرجات بالإضافة إلى الخدمات السياحية الأخرى.

ومهما يكن الأمر، فقد بقي في كولومبيا كثير من المواقع الجميلة التي لم يتم إمدادها بالطرق والخدمات السياحية التي تريح السائح، وبالتالي لم يزرها سوى الباحثين والمغامرين الذين تستهويهم الطبيعة، والراغبين في كشف أسرارها.

المراجع:

1-Colombia I y II, Omaar Pedraza y Hermes, Ediciones Anaya, S.A Madrid, 1988.

2- Historia de America Latina, German Vazquez y Nelson Martinez Diaz, Ediproyectos, S.A. Barcelona1990.

الحياكة اليدوية

فنٌّ أصيلٌ لا يطويه الزمان

سمية الجندي

شاع بين الأقدمين أن من اخترع الحياكة لابد أن يكون نبياً من الأنبياء.
فالحياكة ليست مهنة وحسب، إنها فن وسحر وذوق، ولا تزال - على بساطة أدواتها - تبذّ ما تقدمه آلات النسج والغزل الحديثة من منتوجات، مهما بلغت دقتها وسرعة إنجازها وكمالها، ومهما بلغت معيناتها وفنونها الاصطناعية.



إنها أعرق المهن وأقدمها التي مارسها الإنسان، وملك أسرارها، ونوّع طرائقها من دون أن يتلقى دروسا على يد أي معلم.. ماعدا الطبيعة والحاجة البشرية.. فمن نسيج العنكبوت، وعش الطائر، وتشابك الألياف والأوراق وتقاطعها في أردية الطبيعة المنتشرة عبر الغابات.. تعلم الإنسان أول دروسه في فن غزل الخيوط وحياكتها، فعمد إلى اللحاء والأوراق والألياف والحشائش، وحتى أعصاب الحيوانات، وصنع منها أدق الخيوط وأمتنها وأجملها، ونسج منها الثياب والبسط والأغطية وغيرها..

وللحياكة في الفن الإسلامي في الأحقاب المتقدمة، أخبار ومآثر وأسرار نستكشف، ونحن نجيل النظر فيها، تلك الآثار والتحف الرائعة التي نسجها عمالٌ مهرة بحس فطري ينضح بالجمال، وأصبحت موضع دهشة العالم وغيرته وحيرته.

حرائروأطلس وأقمشة مطرزة، ومخمل مشغول بخيوط الذهب، وستائر، وخيام، ومآزر، وحرائر مشجّرة، وطنافس من نسيج رقيق بديع، وبرسوم فاتنة، هذه الأصناف وغيرها أبدعتها أيد ماهرة عرفت أسرار المهنة وتشربت فنونها.

لكن الحياكة قطعت مشواراً طويلاً حتى تحولت إلى ضرب من الفن يعتمد على تعدد الأدوات والمواد والطرائق: كالتزيين والتوشية، والتطريز والتطعيم. ثم تدخلت الآلات الحديثة محاولة أن تحلَّ محل اليد البشرية، ومع ذلك بقيت منتجات كثيرة تُصنع باليد بمساعدة أدوات بسيطة لا تزال موجودة حتى وقتنا الحاضر في مشاغل بعض المهنيين، وفي بيوتات الريف.

الغزْل.. أول الحياكة

يقول المثل الشعبي: «الغزّالة تغزل على عود». فبالعيدان والخيوط، وبالمغازل وأيدي النساء بدأت الحياكة أول ما بدأت في مشوارها الطويل منذ العصور السحيقة حتى وقتنا الحاضر. ويعدّ الغزل (سحبُ الألياف وليّها إلى خيوط) من أقدم الصناعات في تاريخ البشرية، وتتمثل الفائدة منه في الحصول على خيط متين، والتحكم في طوله، بحكم اتصال الشعيرات والتحامها بعضها ببعض بفضل البرم على المغزل، ومن قبله العود العادي المقتطع من أغصان الشجر.

لقد استنبت الإنسان منذ بدايات الحضارة البشرية، مواد ليفية مثل: الليف والقنّب والكتان، ثم القطن، واستثمر تلك النباتات أحسن استثمار كمواد خيطية يسهل نسجها، ثم لم يعدم أن طوّر طرق الغزل من العود والمغزل والدولاب إلى الآلة.

كانت الحاجة إلى خيط طويل ودقيق ومتين، هي الدافع إلى اختراع المغزل في أساس الأمر. فعملية الغزل تحقق سحباً منتظماً للألياف المندوفة، وجدلها في خيط انسيابي دقيق أو غليظ. ويمكن التوصل إلى جدل منتظم للألياف بتعليق جهاز خشبي في أعلاه خطاف وفي أسفله ثقل، وبفتله باستمرار.. ذاك هو المغْزَل.. الذي بدأ في الظهور مع ازدياد الاستقرار عند الشعوب؛ وعُدّ في البداية من أهم أدوات العمل اليدوي، وكان مرتبطاً بالعمل الزراعي ارتباطاً وثيقاً، حتى نُظر إليهما (المغزل والعمل الزراعي) على أنهما عنصران ثقافيان متلازمان لا غنى عنهما لنشوء الحضارة البشرية.

كان الرجال يجزون الأغنام، والنساء ينفشن الصوف بعد جزّه، مستخدمات قطعاً منبسطة من الخشب، بها أسلاك شبيهة بشعر الفرشاة. وكانت عملية النفش تُعرف بـ «التمشيط». وبعد النفش والتمشيط كانت النساء يشرعن بالغزل، غالباً في فصل الشتاء قرب المواقد، أو "المجامر"، وهنّ يتبادلن الأحاديث أو ينظمن الشعر ويغنين المواويل. وبذلك يؤدي المغزل، إضافة إلى دوره الاقتصادي المعروف، وهو تحقيق الاكتفاء الذاتي بصنع الحاجات المنزلية وبعض الأثاث والأدوات، يؤدي دوراً اجتماعياً يتمثل في تعزيز الألفة بين البشر ضمن المجتمعات البشرية الصغيرة، وتعزيز البساطة والعلاقات الحميمة.

ولعلّ أهم ما يميّز عملية الغزل في طابعها الخاص، هو أصالة هذه المهنة الآخذة في الانحسار وذلك لتغيّر ظروف الحياة وتطورها السريع.

حكاية النول العربي "بساط المدّات"

تعد حياكة البسط الصوفية من أقدم



حرف صناعة البسط، وهي تتم بالاعتماد على النول العربي العادي المكوّن من خشب الزان، والمزوّد بمشط من القصب أو الحديد، ونير أو «درّات» من الغزل، مع نحو ثلاثة عشر مكوكاً، وعدد من القطع الثانوية المتممّة كما هو الحال في أكثر أنوال النسيج اليدوية المعروفة.

المادة الرئيسة اللازمة لهذا النوع من



جمال العمل اليدوي يبدو في هذه المنسوجات ذات الأشكال والألوان المختلفة

الحياكة هي شعر الحيوان أو صوفه. ويتم تحضيرها كما ذكرنا، عن طريق الغزل اليدوي، حيث تؤمن الخيوط بأيدي النسوة داخل منازلهن، وترسل إلى الحائك، فيصنع منها «السَّدى» و «اللحمة»، أي ما يمثل الخيوط الأساسية التي عليها تنسج المادة المراد إنتاجها: مثلاً "زنيرية" أو "عباءة صوفية"، أو "مشلح"، أو "مزوية".. إلخ وهذه هي أسماء المنتجات التي يستطيع النول العادي أن ينسجها، إضافة إلى مجموعة أخرى من المنتجات التي تحاك من الصوف.. وتستعمل في المنازل مثل: البسط، ويعتمد في صنعها على صوف الغنم الأحمر «مور» الطبيعي، الذي يعدّ أجود أنواع الصوف وأنسبها؛ لأن الأنواع الأخرى منه كالصوف العتيق أو الصوف "الدبيغي" تمتاز بوجود خيوط قاتمة فيها مما يستدعي صبغها «دبغها» لإخفاء ما بها من عيوب، ولجعلها أكثر تماسكاً ومتانة.

ولصنع بساط طبيعي من "جزّ" المور - أي الصوف الأحمر - يشتري الحائك مادته

الرئيسة من الرعاة مالكي الأغنام بعد جز أصوافها في أواخر فصل الربيع، ثم يسلّمه إلى "الغزّالات" فيغزلنه ويخلطن خيوطه في أثناء عملية الغزل، بمادة "التنعيمة"، والتنعيمة هي وبر ناعم يتساقط من الصوف المندوف، ويعاد فتله على الخيوط المغزولة من الصوف عند كل غزل جديد، حتى يغدو النسيج سميكاً متيناً ناعم الملمس.

بعد الغزل مع "التنعيمة" تعاد الخيوط إلى الحائك، فيشرع في تهيئتها للنسج، وذلك بلفّها على مواسير من الكرتون أو الخشب، موزعة على "مكاكيك" حسب الحاجة، وبصنع خيوط السدى على النول.. وبإدخال المكوك بين طبقتي خيوط السدى بطريقة «الغلّ» مما يساعد على رسم أشكال فنية على البساط تبعاً لمهارة الحائك وخبرته، وبالاعتماد على بداهته وذوقه، وغالباً ما تكون هذه الأشكال زخرفية ذات طابع شرقي متميز.

والواقع أن البداهة والذوق والمهارة تؤدي دوراً أساسياً في الحياكة اليدوية للأغطية و"البسط" قبل أي شيء آخر.. وهي عناصر ضرورية لهذه المهنة المتوارثة أباً عن جدّ، وتظهر في نسج الحائك نقوشاً وأشكالاً كان أبوه وجده ينسجانها قبله، وهو بدوره يزيد عليها ما يزيد من نقوش وأشكال لا تخلو من جدة وابتكار، دون أن يستعين بأي نموذج أو مخطط مرسوم، إنما بالاعتماد على الذاكرة والسليقة والخبرة.. وبالاعتماد على المعطيات الأولية التي تقدمها المادة الخام. مثلاً: قد يزيد أو يقلل من حجم البساط، وقد يغير في نقوشه حسب ما يرتئي وحسب نوع الصوف. فإن كان السَّدى واللحمة من الصوف الطبيعي، اختلف البساط اختلافاً ظاهراً عنها إذا كان من الصوف المصبوغ. واختلفت رسومه وزخارفه وأشكاله، وباختلاف أنواع البسط تختلف أيضاً المدة الزمنية التي يستغرقها نسج كل بساط، والتي تراوح وسطياً بين يومين وأربعة أيام، حسب النول والخيط.

الحياكة فنّ تتوارثه الأجيال

"المدّات".. و"العقدات".. بالخرَق!

المدات والعقدات نوعان من البسط الملوّنة التي تنسج على النول اليدوي، من بقايا الخرق الناتجة من الخياطة ومخلفات أعمال الخيّاطات في منازلهن. حيث تتحول تلك المخلّفات إلى أكوام و«كُبب» من «شراطيط» طريفة المنظر، تتفاوت في ألوانها وفي أطوالها وأنواع أقمشتها، فبعضها صيفي رقيق، وبعضها شتوي خشن، بعضها فاتح شفاف وبعضها قاسٍ قاتم اللون.. يلفها الحائك على المكوك بعد أن يفرزها وفقاً لذوقه، إلى أنواع وألوان، ويشرع في نسجها محدداً أطوالها بالذراع، وغالباً لايزيد طول هذا النوع من البسط على ثلاثة أمتار (على خلاف بسط الصوف التي يبلغ طولها ستة أمتار)، أما عرضها فهو محدد دائماً بذراع وربع الذراع.

ويتطلب نسج هذا النوع من البسط بدأ خبرة، وتدريباً وصبراً، ودقة في العمل وذوقاً، ويتطلب أيضاً ترتيبات ومعدات معينة تتيح للنول اليدوي العمل بشكل مناسب، مثلاً: بوضعه داخل حفرة في الأرض وتثبيته تثبيتاً جيداً، مما يجعله في قسمين، أحدهما سفلي متوارٍ في الأرض، والآخر علوي ظاهر. ويتألف النول من عدة أقسام سنأتي على ذكرها فيما يلي:

رحلة البسط بين "المكوك" و"المطواية"

ذكرنا أن المكوك هو الأداة التي تلف عليها خيوط الحياكة (الصوفية أو القطنية). وهو ذو شكل بيضوي مدبب من طرفيه، خشبي مفرغ من الداخل، يتخلله شريط معدني متحرك، من هذه الأداة البسيطة تبدأ عملية الحياكة، ومنها تنطلق خيوط اللحمة لتوضع في السدى جيئة وذهاباً، فتتحول إلى نُسج زاهية تنمو وتستطيل تبعاً لنشاط المكوك ومهارة الحائك، لتوضع في النهاية على «المطواية»، أو المطواة، وهذه هي أسطوانة صقيلة مصنوعة من خشب جيد (مثل الزان) يُطوى عليها القماش حين نسجه.

بين المكوك والمطواة، يقوم النسيج برحلة على أدوات أخرى هي:

- الفرزان (أو الفراز): وهي دعائم يثبت فوقها النول اليدوي، صنعت من جذوع خشبية صامدة، مهمتها تثبيت المطواة.
- المكلفة: تقع في القسم الأمامي من النول، ومهمتها تثبيته وتثبيت المطواة.
- الكتفان: قطعتان خشبيتان توضعان في أعلى النول، مهمتهما تثبيته أيضاً.
- الشمعتان: قطعتان خشبيتان مشابهتان للكتفين، تستخدمان للغرض ذاته.
- الدف: جسم معلق على الكتفين، يتضمن ثلاثة أقسام: العصوان والرمح والمشط.

يضم المشط الخيوط عَرْضياً بعضها إلى بعض. وهو مصنوع من القصب أو الفولاذ. ويتألف من قصبتين تتوسطهما أسنان من القصب كذلك، متلاصقة دقيقة ثبتت على القصبتين بالخيوط.. تمرر خيوط السدى بين القصبتين من أجل تنسيقها في أثناء الحياكة.

يكون المشط معلقاً وسط الدف، فيتحرك بدأب تبعاً لحركة الجرار، ويضرب اللحمة في خيوط السدى بقوة حسب مهارة الحائك،

وحسب حاجة القماش إلى التماسك والشدّة.

- السدى: وهو مؤلف من إطار شُدَّت داخله خيوط قطنية قوية ينسج عليها البساط (أو القماش).

- القصبات: وهي أربع في النول العادي وإحدى عشرة في النول الكبير.

- المفركان والمستعار: هذا النوع من الأدوات يقوم مقام العتلة، لطيّ المطواة. يتكئ المفرك على مدرج خشبي مسنن، أما المستعار فيقوم مقام المساعد للمفرك في أثناء الطي. وغالباً ما تكون هاتان الأداتان مصنوعتين من خشب الزان المتين، ولأن مهمة المفركين تحريك المطواة، لذلك يوضعان في ثقوب حفرت في المطواة.

- المدوس (المدواس - أو الدّوسات): يتألف الدوس من قسمين معلقين مع السدى والقصبات، وهو عوارض من خشب الزان أو الجوز، مثبتة في أسفل النول، يضغط عليهما الحائك بقدميه ضغطاً متوالياً على نحو رتيب، حسب نوع القماش والرسوم المطلوبة، فتجذبان النير، ويفتح هذا الآخر ممراً منتظماً للمكوك بين خيوط السدى.

- الزيراكونة (أو الزيركون): مقعد يجلس عليه الحائك في أثناء عمله، وهو مزوّد بمسند للظهر. وتكون الزيراكونة عادة رفاً خشبياً متيناً قابلاً للاهتزاز والحركة باهتزاز الحائك في أثناء الحياكة.

- الود: أداة تستخدم لربط السدى المعلقة.

- الجيزر: عمود معلق في السقف بشكل عمودي، وتشد إليه خيوط السدى.

- الهندام: جسم معدني قوي معلق في السقف (سقف مشغل الحائك) يفصل بين العصفورتين

- العصفورة: ثلاث حلقات متصلة بحبل قوي مصنوع من القنب يطلق عليه اسم «المرسة» يشدها الحبل بشدة إلى الأسفل والأعلى معاً.



النساء يبدعن في العمل على الأنوال

البياضي.. والقطنيات

يُحكى أن الإسكندر، عندما غزا الهند ٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م، رأى القطن، وعرف طريقة زراعته وحلجه وتصنيعه، فنقله إلى البلاد التي غزاها ومنها مصر. ويحكى أن الملابس القطنية شاعت في مصر بعهد البطالمة، وأن زراعته ظلت منتشرة حتى الفتح العربي عندما أدخل العرب نوعاً حولياً آخر يبدو أنه استورد من سورية أو من آسيا الصغرى. وقد أدخل العرب زراعة القطن إلى إسبانيا في القرن التاسع الميلادي إلى أن قامت صناعة المنسوجات القطنية في إيطاليا وبخاصة في البندقية وميلانو.

وقد ذكرت عدة مصادر أن قدماء المصريين عرفوا مادة القطن في أواخر عصر الدولة الحديثة ١٥٥٨ - ٧١٢ ق.م نتيجة غزواتهم المتكررة لغرب آسيا، وتجارتهم الواسعة مع الحبشة والصومال.

وعموماً، لم يبدأ استغلال القطن إلاّ في فترة متقدمة من تاريخ البشرية. وكان السائد، قبل استخدام القطن من النسيج، الاعتماد على الشعر والصوف والوبر والحرير في الحيوان، إلى أن تمّ لاحقاً استنبات النباتات الليفية كالليف والقنب والكتان وصولاً إلى نبتة القطن.

يعدّ الخيط القطني من أنسب الخيوط النباتية لصنع ما يُعرف بـ «البياضات» بسبب طراوته وقابليته المتميزة لامتصاص الماء، لذا اقتصرت صناعة كثير من المنتجات «كالشراشف والمناشف والبرانس والبشاكير»

وغيرها على الخيوط القطنية، بينما ظل استخدام هذه الخيوط من مصادر أخرى محدوداً جداً، ولأغراض تزيينية في غالب الأمر. حيث تطعّم بها الأقمشة لمنحها شكلاً معيناً، وأهم الخيوط المستمدة من مصادر غير قطنية، هو الحرير.

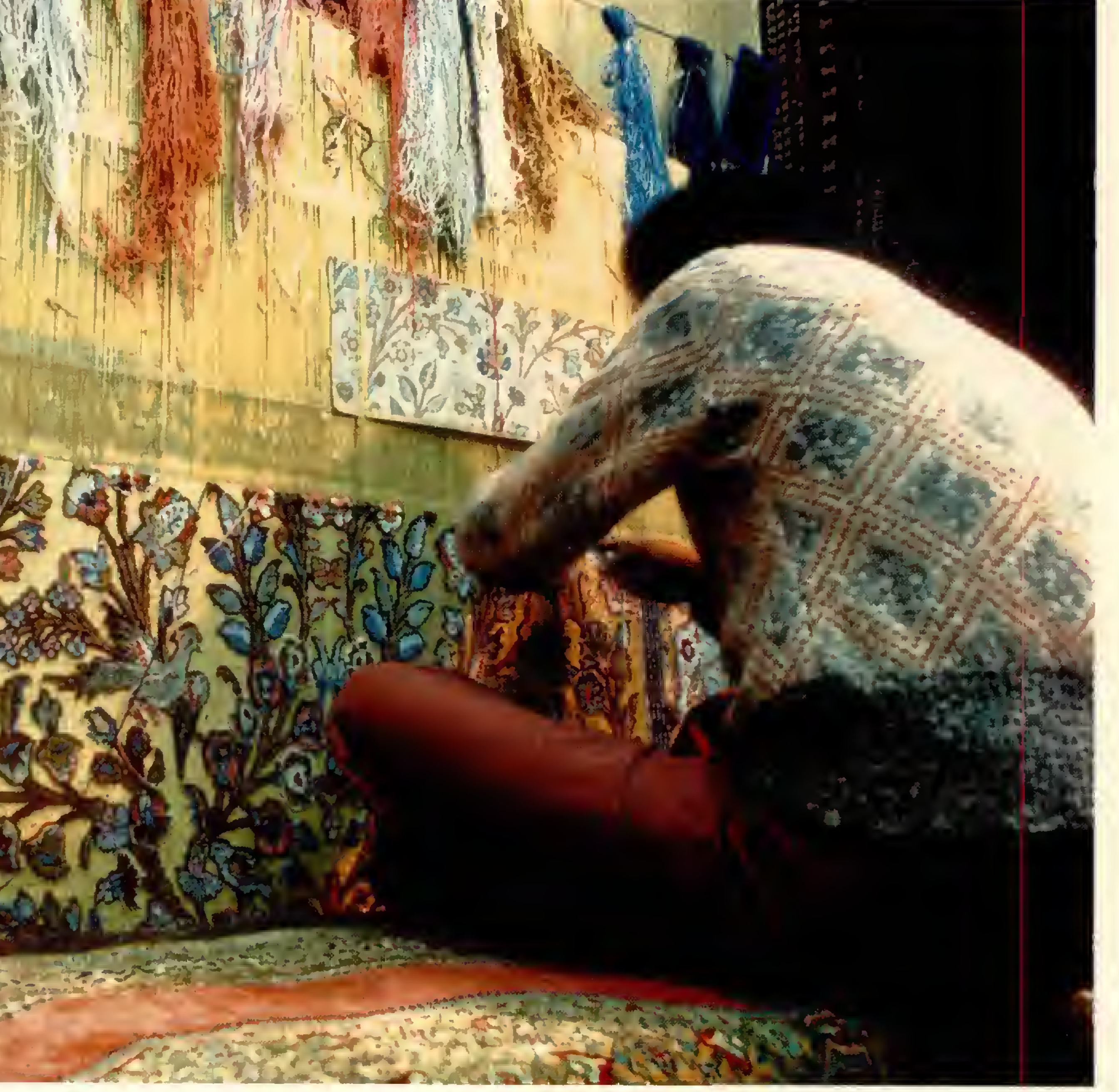
وتعدّ صناعة «البياضات» على النول العربي اليدوي، مهنة آخذة في الانقراض بسبب الجهد الذي تتطلبه، ولقلة مردودها المادي، بالموازنة مع ما يستثمر فيها من جهد ووقت، وفي الوقت الحاضر، لا يتجاوز عدد الأسر التي تمتهن النسج وفق هذه الطريقة، رقماً بسيطاً.. أضف إلى أن حياكة البياضات تتطلب نولاً يدوياً مختلفاً عن النوع الخاص بصناعة البسط.

- فعدد الدواس سبعة في «البياضي»، وواحد في النول العادي.

- يحتوي «البياضي» على سديين، بينما يحتوي العادي على سدى واحد.

- تتوافر في «البياضي» أداة لا تتوافر في «العادي»، وهي «المتيت»، والمتيت لوح خشبي مسطح، يثبت القماش المنسوج ويشده.

- وتتوافر في «البياضي» قطعة خاصة أخرى تدعى «المناورة»، وهي جسم خشبي



جهد طويل تأخذه الحياكة اليدوية

معلق على الجدار، فوق رأس الحائك، مهمته شد خيوط السدى الفوقية، ويساهم في عملية الشد، حجرٌ ثقيل يدعى «الطبقة» معلّق في «المناورة».

يستغرق صنع غطاء (شرشف) على هذا النول، ثلاثة أيام، يبلغ طول القماش الاعتيادي ٢٧٥سم، ويتطلب هذا الحجم، كيلو ونصف الكيلو من الخيوط القطنية. وهذه غالبًا من نوع عادي تستخدم للسدى واللحمة، يضاف إليها خيط من الحرير، يلف على مكوك خاص يوضع في «جارور» ثم يدفع بالنقّافة - والنقّافة جسم خشبي صغير - ليساهم في الحياكة مؤازرًا الخيوط القطنية. ويثبت الجارور على قاعدة خشبية تدعى: «الصوجقة». وعندما تُحرك النقّافة (وهي موصولة بخيط ومقبض معلّق)، تحرك معها المكوك، فيندفع يسارًا، وقد نسج الخيط معه، ثم يعود إلى اليمين عندما ترتخي القبضة، ويعلّق الخيط عادة إلى جسم خشبي مثبت وسط الدفة يدعى «القرص». وبعد الانتهاء من نسج جميع الخيوط وفق الطول المطلوب، يقوم الحائك بصفّها وترتيبها حسب الصنف والنوع إلى أن يأتي التجار لشرائها، فيقومون ببيعها أو بتصديرها.

حياكة القش

جدل الألياف النباتية في سلال وأوانٍ قشية، حرفة وفن يعود إلى أزمنة سحيقة في تاريخ الإنسانية. ابتدأ هذا الفن بجدلٍ بسيط لسعف النخيل، وقشور الشجر، وسوق الحشائش، وتطور إلى فن النسيج الذي تطوّر في منتجاته ومواده وآلات صنعه لتوفير الاحتياجات المتزايدة للإنسان المعاصر.

وكان للتطور الذي أصاب فن النسيج عامة دور مهم في نفي الطابع النفعي عن الحرف القشّية اليدوية التي استمرت حتى وقتنا الحاضر، لتحظى بطابع الفن الزخرفي والجمالي إلى جانب ندرتها.

وعلى الرغم من التطور المشار إليه، فإن حياكة القش مازالت - كسابق عهدها في فجر التاريخ - مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحياة الريفية والعمل الزراعي، ومازالت أيضًا تقتصر على أيدي النسوة، يتسلّين بإنتاجها في أوقات فراغهن خلال فصل الشتاء بعد أن يشاركن في رعاية الأرض، وزراعتها، وسقايتها، وتعشيبها، وحصد محاصيلها، إضافة إلى رعاية منازلهن من تنظيف وترتيب وطهي الخبز على الموقد (التنور)، وحلب الماشية، وتحضير الطعام، ونقل الماء وغسل الملابس.. إلخ.

تعدّ أيام «الحصيدة» فترة ملائمة لجمع المادة الخام اللازمة لصنع القشيّات، حيث تجتمع النسوة حول بيادر القمح بعد حصاده وتكويمه، ويقمن «ببطق القصل»، أي بقطع سوق القمح، مع ترك رؤوسها الحاملة للسنابل، ويضممنها في حزم يربطن كلاً منها «ببزيق»، و«الزياق» بقايا خرق رفيعة تقوم مقام الحبل للربط، ثم يضربن حزم السنابل ضربًا رفيقًا على حجر من الأحجار حتى تسقط عنها حبوب القمح على البيدر. وعندما تتخفف السنابل من أحمالها، تؤخذ إلى المنازل، وهناك تصبغ الحزم وتجفف. وعند الشروع في استخدامها ينبغي أن تكون لينة طرية، لذلك تربطها النسوة بأحجار ويغرقنها في الماء وقتًا يقارب ساعتين، ثم تُرفع وتُلف بأقمشة مبللة من الخيش (أو القنب)، حتى تظل لينة مرنة عند لفها وثنيها. بعد عملية الترطيب، تبدأ الحياكة بما تعنيه من دكّ قصلات النبات (السوق) بعضها في بعض في نسج يدوي بسيط «ويفضل أن تكون الساق رفيعة خالية تقريبًا من العقد، حيث تقصل (أو تُقطع) عند موضع العقدة حتى تكون لينة مطواعة للي»، تنطلق من نواة مؤلفة من ثلاث أو أربع قصلات تدار منها الحياكة بشكل دائري، وكلما أضيفت دائرة جديدة إلى النواة - المركز تُثبت بـ «سرائد»، والسرائد: سوق لينة تُدخل في إبرة كبيرة تدعى «الغرزة»، و«الغرزة» تشبه مسلّة الخياطة المخصصة لإغلاق جوالق (جوالات) القنب والخام.. مع فارق بسيط يتمثل في وجود جزء خشبي في الغرزة هو المقبض، وفي رأس معدني مدبب رقيق، تحدث بواسطته ثقوب، وتفرغ المواضع التي سيتم دكّ القش فيها، ويكون القش المصبوغ موزعًا في حزم يطلق عليها اسم «الزقات»، وهي تختلف باختلاف نوع «القصل» وباختلاف ألوانه.. فهذه «زقة الكوبية» أي: الملونة بمزيج من أخضر وأحمر، وهذه زقّة خضراء، وتلك «زقّة حمراء، وتلك «زقة» خمرية.. إلخ.

تظهر البراعة في ضفر القش ونسجه عند تنفيذ الرسوم والأشكال، حيث تتحول سوق النبات إلى أشكال وخطوط منسجمة متنوعة

ملونة لا تخضع إلى نماذج محددة قدر خضوعها لفن فطري، وذائقه شخصية.

وتخلع على تلك الرسوم والأشكال عدة أسماء منها: الحمام المكتّف، والأهلّة والأمواج والجروز وحواجب الستّ وورق الغار والأقراص والكبايات ودوسات القطة والقرص والشقيفة والسيوف المعقوفة والغزال الملتفت والعريجات... وغيرها. وكل واحد من هذه الاصطلاحات له معناه وشكله الخاص: «حواجب الستّ» مثلاً.. ليست سوى أهلّة منفّذة بخطّ رقيق، و«الحمام المكتّف» ليس سوى مكعبات يتصل بعضها ببعض حتى لتبدو للناظر في هيئة طيور حمام مكتّف يتأبط بعضه ذراع بعض. أما القرص والشقيفة: فهما دائرة ملوّنة وقربها نصف دائرة.. إلخ..

أما الأدوات التي تصنع غالبًا بهذه الطريقة، وتلبّي احتياجات الناس اليومية فهي: القفف بأنواعها ـ وتستعمل لنقل المؤونة والزاد ـ وأدوات للزينة، ومكاييل للوزن، وسلال متنوعة مختلفة الأحجام، وأطباق بأنواعها. وكلما كان الطبق كبيراً أعلن عن جدارة المرأة التي حاكته ومهارتها، حتى قيل في مدحها: «يتسع طبق فلانة لخمسين رغيفًا من الخبز، بل يتسع لأكثر من ستين»!

وكانت النسوة يتباهين باتساع أطباقهن (سفراتهن) فيعلقنها على جدران الحجرات، ويفخرن كلما اتسع الحيّز الذي شغلته «السفرة» من الجدار! ويتسع الطبق المعروف باسم «السفرة» لعدد كبير من أطباق الطعام، كما أن حياكته تتطلب نوعاً من القش الرقيق أو الرقيق جداً.. ولأن «السفرة» تستعمل غالباً في «المضافات»، تهتم النسوة برسومها ويزخرفنها ويزيّن أطرافها.

ومن الأدوات التي تنتجها الحياكة اليدوية للقش:

ـ المنسفة، والطبْوقة: وهما وعاء مسطح مثل «السفرة» يوضع عليه الخبز، ويقطع فوقه العجين، ويُنشر الزبيب و«البوشار» ـ أي الذرة المحمصة.. كما توضع عليها أيضاً أطباق الطعام.

ـ الجونيه: وهي وعاء متسع في أسفله وضيّق في أعلاه، مستدير مزود بمقبض كمقبض السلة، يوضع فيه البيض غالبًا، ويحمل أو يعلّق في مكان مرتفع معرّض للهواء داخل الدار. يدعوه بعض الناس «مرجونة»، وقد يستخدم لوضع الخبز أيضاً، وعندئذ يكون أكثر اتساعاً، ويزود بغطاء قشي أيضاً.

ـ النقّال: وعاء مستدير يضيق في أسفله ويتسع في أعلاه. له استخدامات كثيرة، مثل: نقل الأمتعة والمؤن، وخزن الحبوب ونحوها، والوزن.. ويوضع عند استعماله للنقل فوق رأس المرأة، بعد أن يثبت فوق «الكوكة» وهي قطعة ملتفّة من القماش، لحماية الرأس.. ويرتبط النقّال ارتباطًا وثيقًا بالحقل، حيث ينقل فيه العنب والفاكهة الأخرى، والجريش أو القمح.. أو الزاد..

ـ القشوية، القشوة: وعاء شبيه بالنقّال، لكنه أصغر حجماً، يستخدم لنقل الحبوب والفاكهة والخضار وسواها..

ـ الربّوعة: وعاء شبيه بالنقال والقشوة، يدعوها بعضهم «جونة»، ويدعوها بعضهم «قبعة»، ويستخدم لحفظ القمح والحبوب والطحين، فهي تتسع لـ ٣٠ كيلو غراماً.

ـ السانونة: وعاء كان الناس يضعون فيه آنية فخارية تستخدم للقلي. ووظيفتها حماية «المقلى» الفخاري من الكسر.

وهناك مجموعة أخرى من الأوعية المتنوعة التي أصبح استخدامها محدوداً في حياتنا الراهنة، حيث استبدل بها أوعية من الزجاج والمعدن والبلاستيك.. ونتيجة انحسار استعمال الأدوات المحوكة من القش «القصل»، أخذت الأنظار تتجه إلى المحوكات القشية مثل اتجاهها إلى التحف الفنية والتزيينية الفريدة.. وأخذ بعض الهواة أو التجار يقبلون عليها على أنها نماذج فنية تعبق بأريج الصنعة الشعبية التقليدية «الفولكلورية» مثلها مثل منتجات الحياكة اليدوية الأخرى: الصوفية والقطنية التي لا تزال قائمة حتى وقتنا الراهن بأدواتها البسيطة القديمة، وبعفوية من يعملون بها، وعراقتهم ومهارتهم، وهم يتحدّون جبابرة الآلات ومنتجاتها الحديثة.



الرسوم والأشكال لا معايير محددة لها، وإنما تعتمد على الفطرة والذوق الشخصي

ثلاث قصائد من أنتوني ثويت

يوسف عبدالعزيز علي

منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً قال الناقد الدكتور كريستوفر ليفنسون: «إذا كان في إنجلترا اليوم وريث واضح للقب «الأديب القدير»، وامتداد لـ «جون ليهمان» أو ستيفن سبندر، فربما يكون اسمه أنتوني ثويت؛ فإن كان هناك آخرون قدّموا نتاجًا شعريًا ضخماً وأكثر شهرة، أو كان هناك من تميزوا في عدد من الأجناس الأدبية، فإنه لا يوجد أحد جمع كلاً من رؤية شعر «ثويت» وأهميته، بعمق تجربته وتمكنه مؤلفًا، جامعًا دماثة الخلق مع كل من الاهتمامات الرحبة والأحاسيس»(١).

ولد الشاعر الإنجليزي أنتوني ثويت في مدينة تشستر سنة ١٩٣٠م لأبوين ينتميان إلى يور كشاير، وعاش بعض مراحل طفولته في كل من ليدز وشيفيلد، ثم أرسله والده سنة ١٩٤٠م ليعيش مع عمته وعمه في الولايات المتحدة، حيث التحق بالمدرسة الابتدائية في واشنطن .D.C، وبقي هناك أربع سنوات، عاد بعدها إلى بريطانيا ليلتحق في سنة ١٩٤٤م بمدرسة كنجزوود الداخلية بالقرب من مدينة باث. ثم حصل على منحة دراسية بأكسفورد. وقبل تنفيذ المنحة التحق بالخدمة العسكرية الإلزامية، وأرسل ضمن القوات البريطانية إلى ليبيا. وبعد التخرج تزوج أنتوني ثويت، ثم سافر هو وزوجته إلى اليابان، وعمل هناك أستاذًا زائرًا للأدب الإنجليزي



أنتوني ثويت

(١٩٥٥ـ ١٩٥٧م) في جامعة طوكيو. وابتداء من سنة ١٩٦٥ إلى سنة ١٩٦٧م عمل أستاذًا مساعداً في جامعة بنغازي الليبية. هذا إلى جانب عمله محرراً أدبيًا ورئيس تحرير مشاركًا في عدد من الصحف والمجلات، ومخرجًا في الإذاعة البريطانية.

تأثر ثويت بوالده من حيث اهتمامه بالتاريخ، فقد كان والده مؤرخاً محلياً ونسّابة، وقد برز ولعه بالتاريخ والآثار ـ خصوصاً في البلدان التي تمكن من زيارتها، وتجلى أثره في كتاباته، حتى إنه أفرد قصائد كاملة للحديث عن أثر من الآثار التي قرأ عنها، أو شاهدها عيانًا. كما أن هذا الولع بالتاريخ والآثار قد انعكس على قناعاته الشخصية، وفلسفته في الحياة. وهذا ما يؤكده الناقد جيوف سادلر بقوله: إن ثويت مفتون بالتاريخ ورسالته التي ينقلها عبر آثار القدماء؛ فقد رأى من خلال الأطلال الدليل على ضعف


ستيفن سبندر

الإنسان وتلاشيه البطيء تحت وطأة الزمن، وخلص إلى أن التراب يرى كأنه المادة الوحيدة التي لا تتغير، والأصل الأول الذي ينبغي لكل شيء أن يرد إليه(٢). فها هو ذا ينتهز فرصة قضائه الخدمة العسكرية في ليبيا، ويذهب إلى مدينة طرابلس القديمة، حيث أكد بعد ذلك أن التجربة الليبية الأولى كانت مهمة جداً بالنسبة إليه، فقد تناول كلتا التجربتين في كتاب، وفي قصائد كثيرة من ديوانه: (THE STONE OF EMPTI-NESS, INSCRIPTIONS).

ينتمي ثويت إلى فترة شتات ما بعد الحرب التي عاشها أدباء بريطانيا الذين قضوا فترات من حياتهم في الخارج، يدرسون اللغة الإنجليزية أو الأدب، موفدين من قبل هيئات مثل المجلس البريطاني. وقد بدأت ميوله الشعرية في الظهور عندما كانت سنه الرابعة عشرة تقريباً، وفي أكسفورد انضم إلى مجموعة من الطلاب الشعراء، يقول عن ذلك: بدأت أكتب قصائدي عندما كنت في الرابعة عشرة، لكني لم أكتب شيئاً ذا قيمة أبداً حتى أوائل العشرينيات من عمري. وكان زملائي من الشعراء في أكسفورد في ذلك الوقت «جيفري هيل، وجورج ماكبث، وإدريان ميتشيل، وآلان براونجون، وإدوارد لوسي ـ سميث»(٣). ولثويت تجربة بارزة في الانضمام إلى الجماعات الأدبية قبل أن ينفرد بصوته، ويستقل بأسلوبه الخاص بصفة نهائية، فقد انضم إلى مجموعة شعراء الحركة (THE MOVEMENT)، وعن ذلك يقول الناقد بليك موريسون: إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مجموعة شعراء الحركة من ناحية، وشعراء ورواة آخرين من ناحية أخرى. ومن أبرز هذه العلاقات تلك التي ربطت بين أنتوني ثويت وشعراء الحركة، وقد أخذت علاقته بهم شكلاً من التعاطف في البداية، ثم تطورت حتى أصبحت ارتباطاً وثيقاً أكثر من ذلك الذي يربط أعضاء الحركة الأصلية بها، ثم بعد ذلك، وفي نهاية الخمسينيات ابتعد عنهم ليأخذ له منهاجاً آخر(٤).

وعن منهج ثويت الشعري يقول الناقد جيوف سادلر: على الرغم من أنه رجل ذو علاقات أسرية قوية، إلا أنه مدفوع لأن يحشد نفسه بحثاً عن آفاق جديدة. إنه في الظاهر أسير للعادة، ولكن مع ذلك فهو في الداخل دائماً يشتاق إلى تغيير الواقع. إنه شاعر حداثي يتمتع بحس عميق ومستمر بالماضي، فنان ملتزم وصارم متعب بالقلق المتربص(٥).

وقد اخترنا له من ديوانه: «غبار الحياة»(٦) (THE DUST OF THE WORLD). هذه القصائد الثلاث: سراييفو(١) ـ سراييفو (٢) ـ في مهرجان الشعر الدولي.

سراييفو ـ ١ ـ

الاسم تاريخ
ونهر ميلجاكا الفياض يتدفق
تحت جسوره، عبر واديه الضيق
المنقوش بالمآذن، والمغطى بالقباب
متشبثاً بجباله، معلقاً بالنفس الطويل.

***

ثمة تذكار عبثي على الرصيف
لأبهة الماضي وأثر عهد الأمراء
الموضع الصحيح، شبكة الحرب المحكمة،
منظر من حافة الرصيف، لشارع مختنق، ملطخ بالدماء

***

حيث الفرق العسكرية تمشي بالخطوة المنتظمة، وعالم يتحرك
أو ينحرف بعيداً عن مراسيه كسفينة
مدفوعة إلى صلب النهر بين المرافئ المزدحمة
ولا يمكن أن يوقفها سوى الاصطدام

***

المؤذن ينادي للصلاة، الأجراس والحمائم ترفرف
فوق المقابر الرعوية والإسلامية والكاثوليكية
شواهدها الواطئة، المميّزة، والمؤرّخة، ترسم
بمحض المصادفة المكان الذي اختاره التاريخ.
١٩٧٣م

سراييفو ـ ٢.

شوارع ضيقة، وعمارة مستهترة، وأخرى مقدسة

سرايبفو، د. إسماعيل تيهيك ١٩٧٣م.

***

المقدس تنتهك حرمته، الامتهان
يدوس بأثقاله الضخمة المفاجئة على الشوارع الضيقة
حيث الناس يصطفون في طوابير من أجل الخبز،
ويملؤون الدلاء
ويُهرعون من خلال الخراب، نحو الأمان. انظر
كيف لا يوجد أحد آمن. انظر كيف يحيّي كلُّ مبنى
كلَّ مجهول ناجٍ من الموت، ملطخ بالدماء، بإشارة مختلفة
وكيف ينتهي صاحب أي عقيدة مغايرة بالحسرة
وربما بالقتل.

***

لقد فهمتها خطأ منذ عشرين عاماً
إنها شعار مناسب لماض لم أعرفه أبدًا
ولكن رأيتها كأيقونةٍ لحرب طال أمدها
لقد كانت مرثية، وأغنية صاخبة
مؤلّفة من ضبط النفس، ولا شيء جديد
لقد رأيت المكان، وكأنني قدحت شرارة من حجر صوّان
ليس هناك شيء مقدس، فقط قناعة دنيوية مستهترة
ولا شيء مفهوم.

١٩٩٣م.

في مهرجان الشعر الدولي

إلى دوجلاس دن

أعتقد أنه يمكنني أن أعرف كلمة «حرية»
في سبع عشرة لغة، ويبدو أنها دارجة
ها هو ذا شاعر آخر أمام مُجْهِر الصوت «الميكروفون»
يلوح بذراع هنا وبذراع هناك
وها هو ذا شاعر إفريقي يكتب بالإنجليزية
يدعو، ويبتهل أن تتدفق الأنهار بفيضانات من الدماء
وأريد أن أتحدث إليه عن «إنوخ باول»
ولكنّ الآن شاعر إيطالي يأخذ دوره، إنه شاعر عذب
يخبرنا أن هذا المهرجان يعني «السلام» و«الجمال»
وبالطبع يعني «الحرية»، وبعد ذلك هناك
قصائد عديدة «للقائد» - الشاعر الأمريكي الذي دعا نفسه
يروح ويجيء في خلفية المسرح متذمراً
لا من قبيل الاحتجاج، وإنما بسبب أنه يحتاج إلى حقنة المخدر
في الصف الأمامي شاعر هندي غلبهُ النعاس.

***

مئة وستة وسبعون شاعرًا يتأوهون مللاً
في جو الصيف الحار، بينما الحشرات تدخل
مع ضوء «كاميرات» التلفاز في الهواء الجنوبي المعطر
جبهات المنظمين تلتمع من العرق،
والإرهاق والكحول، ولكن على الأقل هم يعرفون
أن مئة وستة وسبعين شاعرًا، عن طريق السفر المدعوم ماليًا
والمقرون بالضيافة الكريمة، قد جاؤوا
بعضهم مشهور خارج بلاده
وبعضهم سيئ السمعة داخلها أيضًا
إنه لشيء طيب بالنسبة للجمهور الفردي، وبالنسبة للفندق
حيث جميع هؤلاء الشعراء يبيتون ليلهم بعد أربع عشرة ساعة
كانت مجموعة للملتقى، والمقصف، وللتجول داخل الردهة
مبدين معاناتهم من مضيفيهم ومسؤولي أعمالهم، ومن سوء الهضم أيضًا
مع ذلك فإنني لا أعرف المرادف في اللغة المنغولية لكلمة «حرية».

١٩٨١م.

الهوامش:

١-Vincent B. Sherry (ed), Dictionary of Literary Biography, A Bruccoli Clark Book, Detroit, 1985. Vol. 40 (Poets of Great Britain and Ireland Since 1960), P.571.
2- Tracy Chevalier (ed), Contemporary Poets. St. James Press, Chicago and London, 1991, Fifth Edition, P 989.
3- John Wakeman (ed.), World Author 1970-1975, A Bibliographical Dictionary, The W.H. Wilson Company, New York, 1980, P 809.
4- Blake Morrison, The Movement: The English Poetry and Fiction, of The Fiftis, Oxford University Press, London, 1980, P.9.
5- Contemporary Poest (Ibid), P 989.
6- Anthony Thwaite, The Dust of The World, Sinclair, Stevenson Great Britain,1994.

مشكلة الإنسان والتوجيه الثقافي عند المفكر الجزائري

مالك بن نبي

بوعلام ولهي

الإنسان أساس الحضارة وأحد أبرز معالمها، فهو الذي ولّدها بفكره وصنعها بيده، لذلك فالاهتمام بمشكلة الإنسان ومحاولة إيجاد الحلول لها يستدعي توجيه العناصر الثلاثة التالية: الثقافة، العمل، رأس المال. ولمّا كانت الثقافة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحضارة في رأي الأستاذ مالك بن نبي فإنّ الاهتمام بها في فكره كان من الأهمية بمكان بوصفها مشكلة تستدعي الحل السليم والتوجيه الخلاّق.

مفهوم التوجيه

«التوجيه بصفة عامة هو قوّة في الأساس، وتوافقٌ في السير، ووحدة في الهدف». بهذا المفهوم يبتدئ المفكر مالك بن نبي تعريفه فكرة التوجيه، لأنه: كمْ من طاقات ضاعت فلم تحقق هدفها حين زحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه متجهة إلى الهدف نفسه.

إذن فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين من السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلدان الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت، هكذا يقول الأستاذ مالك بن نبي، ولذلك، فإن التوجيه في أدّق معالمه هو تحديد المسار مع تحديد القوى الدافعة على هذا المسار وتوحيدها حتى تتجنب الاختلاف والتّضاد للوصول بأقل التكاليف إلى الأهداف والغايات المرجوة. ولذلك ينبغي على المجتمع أن يوجه الثقافة أولا كقاعدة فكرية، لينطلق بعدها إلى التوجه الأخلاقي فالجمالي، ولينتهي أخيرا إلى التوجيه الحضاري..

توجيه الثقافة

توجيه الأشياء الإنسانية يعني تعريفها، وهو ما يستدعي الوقوف مليًا عند المنعطفات التاريخية المهمة، أي منعطفات الانقلاب الحضاري بين حالة راهنة ومصير مجهول ينتظرنا، ولاشك أنّ الثقافة أحد تلك المنعطفات، ويتطلب تعريفها ذلك، ولا يفصل الأستاذ مالك بن نبي الثقافة عن النهضة ويدعو إلى تصورها من ناحيتين:.

- تلك التي تتصل بالماضي، أي بخلاصة التّدهور، وتشعبها في الأنفس والأشياء.
- تلك التي تتصل بخمائر المصير وجذور المستقبل.

فهذا التمييز ضروري، ويجب في بادئ الأمر تصفية العادات والتقاليد والأطر الخلقية والاجتماعية من عوامل قتالة ورمم لا فائدة منها، وأن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد يحطم الوضع الموروث حتى يضع المجتمع موضع النهضة ولذلك يمكن تحديد الأوضاع بطريقتين على حد رأي الأستاذ:

- سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.
- إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل.

فهذه نظرية مهمّة جداً في الانقلاب الحضاري لاحظ الأستاذ مالك بن نبي تطبيقاتها على الثقافة الغربية وذلك عندما قام (توماس الأكويني) بالتحديد السّلبي في نظره للثقافة العربية الإسلامية في أوج نهضتها لتكون الأساس الفكري للحضارة الغربية فيما بعد، ليأتي بعده (ديكارت) بالتحديد الإيجابي الذي رسم للثقافة الغربية طريقها الموضوعي، غير أن الحضارة الإسلامية لها السبق في هذا كله، وهي التي جاءت بهذين التحديدين. وتلك هي النتيجة التي توصل إليها الأستاذ

مالك بن نبي حيث يقول .. القرآن الكريم الذي نقى الأفكار الجاهلية البالية ثم رسم طريقة الفكرة الإسلامية الصافية التي تخطط للمستقبل بطريقة إيجابية ـ ولاشك أن تحديد الثقافة الإسلامية إيجابياً ليس هو خلق منهاج جديد للتفكير فحسب، بل تحديد العناصر الجوهرية اللازمة لذلك وهي أربعة:

- الدستور الخلقي.
- الذوق الجمالي.
- المنطق العملي.
- الصناعة بتعبير ابن خلدون.

تعريف الثقافة

تعددت الآراء واختلفت المفاهيم حول تعريف الثقافة. هل هي علم؟ أم فلسفة الإنسان على رأي الغرب؟ أم هي فلسفة المجتمع على رأي الشرق؟ وبين هذا وذاك قدم الأستاذ مالك بن نبي تعريفاً علمياً شاملاً بعد أن ربطها مع الحضارة فقال: هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يُشكّل منه الفرد طباعه وشخصيته. ولاشك أن هذا التعريف قد شمل بين دفتيه معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع، ومن ثمّ فهي المحيط الذي يعكس حضارة معيّنة، إذ لابد أن ننزع من أذهاننا ما علق بالثقافة من حشو نتيجة لعدم الفهم هذا، أي لا مجال للحرفية في الثقافة أبداً، ولا مجال للحرفية في التعلّم إطلاقاً، فمشكلة الثقافة لا تخصّ طبقة دون أخرى بل هي تخصّ مجتمعاً كاملاً بما فيه المتعلم والصبي، ولكي تعود الثقافة إلى مستواها الحقيقي داخل المجتمع يقول الأستاذ مالك بن نبي يجبُ أن تحدد كعامل تاريخي أولاً كي نفهمها، ثم كنظام تربوي لنشرها بين طبقات المجتمع ثانياً، ولذلك فلا تاريخ من دون ثقافة، فالشعب الذي فقد ثقافته فقد حتماً تاريخه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن يكون هناك معنًى للثقافة في التربية ووظيفتها تشبه إلى حد ما وظيفة الدم في جسم الإنسان تماماً، ويلخصها الأستاذ مالك بن نبي قائلاً: «الثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يُغذي حضارته ويحمل أفكار النخبة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجمة في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة.

التوجيه الأخلاقي

لقد اهتم الأستاذ مالك بن نبي بالأخلاق من الناحية الاجتماعية وليس من الناحية الفلسفية، أي بمعنى تحديد قوة التماسك اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية مرتبطة في أصلها



مالك بن نبي

> مشكلة الثقافة لا تخص طبقة دون أخرى، بل هي تخص مجتمعاً كاملاً، والشعب الذي يفقد ثقافته، يفقد حتماً تاريخه

بغريزة: «الحياة في جماعة» عند الفرد، هذه الغريزة التي لابد أن يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية ممنوحة من السماء إلى الأرض، مهمتها ربط الأفراد بعضهم ببعض استناداً لقوله تعالى: *وألَّفَ بَين قُلوبِهِم لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألَّفتَ بينَ قُلوبِهِم ولكنَّ الله ألفَ بينهم إنَّه عَزيز حكيمٌ*. **الأنفال: ٦٣**.

إذن هناك اتفاق بين هذه الآية الكريمة وكلمة دين في أصلها اللاتيني (RELGION) الذي يعني الرَّبط والجمع، وهنا يدعو الأستاذ مالك بن نبي بل ويلحّ على أن تكون نظرتنا إلى الأشياء والمشروعات الاجتماعية غير بعيدة عن منطلقاتها وأصولها التاريخية، وبعبارة أدّق الأساس الخلقي الذي قامت عليه، ولا يمكننا أبداً أن ننظر إلى المدنية الغربية على أنها نتيجة علوم وفنون وصناعات، ونلغي في ذات اللحظة الربط التاريخي (الديني). وهنا يتوقف الأستاذ ليضرب لنا مثلاً عن مشروع اجتماعي في فرنسا هو: «جمعية حضانة الأطفال» وهي تبدو في صورة جمعية تقوم على شؤون مدنية في حين أنه لو درسنا أصول فكرتها الأولى لوجدناها ذات أصل مسيحي تدين بالفضل إلى القديس (فانسان دي بول).

التوجيه الجمالي

يقول الأستاذ مالك بن نبي: «لا يمكنُ لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، فإنَّ لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه» أي إن هناك ربطاً بين الفكرة والصورة الأخيرة للشيء المراد تحقيقه، فبالذوق الجميل الذي يتطبّع به فكر الفرد يجد الإنسان في نفسه نزوعاً إلى الإحسان في العمل، متوخياً الكريم من العادات، وبذلك يكون للجمال أهمية اجتماعية كبرى إذا ما عُدَّ المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بوساطة تلك الأفكار أعمال المجتمع، ومن هنا يُلاحظ الأستاذ أننا أصبحنا اليوم نفقد ذوق

الجمال، ولو كان موجوداً في ثقافتنا لسخرناه لحل مشكلات جزئية تكوّن في مجموعها جانباً من حياة الإنسان، ويكفي التدليل على ذلك بالطفل الذي يلبس الأسمال البالية والثياب القذرة، وبعبارة أدق يحمل في المجتمع صورة القبح والتعاسة معًا، بينما هو جزءٌ من ملايين السواعد والعقول التي تحرك التاريخ ولكنه لا يحرك شيئًا، فهذا الطفل لا يعبر عن فقرنا المسلَّم به، بل عن تفريطنا في الحياة، فالأسمال لاتعبر عن أبسط معاني القبح فقط بل هي في أدقّ معانيها سجنٌ لنفسية الطفل.

إنَّ **الذوق** الجمالي له تأثير في عامة المجتمع فهو مرتبط بالموسيقى، والملابس والعادات، وأساليب الضحك وطريقة

الذوق الجمالي له تأثير في عامة المجتمع، والإطار الحضاري متصل بكل محتوياته بالذوق الجمالي

تنظيم البيوت، لذلك فالإطار الحضاري متصل بكل محتوياته بالذوق الجمالي. لذلك يقول الأستاذ مالك بن نبي: ينبغي أن نتمثله في كل خطوة نخطوها إذ إنه وجهُ الوطن في العالم.

وقبل أن ينتقل الأستاذ مالك بن نبي إلى توجيه فنّ الصناعة يتوقف عند معلم مهم في حياة الفرد ألا وهو «المنطق العملي» وهو يعني عنده كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، وبعبارة أخرى استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة؛ والمجتمع الإسلامي أحوج ما يكون إلى هذا المنطق، لأنّ العقل المجدد متوافر عندنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يكون في جوهره من الإرادة والانتباه شيء يكاد يكون معدوماً وهو ما يُترجم إلى عدم الفاعلية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة.

بيد أن نظرة إلى واقعنا لنقارن بين رجل أوربي ورجل مسلم فأيهما ذو نشاط وعزم وحركة دائمة!؟ ليس هو الرجل المسلم بكل أسف الذي عنده القرآن الكريم ويأمره ربه بقوله تعالى. *ولا تَمْشِ في الأرض مرحًا إن الله لا يُحِبُّ كلَّ مختالٍ فخور واقصد في مشيك* . **سورة لقمان:** ١٨و ١٩.

ولذلك يقول الأستاذ مالك بن نبي: إنَّ الذي ينقص المسلم ليس هو منطق الفكرة بل هو منطق العمل والحركة، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرداً، وليس أكثر من ذلك.

التوجيه الفني للصناعة

يقول الأستاذ مالك بن نبي: «كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة».

ومن المسلم به أنّ الصناعة بالنسبة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، ولكنها بالنسبة للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، وهو ما يجب ملاحظته بين هذين الاعتبارين، ولذلك يدعو الأستاذ إلى ضرورة إنشاء مجلسٍ للتوجيه الفني برسم المنهج على مبادئ تكفل له أداء دوره الفعال في بناء الأمة واستمرار نموها.

المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي في بناء الحضارة

لا يفصل الأستاذ مالك بن نبي مبادئ الأخلاق عن الذوق الجمالي في بناء اتجاه الحضارة ورقي الأمم، غير أنه يقدم المبدأ الأخلاقي على الذوق الجمالي في «سلّم» القيم الثقافية ويصوغها في صورة جبرية كالتالي: مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي = اتجاه حضاري

وعلى هذا الأساس ينبثق لدينا نموذجان من المجتمع:

نموذج يقوم فيه النشاط أساسًا على الدوافع الجمالية، ونموذج يقوم فيه النشاط على الدوافع الأخلاقية أولاً. وهنا يُجري الأستاذ ابن نبي مقارنة بين المجتمع الغربي والمجتمع الإسلامي، فيرى أنّ المجتمع الغربي قد انطلق من نقطة معينة في إبراز جمال المرأة، على سبيل المثال لا الحصر بكلّ ما يُمكن أن يوضح مظهره، أما في المجتمع الإسلامي فنجد أن تطورّ الملابس قد اتخذ اتجاهًا مخالفًا ألا وهو إخفاء جمال المرأة، وهذا لا يعني في نظر الأستاذ أن الثقافة الإسلامية تفتقد عنصر الجمال، بل العكس من ذلك تمامًا، فهي تضعه في مكان آخر من سلم القيم الثقافية. إنّ هذا الاختلاف يعود إلى الأصول البعيدة لكلتيهما، **فالثقافة الغربية** قد ورثت ذوق الجمال من التراث اليوناني الروماني، أما الثقافة الإسلامية فقد ورثت الشغف بالحقيقة من بين ميزات الفكر السامي، ولذلك فكل ثقافة تتضمن علاقة مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي تكون ذات دلالة على نوع عبقرية مجتمع معين، وهي ليست تطبع إنتاجه الأدبي بطابع خاص فحسب وإنما تحدد اتجاهه في التاريخ أيضًا.

فكل ثقافة تمنح الأولوية لذوق الجمال، إنما هي في الحقيقة تغذي حضارة تنتهي إلى فضيحة حمراء...، وكل ثقافة تمنح الأولوية للمبدأ الأخلاقي تكون حضارة مآلها التحجر والجمود، وتنتهي إلى فضيحة صامتة، غير أنّ المركّب الفعلي والحضاري هو الذي يجمع بين المبدأين على النحو التالي، الأخلاق أولاً، والذوق الجمالي ثانيًا، ثم إنّ أي خطأ يحدث في هذه العلاقات قد ينتهي لا محالة في آخر المطاف إلى خلل في توازن الحضارة وفي كيانها.

المراجع

١ ـ شروط النهضة ـ مالك بن نبي ـ ترجمة عبد الصبور شاهين ـ دار الفكر ١٩٨٦ ص ٧٨ إلى غاية ١٠٥.
٢ ـ مالك بن نبي مفكراً إصلاحيًا لمؤلفه د. أسعد السحمراني ـ دار النفائس صفحة ٢٢٢ طبعة ٢، بيروت ١٩٨٣م.
٣ ـ مشكلة الثقافة ـ مالك بن نبي ـ ترجمة عبدالصبور شاهين ـ دار الفكر طبعة ٤، ١٩٨٤م.
٤ ـ مجلة القافلة ـ العدد الأول، المجلد الثاني والأربعون حزيران/يونيو ١٩٩٣م ـ شركة أرامكو المملكة العربية السعودية.

الموازنة بين المضامين الثقافية في الأمثال العربية والصينية

عبدالقادر جو لي تساي

لكلٍّ من الأمة العربية والأمة الصينية تاريخ عريق وحضارة باهرة، وفي هاتين الحضارتين تتلألأ الأمثال والحكم الشعبية كاللآلئ براقة تشع نورها في روعة وبهاء.

وتعدّ الأمثال والحكم خلاصة التجارب والمعارف، وبلورة ذكاء الشعب، وهي نابعة من الحياة الاجتماعية، وجذورها مترسخة في الأرض الخصبة من حضارة الأمة، وهي تتميز ببساطة الألفاظ وعمق الدلالات. وفي هذا البحث نحاول القيام بمقارنة بين الأمثال العربية والصينية من حيث مضامينها الثقافية. وبما أن نقاط التشابه بينهما لا تشكل صعوبة في الفهم، فسوف نركز في بحثنا على أهم النقاط:

الأمثال العربية والصينية التي تختلف مضامينها الثقافية باختلاف البيئة الطبيعية الجغرافية

تختلف خصائص الثقافات البشرية وصفاتها باختلاف البيئة الطبيعية. ولكون الأمثال لب اللغة، فإن لها علاقة وثيقة بالبيئة الجغرافية التي يعيش فيها الناس. فالبيئة الجغرافية التي تعيش فيها الأمة العربية تختلف عن البيئة الجغرافية التي تعيش فيها الأمة الصينية اختلافًا شاسعًا، لذا نجد هناك اختلافات كبيرة بين أمثال اللغتين من حيث الأشكال والمضامين والخصائص.

فقد كان أجداد العرب يعيشون في الصحارى والسهول في حالة ترحال سعيًا وراء الماء والأعشاب، ومن ثم تبلورت لديهم ثقافة صحراوية متميزة. وإذا ألقينا نظرة شاملة على الأمثال الشعبية العربية وجدنا عددًا كبيرًا من الأمثال والحكم تتصف بصفات صحراوية، وهذه الأمثال تتخذ الأشياء الموجودة في الصحراء والسهول مادة لمعناها ومغزاها، مثل المرعى والغنم والإبل، والحصان، والتمر والعنب إلخ. وعلى سبيل المثال ، هناك ظاهرة السراب التي تظهر أحيانًا في الصحراء، ويعرف العرب البداة الرّحل من خبراتهم في الحياة أن ظاهرة السراب التي تبدو فيها واحة وخضرة وماء ليست إلا ظاهرة كاذبة مزيفة، وعليه جاء مثل «مس الثرى خير من السراب» ويضرب لمعنى «اقتصارك على قليلك خير من اغترارك بمال غيرك» ومثل آخر «أوردهم حياض عطيش»، وحياض عطيش يعني مياه عطيش، والسراب يسمى مياه عطيش، ومعنى المثل هو «جعلهم يهلكون»، وهناك مثل عراقي «يطلب المطر في تموز» والمطر في العراق ينزل دائمًا في فصل الشتاء، وليس في الصيف، ويعد شهر تموز أقل أشهر السنة مطرًا، والمثل يدل على الاستحالة.

وهناك أمثال عربية تعكس النشاطات الإنتاجية للبدو من العرب لها طابع صحراوي. ومن المعروف أن المثل الشعبي ناتج من خبرات الحياة للبشر، والأمثال العربية ترسم لنا صورة حياة العرب البدو في العهود القديمة مثل «التمر في البئر وعلى ظهر الجمل»، والمثل ينصح الناس ببذل الجهد، فمن سقى وجد، ونتيجة سقيه في تمره. ومثل آخر «أتبع الفرس لجامها والناقة زمامها» ومعناه أنك قد جُدت بالفرس فأتم الحاجة، وجُدْ باللجام، لأن الفرس لا تستغني عن اللجام، وبذلك يكمل فضلك.

و هناك بعض الأمثال من هذا النوع يصعب على الصيني فهمها، إذ إنه لا يألف البيئة التي نشأت منها الأمثال العربية. ومثال ذلك «إنه لجذيل حكاك» الجذل هو الجزء الظاهر من الشجرة في الأرض بعد قطعها، والحكاك: الإبل تحتك بساق الشجرة، والمثل يضرب لمن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالجذل إذا احتكت به. ومن المستحيل فهم معنى هذا المثل لدى الصينيين. ومثل آخر من هذا القبيل: «الإيناس قبل الإبساس» الإيناس بمعنى إيقاعه في الأنس، والإبساس هو الرفق بالناقة عندالحلب، والمثل يضرب في المداراة عند الطلب، والمثل الصيني في هذا المعنى هو«إذا أردت أن تأخذ منه فأعطه أولاً». وهناك مثل عربي «أساء رعيًا فسقى»، أصله أن يسيء الراعي رعي الإبل في نهاره، حتى إذا أراد أن يذهب بها إلى أهلها، كره أن يظهر لهم سوء أثره فيها، فيسقيها الماء لتمتلئ منه أجوافها. ويضرب المثل للرجل الذي لا يحكم الأمر، ثم يريد إصلاحه فيزيده فسادًا. وفي اللغة الصينية مثل مقابل «كلما حاول ستره زاده افتضاحًا». ومثل عربي آخر متعلق بالبيئة «حي يريد تمرة وميت علق له عُرجون» مفاده أن رجلاً جائعًا مر ببستان للنخيل،

فطلب تمرة من صاحب البستان، فذهب الرجل الطيب القلب ليحضر له عُرجوناً من التمور، وعندما رجع وجد أن الرجل قد مات جوعاً. والمثل يضرب لمن يعمل بنية طيبة، ولكنها تؤدي إلى نتيجة سيئة. والمثل الصيني في هذا المعنى هو «لقمة واحدة عند الجوع خير من قنطار عند الشبع» والأمثال العربية من هذا النوع كثيرة يصعب على الصيني فهمها مثل «لا ناقتي في هذا ولا جملي» يضرب عند التبرؤ من ظلم وإساءة، «ولا في العير ولا في النفير» إلخ.

ونلاحظ أن الأمثال العربية والأمثال الصينية تعبير عن المدلولات نفسها بمختلف التشبيهات. هناك مثل عربي «يفتش عن كنز دفنه تحت ظل سحابة» وفي اللغة الصينية مثل يماثل معنى المثل العربي: «يبحث عن السيف حسب العلامة المنقوشة على الزورق»، وقصتها أن رجلاً كان يركب زورقاً لعبور النهر، فسقط منه سيفه في النهر، فنقش في الحال في مكان سقوط السيف علامة على جانب خشبي من الزورق ليبحث عن السيف حسب العلامة. والمثلان يؤديان المعنى نفسه، لكن بأسلوب مختلف متعلق بالبيئة. فالأول بحث عن شيء حسب ظل السحابة، والثاني بحث عن شيء حسب العلامة المنقوشة. ومن المثلين المذكورين نعرف أن الأمم في العالم قد تختلف في أساليب التفكير وأساليب التعبير عن شيء ما، إلا أنها تشترك في مبادئ وأساسيات التفكير، ومعرفة العالم الخارجي. ونسرد فيما يلي بعض الأمثال العربية ونظائرها الصينية التي لها علاقة بالبيئة:

أمثال عربية:

«إذا سقطت البقرة اجتمعت السكاكين».

«لا دخان بلا نار».

«الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ».

«راح يبحث عن صوف فعاد مجزوزاً».

أمثال صينية:

«إذا تداعى الحائط تضافرت الأيدي لتهديمه».

«لا موج بلا ريح».

«الخنزير الميت لا يؤلمه الماء الساخن».

«الخنزير يحلق من الصوف بعد ذبحه»

«خسر حفنة الرز ولم يستطع سرقة الديك».

تختلف الأمثال باختلاف الثقافة والعادات والتقاليد والبيئة الطبيعية

وطبيعة أرض الصين تختلف عن طبيعة العالم العربي اختلافاً كبيراً، حيث تكون الفصول الأربعة فيها واضحة متميزة، وتسقط الثلوج في الشتاء وتتساقط الأمطار الغزيرة في الصيف، كما أن في الصين الجبال الشامخة والسهول الواسعة، وتكثر فيها أيضاً الأنهار والبحيرات. وقد ابتكر الصينيون القُدامى من خلال حياتهم ونشاطاتهم الإنتاجية كمية كبيرة من الأمثال والحكم التي لها علاقة بالبيئة الجغرافية الصينية مثل «جبال نضيرة ومياه وفيرة»، «بلدان تربطهما الجبال والأنهار»، «الرياح مناسبة والأمطار خيرة»، وهناك بعض الأمثال من هذا النوع التي لها معان تشبيهية قد لا يفهمها العربي الذي يتميز بخلفية ثقافية تختلف عن الخلفية الثقافية الصينية. وعلى سبيل المثال مثل: «ثلج الربيع» ومعناه الأصلي أغنية قديمة رفيعة المستوى، ويضرب الآن للأدب الرفيع والفن الرفيع. «وصقيع فوق الثّلج، «أي نكبة فوق نكبة»، و«جنوب الجبال وشمال البحار» (من أقصى البلاد إلى أقصاها)، «اختلاف بين كاختلاف نهر جين ونهر وي» نهر جين نهر صافي المياه، ونهر وي نهر عكر المياه، يضرب بالفرق الواضح كالفرق بين الثرى والثريا.

الأمثال العربية والصينية ذات المضامين الثقافية التي تتخذ الحيوانات والنباتات مشبَّهًا به

ترتبط حياة الإنسان ونشاطاته الإنتاجية بالحيوانات والنباتات. توجد في مختلف لغات العالم أمثال شعبية تستعمل فيها الحيوانات والنباتات كالمشبه به، وذلك لبيين الحقيقة والمبادئ الأساسية، والمعاني العميقة باستخدام خواص تشكيلية للحيوانات والنباتات، وكذلك طباعها وسجاياها استعانة بصورها الملموسة الحية. والأمثال العربية من هذا النوع كثيرة منها «اختلط الشعير والأرز»، وفي الصينية «تجرف الطمي مع الرمال»، «من صار نعجة أكله الذئب»، «السنور الصائح لا يصطاد شيئاً»، وفي الصينية «إذا غاب النمر صار القرد ملكاً في الجبل»، «ذبح الديك لتخويف القرد». ومعاني هذه الأمثال لا يصعب فهمها لدى أبناء الأمتين العربية والصينية، ولكن هناك عدداً كبيراً من أمثال هذا النوع لا يفهمها إلا أبناء الأمة الواحدة فقط، وذلك لأن بعض الحيوانات والنباتات قد تكون موجودة بكثرة في الوطن العربي، غير أنها قد تكون نادرة الوجود في الصين، وبالعكس. ومن ثم قد يجهل أبناء الأمة الصينية الخصائص والطباع لبعض الحيوانات والنباتات الموجودة في الأقطار العربية، فيصعب عليهم فهم المعاني الثقافية التي تتضمنها الأمثال التي تتخذ هذه الحيوانات والنباتات مادة للتشبيه. ومثال ذلك مثل عربي «لا يكون كذا حتى يحنّ الضب في إثر الإبل الصادرة» وهذا لا يكون لأن الضب لا يرد الماء، ولا حاجة به إلى الماء. وفي اللغة الصينية يؤدي المعنى نفسه بمثل «طلعت الشمس من الغرب». وهناك مثل عربي آخر « مثل النعامة لا طير يطير ولا جمل يحمل». يقال عند العرب في النعامة إنه حيوان مركب من خلقة الطير وخلقة الجمل، أخذ من الجمل العنق والوظيف والمنسم، ومن الطير الجناح والمنقار والريش، ويضرب لمن لا يحكم له بخير ولا شر. والمثل الصيني الذي يؤدي المعنى نفسه، هو «لا هو حمار ولا حصان»، والمقصود به بغل. وهناك مثل شعبي سوري يقول

«الحمار حمار ولو مشى كالغزال»، ويضرب في أن قيمة الشيء بجوهره لا بمظهره. و«زيزفون يزهر ولا يثمر» يضرب للشيء البراق الفارغ. وأمثال هذه كثيرة مثل «أحنُ من شارف» و«أصدق من القطا»، و«أجبن من نعامة»، و«آلف من غراب عُقدة»، و«أذل من بيضة البلد» و«أثبت من قُراد» وكلها أمثال لايألفها الصينيون، ومن ثم يصعب عليهم فهمها وترجمتها.

وفي اللغة الصينية أمثال اتخذ فيها المشبه به من الحيوانات والنباتات الشائعة الوجود في الصين التي لا يألفها العرب، فمثلاً :إن الخيزران (البامبو) نبات شائع الوجود في جنوب الصين، وله استعمال متنوع، وفي اللغة الصينية أمثال كثيرة تضرب بالخيزران، وربما يصعب على العربي فهم مضامينها التشبيهية، ومن أمثال هذا «مثل عساليج البامبو بعد مطرة ربيعية»، وذلك أن عساليج البامبو تنمو في الربيع نمواً سريعاً بعد المطر، يضرب المثل بخواص عساليج البامبو للشيء السريع النمو. و«كل ألواح البامبو لا تكفي للتسجيل» كان القدماء الصينيون يكتبون على ألواح البامبو قبل اختراع الورق، ويضرب المثل لمن جرائمه لا تحصى ولاتعد مثل قولهم «من الصعب أن تسجل كل جرائمه ولو كان البحر مداداً» .و«أنتش غصن خارج عقدة البامبو» يضرب لظهور مشاكل جانبية أو جديدة فجأة وإن عدد الأمثال الصينية التي تتخذ من الحيوانات والنباتات مادتها التشبيهية تحمل الطابع القومي كثير جداً.

وهذا مزيد من تلك الأمثلة: «قد ينقطع جذر اللوتس ولكن أليافه تبقى متصلة»، يضرب للعلاقة بين الطرفين بأنه على الرغم من القطيعة ظلت القلوب مترابطة. ومثل «تزهر شجرة الحديد» هناك نوع من الشجر في الصين يسمى بشجرة الحديد، ولا تزهر إلا نادراً، يضرب لشيء قلما يجود الدهر بمثله كقول العرب «نادر مثل الشحرور الأبيض»، وهناك مثل صيني «التقاء الطحالب على صفحة الماء» معناه تلاقيا دون سابق معرفة، ومثل آخر «حشرة أم أربع وأربعين تموت ولا تكف عن الحركة» يضرب للشيء قد فات أوانه إلا أنه لا يزال يظهر أثره.


ثقافة الأمة تؤثر في أمثالها

الأمثال العربية والصينية التي لها علاقة بالحياة اليومية والعادات والتقاليد

يختلف أسلوب الحياة والعادات بين العرب والصينيين اختلافاً كبيراً. ويمكننا أن نرى صور الحياة والعادات للعرب والصينيين من خلال الأمثال.

يشكل الأكل جزءاً من ثقافة الأمة، ولكلتا الأمتين العربية والصينية عادات خاصة في الأكل. فاللبن والزبدة هما من أطعمة العرب اليومية، ولذلك نجد أمثالاً كثيرة تأخذ اللبن والسمن كمشبه به، مثل «المكتوي بالحليب الساخن ينفخ على اللبن الزبادي»، ويضرب المثل لمن أصيب بأذى، فخاف من أشباهها. وهناك مثل آخر: «إن السِّلاء لمن أقام وولَد». السِّلاء هو السمن الخالص، والمثل يعني أن النتاج ومنافعه لمن أقام وأعان على الولادة، لا لمن غفل وأهمل، ويضرب في ذم الكسل. ومثل: «إن الرّثيئة تفثأ الغضب» يحكى أن رجلاً نزل بقوم وكان ساخطاً، وكان مع سخطه جائعاً، فسقوه الرّثيئة، فسكن غضبه، يضرب المثل في الهدية تورث الوفاق وإن قلّت. وأمثال هذا النوع كثيرة «مثل الشحم على النار»

يضرب للخطر العاجل، «وكالسكين في قطعة الزبد»، يضرب لإتمام العمل بصورة قاطعة. إلخ.

ويعد الكساء والحلية نوعًا من ثقافة الأمة، ويدخل الكساء في الأمثال أيضًا. فهناك آثار ثقافة الكساء والحلية في الأمثال العربية، مثل «وأخيراً أماط عن وجهه اللثام»، ويضرب في من كشف عن نواياه الحقيقية. أما في الصين فلا توجد عادة لبس اللثام، ولذلك لا يستطيع الصيني فهم المثل إلا بعد شرح واف. ومثل: «على قد لحافك مدّ رجليك» يقابل المثل الصيني «المصروف حسب المدخول»، ومثل عربي: «إن السماء لا تغطى بالقباء» أي قدرة الواحد ضئيلة. والمثل الصيني في هذا المعنى هو: «اليد الكبيرة لا تغطي السماء».

وتدخل أدوات العمل في الحياة اليومية في الأمثال الشعبية بشكل ملحوظ، وربما لا يصعب فهمها لأبناء الأمتين مثل: «لا يجمع سيفان في غمد» تشبيهاً لعدم إمكان مشاركة العبقريين في العمل أو الحياة. «البرميل الفارغ يرن» و «هذا الغطاء ليس لتلك الطنجرة» مثل «ينسى السُلم بعد الوصول إلى السطح»، ويقابله في الصينية «ينسى الشبكة بعد الحصول على السمك» أو «يفك الجسر بعد عبوره»، والمثل الصيني «السوط طويل ولكنه لا يصل إلى بطن الحصان»، ويضرب للشيء فوق طاقته.

والعادات والتقاليد هي الأخرى تدخل الأمثال الشعبية، فلغة أمة ما أو اللغة المتداولة لبلد ما تعكس ملامح الحياة الشعبية وعادات هذه الأمة وأبناء هذا البلد وتقاليدهم. وفي الأمثال العربية بعض العادات والتقاليد التي لا يألفها الصينيون، ولذلك يصعب عليهم فهم المعاني التشبيهية لهذه الأمثال، مثل «بألم ما تختتن» أي لا يكون الختان إلا بألم، ومعناه لا يدرك الخير ويفعل المعروف إلا باحتمال مشقة، ولكن لا توجد عادة الختان في الصين، لذلك قد لا يفهم القارئ الصيني معنى هذا المثل. ومثل عربي آخر «العوان لا تُعلَّم الخمْرَة» أي إن المرأة التي تزوجت مرة بعد أخرى لا تحتاج إلى من يعلمها كيف تلبس خمارها، ويضرب للمجرب العارف. وصعوبة فهم هذا المثل للقارئ الصيني تتلخص في نقطتين: الأولى عدم وجود عادة لبس الخمار عند الصينيين، الثانية قلما تتزوج المرأة الأرملة الصينية مرة أخرى في المجتمع الإقطاعي القديم، إذ إن الزواج لها للمرة الثانية يعد نوعاً من العار عليها.

الطلاب العرب الدارسون للغة الصينية يواجهون صعوبة كبيرة في فهم بعض الأمثال الصينية ذات الدلالات الدينية

وكان الصينيون القدماء يعيشون حياة زراعية مستقرة منذ القدم، وفي اللغة الصينية أمثال لها علاقة بالحياة اليومية والعادات الصينية مثل «الجائع لا يختار الطعام»، «يمتنع عن الأكل خوفاً من أن يغص»، و«ثوب السماء لا درز له» أي كأنه صنع ساحر، ويضرب دائماً للتحليل المحكم. «هو زق خمر وشوال أرز» تشبيهاً لمن هو كثير الأكل وقليل القدرة. «وحشي في ثياب وقبعة»، ويضرب لمن مظهره براق وخلقه فاسد. و«بنى فرنا جديداً للطبخ» معناه أن يستقل عن أهله في الحياة، ويضرب للتخلي عن العمل السابق والبدء من جديد. وفي ظني أن القارئ العربي قد يفهم بعض هذه الأمثال ولا يفهم بعضها الآخر، إذ ليس لديه معرفة كاملة بالخلفية الثقافية الصينية.

الأمثال العربية والصينية ذات المضامين الثقافية الدينية

تؤثر العقائد الدينية في المجتمع البشري تأثيراً بالغاً. والدين الإسلامي يختص بالدنيا والآخرة، وله أكبر الأثر في حياة المسلمين، واللغة العربية وأمثالها. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع فيما سبق. فتندمج العقيدة الدينية للمسلمين بأساليب حياتهم اندماجاً وثيقاً، فنلاحظ أن أثر الدين الإسلامي في المسلمين أعمق وأوسع من أثر الدين المسيحي في المسيحيين، أو أثر الدين البوذي في البوذيين. وفي اللغة العربية أمثال كثيرة لها طابع ديني مميز، وهي تتعلق بالعقيدة الدينية والنشاطات الدينية والعادات الدينية، مثل «فم يسبح ويد تذبح»، «الجمل لا يذكر ربّه إلا في الوحل»، وفي اللغة الصينية مثل مقابل له «لا يحضن (أو يُقبّل) قدمي البوذا إلا عند الحاجة»، وهناك مثل مصري «عين في الجنة وعين في النار» يضرب للمتردد عند اختياره بين شيئين. وهناك مثل سوري «النذر للدير والزبالة لسمعان»، يضرب للتعبير عن التعب عليه والثمرة لغيره.

وتشكل الكونفوشية والدين البوذي والطاوية (الداوية) عماد الثقافة الصينية التقليدية، ويعد الدين البوذي أكثرها تأثيراً في الأمثال الصينية، إذ تحتوي اللغة الصينية على كمية كبيرة من الأمثال أصلها من الدين البوذي. وقد مرت هذه الأمثال بمط المعاني وتصيين الأشكال خلال عملية إدخالها إلى اللغة الصينية، وأنيطت بدلالات أوسع من دلالاتها الدينية الأصلية. وقد لاحظنا أن الطلاب العرب يواجهون صعوبة بالغة في فهم هذه الأمثال عند دراستهم للغة الصينية، ولنأخذ بعض الأمثلة: هناك مثل «ما دمت راهباً يوماً، فأدق الناقوس يوماً» يضرب لمن يعمل فاتر الحماسة وبغير اهتمام. و«طرح (مس) خمسة أطرافه على الأرض» أي الرأس والركبتان والمرفقان، ويضرب لوصف رجل معجب بفلان غاية الإعجاب، و «أشعل النار ليحرق نفسه»، بمعنى ينصب نفسه هدفاً لسهام النقد، وقد يكون معنى المثل «راهب البلاد البعيدة أجود تلاوة للكتب المقدسة» غير صعب على العرب، إذ إن هناك أمثالاً عربية تقابله، مثل «لا كرامة لنبي في وطنه»، و«زامر الحي لا يطرب». ومثل صيني آخر «تمثال بوذا الصلصاني يجتاز النهر»، يضرب لمن يعجز عن حماية نفسه إذ إن التمثال سيزول في الماء.



لغة الأمة المتداولة تعكس ملامح الحياة الشعبية

الأمثال العربية والصينية ذات المضامين الثقافية التاريخية التي جاءت من الأساطير والحكايات والقصص

تتمتع كل من الأمتين العربية والصينية بتقاليد ثقافية ذات منابع عريقة، ومن ضمن التراث الثقافي الوافر للأمتين كمية كبيرة من الأساطير والأقاصيص والحكايات الشعبية، وهذه المواد التاريخية لها انعكاساتها على الأمثال وصبغها بصبغة كثيفة من الثقافة القومية، حتى إن أبناء الأمة إذا لم يتعرفوا الخلفية التاريخية لهذه الأمثال ومصادرها، فقد يصعب عليهم فهم ما تتضمنه الأمثال من مغاز ومضارب، إذن، فما بالنا بالأجانب الذين لهم خلفية ثقافية مختلفة؟

قال عالم اللغة الصيني هو مينغ يانغ: «إن المثل غالباً ما يكون حكاية تاريخية أو عملاً أدبياً كلاسيكياً. وهناك مثل معروف لدى العرب، «رجع بخفي حنين» والقارئ لا يفهمه إلا بمعرفة قصته. وأصله أن حنيناً كان إسكافيًا من أهل الحيرة، فساومه أعرابي بخفين، فاختلفا حتى غضب حنين وأراد غيظ الأعرابي، فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال ما أشبه هذا الخف بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى. ولما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، وقد كمن له حنين، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها. وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ماذا جئت من سفرك؟ فقال جئت بخفي حنين، فصار مثلاً. وفي اللغة الصينية مثل يؤدي هذا المعنى هو «يلتقط حبة السمسم ويعمى عن حبة بطيخ». والأمثال العربية التي جاءت من الأساطير والحكايات كثيرة مثل «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض»، «إن وراء الأكمة ما وراءها». وبعض الأمثال لها علاقة بالخلفيات التاريخية أو الأحداث التاريخية مثل «لأمر ما جدع قصير أنفه»، و«لا يطاع لقصير أمر»، «جزاه جزاء سنمار»، و«المخوزق يشتم السلطان»، يضرب المثل لمن ارتكب أخطاء أو ذنوباً وفقد أمله في الحياة، فيعامل الناس بجرأة طائشة.

وفي اللغة الصينية كذلك عدد كبير من الأمثال لها أصولها التاريخية من الأساطير والأقاويل الخرافية والأحداث التاريخية. فهناك مثل «يحب السيد يه التنين». كان السيد يه يحب التنين كثيراً، فرسم على الأوعية وجدران غرفته تنانين كثيرة. وجاءه يوماً التنين الحقيقي، فخاف منه وذهب رشده، يضرب المثل لوصف الشخص الشغوف بعمل أو شيء ظاهرياً وهو في الحقيقة لا يحبه.

وهناك وصف آخر لشخص كسول بالمثل القائل «ينتظر الأرنب عند الشجرة»، وله قصة خلاصتها أنه رأى يوماً أرنباً يفر ويصطدم بشجرة ويقع في يده، فظن أن بوسعه الانتظار كل يوم لأرنب آخر، ولكن ضاع وقته من دون طائل. وأمثال «تحدث عن تكتيك الحرب على الورق»، «أنساه الكأس والمزمار العودة إلى الدار» و «انتضى الخنجر من قلب الخريطة» وكل هذه الأمثال مقتبسة من الأحداث التاريخية، ويجب تعرف مصادرها ثم فهم مضاربها.

الأمثال العربية والصينية التي تنبع من نفسيات الأمة وتذوقها للجمال

في مسيرة تطور التاريخ تشكلت التقاليد الثقافية القومية الخاصة لكل أمة، وتشكلت أيضاً النفسية القومية، ومقاييس تذوق الجمال، وهي تحكم في أفكار أبناء الأمة وتصرفاتهم، وتؤثر في مدى معرفة الناس للأشياء وتقويمهم لها، والأمثال والحكم بوصفها خلاصة اللغة، فإنها تعكس بالطبع هذه القيم والمقاييس والمفاهيم التقليدية.

وتتجسد المشاعر والمعاني التي أضفاها الإنسان على بعض الحيوانات والنباتات في الأمثال، إذ من الملاحظ أنه لأعضاء كتلة ثقافية ما مشاعر من الحب والبغض مشتركة، وموقف مشترك في المدح والذم لبعض الحيوانات والنباتات، وذلك بربطها ببعض الخواص والأخلاق، على الرغم من أنه ليس لهذه المشاعر والمعاني أساس علمي، وتدخل هذه المعاني في الأمثال، وأكسبتها معاني ثقافية أو إضافية أومجازية. إلا أن هذه المعاني قد تجعل

كثيراً ما تعبر الأمثال عن مقاييس الجمال عند أمة من الأمم في عصر معين

القارئ من غير الأمة يشعر بصعوبة الفهم. وعلى سبيل المثال: هناك مثل عربي «ليمونة في بلد متقززة»، فالليمون فاكهة محبوبة لدى العرب، ونوع من توابلهم المفضلة، والصينيون لايستعملونه كثيراً ولا يحبونه كما يحبه العرب، لذا فإنه يصعب على الصينيين فهم مضمون المثل، وهو أن الشيء الجيد قد لا يلقى استحساناً من بعض الناس. مثل آخر «ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل». الدخل هو العيب الباطن، يضرب المثل للذي له المنظر ولا خير عنده، وربما لا يفهم الصيني المعنى المضروب للمثل، لأنه لا يألف شجرة النخل وصفاتها التي أضفاها العرب عليها وهي الاستقامة والأخلاق الفاضلة.

وهناك بعض أسماء الحيوانات والنباتات في اللغة الصينية تكمن فيها أيضاً المعاني الثقافية الوافرة، وتدخل هذه المعاني في الأمثال الشعبية مثل «يبحث عن الأزهار ويتلمس الصفصاف» بمعنى يسعى وراء الملذات ويتردد على أماكن الدعارة. و «كمن يعزف أمام البقرة»، بمعنى ذهبت الجهود سدى، ومقابله في العربية «كمن يغني في الطاحون» أو «كمن يعظ في الصحراء» ومثل آخر «مثل كركي يقف بين الدجاج»، وهناك مثل عربي بالشكل نفسه والمعنى هو «بجعة تقف بين البط». ومثل صيني «هو كالفأر العابر الشارع»، بمعنى إذا رآه الناس هتفوا «اقتلوه، اقتلوه» يضرب لمن كان هدفاً لسخط الناس وشجبهم. ويعد الكلب في نظرة الصينيين حيواناً حقيراً، فيضرب المثل به دائماً لمعنى الذم والبغض مثل «اضرب الكلب الغرق في الماء» و «لا تجد العاج من فم الكلب» إلخ.

وتدخل الألوان في الأمثال أيضاً، وقد ذكرنا سابقاً أمثالاً من هذا القبيل مثل «خبئ قرشك الأبيض ليومك الأسود»، و «لا يملك الأبيض ولا الأسود»، و«هو أزرق العين»و«أسود الكبد»و «أصهب السبال»،وهذه الأمثال تقال للعدو، وتضرب في الاستشهاد على البغض، وربما يخطئ الصيني في فهم معانيها.

وبالنسبة إلى مقاييس تذوق الجمال عند الصينيين، نلاحظ أن لديهم مقاييس لتذوق الجمال مختلفة في العصور المختلفة. وهناك قول شعبي يقول «إن الملك في مملكة تسي كان يحب أن يرى جارياته ووصائفه رشيقات، فمات الكثير منهن جوعاً». من هذا القول الشعبي نعرف أن الناس كانوا يحبون الرشاقة في ذلك العهد. وهناك عبارة أخرى «رشاقة جاو في يان وسمن يانغ يوي هوان»، وهذا يدل على أن الناس في العهد الذي كانت تعيش فيه جاو في يان كانوا يحبون الرشاقة، أما الناس في عهد يانغ يوي هوان فكانوا يحبون البدانة. ونلاحظ أيضاً أن الأمثال الصينية التي لها علاقة بالرشاقة أو البدانة بعضها يحمل معاني المدح وبعضها الآخر يحمل معاني الذم، مثل «رأس ضخم وكرش مكتنز» (ذم)، و «هو امتلأ شحماً ولحماً(ذم)، «إن انشراح الصدر يأتي بامتلاء الجسم» (مدح).

أما مقاييس تذوق الجمال للعرب، فنستطيع أن نعرف شيئاً منها من خلال الأمثال العربية مثل «سمن حتى صار كأنه الخرس» (الخرس الدن العظيم)، و«القرد في عين أمه غزال». يدل المثلان على أن العرب يحبون الرشاقة. ولكن بعض الأمثال العربية تدل على أن السمن شيء مرغوب فيه. فهناك مثل «سمن كلب ببؤس أهله» (كلب: اسم رجل)، ومثل آخر«السمن يغطي العيب»، وقد فسرته بعض الكتب بأن سمن المرأة يجعلها أجمل، والعرب يميلون إلى المرأة الممتلئة. أما تغيرات مقاييس تذوق الجمال في العهد الحديث، فإنها خارجة عما تعكسه الأمثال الشعبية التقليدية.

ومجمل القول: إن الأمثال الشعبية هي عبارات تتركز وتتكثف فيها التقاليد الثقافية والعادات الشعبية، وتعكس سمات الثقافة التاريخية والاجتماعية واللغوية للأمة، ويعد البحث فيها وفي اختلافات المضامين الثقافية بين الأمثال العربية والصينية موضوعاً ضخماً ومعقداً، ويشمل الجوانب المتعددة من اللغة والثقافة، ويساعد البحث في هذه الجوانب على تعلم الصينيين للغة العربية وتعلم العرب للغة الصينية، وليس هذا فحسب، بل إنه يساهم في التعارف المتبادل بين الثقافتين العربية والصينية وفي تقاربهما وامتصاص إحداهما من الأخرى.

لمسات درامية في مصر القديمة

خالد الشريقي

يرى ألاردس نيكول(١) أن المسرح قد بدأ حوالى عام ٤٩٠ق.م، وأن ذلك كان حين عرض أسخيلوس اليوناني أمام النظارة أولى مسرحياته التراجيدية في أثينا وهي(الضارعات). على أنه يضيف أنّ التسلية المسرحية كانت موجودة قبل ذلك بمئات السنين، وأن الكتّاب الإغريق أفادوا الكثير في مسرحياتهم شكلاً ومضموناً من رجال الدين الذين كانوا يمثلون المسرحيات الدينية المقدسة في مصر القديمة(٢) التي تصوّر احتفالات المصريين القدماء بعيد(أوزوريس) رب الخصب والنّماء، والذين كانوا يقدمونها على شكل رقصات دينية أمام الجمهور.

في حين أن شلدون تشيني(٣) يعـود بنا إلى العصر الحجري عندما يحاول أن يجعلنا نتصوّر إنسان الكهوف الذي يمثل للآخرين كيف استطاع أن يقتل أسداً، فيثب واقفاً، ويطلب من أحدهم أن يمثّل دور الأسد، ويبدأ الرجلان ـ أول ممثلين في التاريخ ـ يعرضان على أفراد القبيلة كيف وقع هذا الحادث، فهما لايسردان تفاصيل ماحدث، بل يقومان بتمثيله بأن يكمن القانص في أحد الأدغال وهو يسدّد حربته إلى الأسد الذي يزأر ويزمجر، وعندما يرمي حربته، يسقط الأسد أمام أفراد القبيلة الذين يندمجون في هذا المشهد مرددين صرخات الرعب بفعل الإثارة التي شاهدوها، وبذلك يكونون أول فرقة إنشاد جماعية(كورس)، وسيكون هذا التمثيل إيمائيًا(بالإشارات)، وسيعاد تمثيل هذا الحادث في وقت آخر، وستتبلور القصة فيما بعد نتيجة التكرار ويصبح لها الهدف الخاص بها، وربما أصبحت فيما بعد مسرحية من مسرحيات الطقوس الدينية، يعاد تمثيلها في جميع حالات القنص بدلاً من تمثيل كل حالة قنص حقيقية على حدة، وهذا ما يؤدي إلى قيام مسرح تشترك فيه القصة والموسيقى والرقص كلما ازداد الشعب ثقافة.

إن هذا يقودنا إلى القناعة بأن هذه الحركات الإيمائية التي تعتمد على التمثيل الصامت



حرص المصريون القدماء على تسجيل نشاطاتهم اليومية

(بالإشارات)، أسبق في نشأتها من الرقص وغيره من العناصر الأخرى التي يتألف منها المسرح، ونستطيع أن نجزم(٤) بأن هذه كانت إحدى الطرائق التي نشأت المسرحية على غرارها في كثير من الأصقاع وكثير من الأزمنة، وذلك قبل نشأة المسرح في بلاد اليونان.

ويشكك بعض الباحثين في وجود مسرح في مصر القديمة بسبب عدم العثور على نصوص واضحة تدلّ على ذلك، ولخلو اللغة المصرية القديمة من كلمات ذات دلالة على التمثيل والمحاكاة(٥)، لكن دريوتون(٦) يشير إلى أن المصريين كانت لهم حفلات محاكاة يؤدون فيها شعائرهم الدينية، دلّ عليها حلّ رموز النصوص الهيروغليفية، ودراسة النقوش التي وجدت على المعابد، ويذكّرنا أن بنيدت في عام ١٩٠٠م ذهب إلى أنّ تطور المسرح المصري كان وليداً لهذه الشعائر، كما حدث فيما بعد للمسرح الإغريقي؛ في حين أن فيدمان في عام ١٩٠٥م يذهب إلى أنّ مصر لم تتخط مرحلة

العروض الدينية، وأن الإغريق هم الذين استطاعوا أن ينتهوا بها إلى الوضع المسرحي.

وعندما نشر كورت زيته في عام ١٩٢٨م وثيقة بعنوان «نصوص دارمية»، أخرج بذلك المسرح المصري من الغموض إلى الحقيقة.

ويعطينا الاردس نيكول القناعة التامة بأن أسخيلوس الكاتب المسرحي اليوناني لم يخترع المأساة اختراعاً، وإنما تناول بالتنقيح تقاليد يونانية نامية، نمت وترعرعت بالتدريج إلى أن أثمرت المسرح كما نعرفه اليوم، لكنه ما يلبث أن يعمق الهوة بيننا وبين بدايات المسرح عندما يذكرنا بأننا نضرب على غير هدى بخصوص هذا الموضوع، ولا نزيد على أن نحزر، وأننا لا نستطيع أن نتبين غير صورة باهتة لرقصة المحاكاة في مجتمعات ما قبل التاريخ، ومهما وصلنا إلى قناعة بأن الرقصات الدينية التي اتخذت صورة أقرب إلى المظهر المسرحي، وبأن السمار الشعبيين قد أسهموا في بناء الفن المسرحي فيما بعد، فليس في حوزتنا والحالة هذه أي شاهد يسمو بهذه الظنون إلى مرتبة اليقين(٧).

وقد كانت المعابد لدى قدماء المصريين(٨) تقام وسط المدن، وكانوا يشقون إليها طريقاً واسعاً ليستوعب المواكب الضخمة التي كانت تحتشد لتعظيم الآلهة في الأعياد، وكانوا يمثلون فيها الروايات القديمة والحوادث التاريخية إلى جانب حفلات الموسيقى والرقص التي كانت من العناصر الرئيسة التي نشأت منها المسرحية.

المأساة الأوزورية

قبل حوالى ألفي عام قبل الميلاد تقريباً، ظهرت في مصر القديمة مأساة أوزوريس التي تصور طبائع البشر وعواطفهم من حب وغدر وانتقام، كما أنها ترسخ في النهاية قاعدة أن الحق والعدل لابد أن ينتصرا ويتغلبا على الشر والغدر.

وقد تعلق المصريون القدماء بهذه المأساة وأحبوها وأصبحت من صلب معتقداتهم الدينية، كما أصبحت الأساس الذي تعتمد عليه هذه الديانة القديمة.

نتيجة زواج إله الأرض وإلهة السماء، فقد أنجبا أوزوريس (الذي يمثل الخير) وست(الذي يمثل الشر)، إضافة إلى أختيهما إيزيس ونفتيس.

تزوج أوزوريس(إله الخصب والنماء) بأخته إيزيس كما هي العادة في مصر القديمة، كما تزوج ست بأخته نفتيس، وكان أوزوريس ملكاً على الأرض محبوباً يحكم بالعدل والحق، مما أثار عليه ضغينة أخيه ست الشرير، فبيّت له وغدر به وقتله وألقى بجثته في النيل، فجرفها التيار إلى البحر الأبيض المتوسط حتى وصلت إلى جبل في لبنان.

وراحت إيزيس المفجوعة تبحث عن زوجها حتى عثرت على جثته، فأعادته إلى مصر وخبأته، لكن ست الشرير القاتل عثر عليه فقطع جثته وألقى بأجزائها في أماكن مختلفة من مصر، وراحت إيزيس الحزينة تبحث من جديد عن أشلاء زوجها، حتى استطاعت جمعها وإعادة الحياة إليه ليصبح فيما بعد إله العالم السفلي(٩)، وتمكن ابنهما(حورس) فيما بعد من الانتقام لأبيه واستعادة ملكه.

عبد الإنسان المصري القديم الإله أوزوريس إلى جانب آلهة أخرى، وأقام له في كل عام عيداً في موسم الحصاد يمتد عدة أيام، يعيد فيها تصوير قصة مصرع أوزوريس، ويجسد فيها آلامه ورجعته إلى الحياة، وكانت هذه الطقوس تتطور مع الزمن

الحركات الإيمائية التي تعتمد على التمثيل الصامت أسبق في نشأتها من العناصر الأخرى للمسرح

وتأخذ أشكالاً متقدمة، وتعد هذه القصة من أوضح العقائد الدينية للمصريين القدماء في الحياة بعد الموت، فحصد أعواد القمح على ضفاف النيل يعبر عن مقتل أوزوريس، في حين أن عودة المحصول الجديد للظهور ترمز إلى بعث أوزوريس إلى الحياة.

تخبرنا إيرينا لكسوفا(١٠) أن لدينا وثائق محددة بالتمثيليات الدينية المصرية، وأن مأساة أوزوريس كانت تمثل في مدينة(أبيدوس) في عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية، وأن معلوماتنا هذه مستمدة من لوحة المشرف على بيت المال في ذلك الوقت إيخر نفرت، وأنه لم يكن المقصود من هذه التمثيليات التعبير عن معارك بطريقة واقعية، وأن بعض الأشخاص المشتركين في التمثيلية كانوا يؤدون أدوارهم بانفعال كبير ويوجهون إلى زملائهم ضربات حقيقية.

وقد نظم إيخرنفرت الطقوس والاحتفالات الدينية في(أبيدوس)، وبنى ضريحاً جديداً لأوزوريس، كما أنشأ بعض الأدوات المسرحية لآلام هذه المناسبة(١١)، وتوسع في عرض الشعائر الدينية، كما أعاد صوغ مواد قديمة أمام الملك سيزوستريس الثالث(١٨٨٧-١٨٤٩ق.م)(١٢)، وإن كانت هذه الصياغة لا تعطينا صورة حقة عما إذا كانت تحمل طابعاً دراميًا كاملاً، أم إنها لم تكن غير طقوس وشعائر فيها إسهاب وتطويل(١٣)، يقوم بها رجال الدين في مواكب تسير نحو المعبد تمثل جميع مراحل حياة أوزوريس والانتقام له من قاتليه، ولما كان أوزوريس إله الخصب والنماء فقد غدت هذه الشعائر الدينية تمثل حزن الإنسان(١٤) في أوقات القحط والجدب، وسعادته في أوقات الخصب والنماء، كما كانت أيضاً محاولة من جانب الإنسان لإدراك كنه الظواهر الطبيعية، ومحاولة منه لإرضائها.

وقد وصف هيرودوت(١٥) احتفالات المصريين القدماء بعيد أوزوريس فقال: «حينما تؤذن الشمس بالمغيب يأخذ نفر من الكهنة في التجول حول التمثال، بينما تقف كثرة منهم على باب المعبد وفي أيديهم عصي غليظة من الخشب، وإلى جانبهم يحتشد الذين جاؤوا للوفاء بالنذور في جمع يربي على الألف وفي أيديهم عصي، ومن قبل هذا بليلة يكونون قد نقلوا التمثال إلى هيكل آخر فيضعونه في عربة ذات عجلات أربع، يدفعها الجمع القليل الذي كان قائماً إلى جانب التمثال، أما هؤلاء الذين كانوا وقوفاً عند باب المعبد فإنهم يسدون المدخل، فإذا ما خف الموفون بالنذور إلى نجدة الآلهة، أشبعوهم ضرباً، غير أنهم لا يستسلمون، وينشب بين الجمعين عراك شديد بالعصي تشج فيه الرؤوس، ولقد تراءى لي أن الكثيرين منهم قضوا نحبهم مثخنين بجراحهم»(١٦).

الممثلون الجوالون

وكان الممثلون المتجولون في عهد الأسرة الثانية عشرة يقومون في الميادين، فيغنون ويرقصون، بل يمثلون مسرحيات وفقاً لبرامج مرسومة لهم، والقرويون من حولهم في أيام الأعياد، فقد كان إلى جانب مسرحيات العقيدة الأوزورية ذات الطابع الطقسي، تمثيليات أخرى تعرض على الجمهور، يقوم بالتمثيل فيها ممثلون ليسوا من رجال الدين(١٧).

ومن الاكتشافات التي تم العثور عليها في مصر(١٨) نصب صغير لمثل يدعى محب في بداية حكم الأسرة الثامنة عشرة(١٩)، ومن جملة ما كتب على هذا النصب: «كنت الذي يرافق سيده في رحلاته دون أن أتعب من ترديد أناشيده. وكنت

أرد على سيدي في كل أدواره، فإذا قام بدور الإله، كنت أقوم بدور الحاكم، وإذا أمات أحداً، أحييته».

ويمضي محب الممثل المحترف، في تفصيل جولاته المسرحية مع أستاذه في المدن المصرية، ويشير دريوتون إلى أن هذا الاكتشاف قد أكّد وجود عروض مسرحية لها طابع درامي متميز باحتوائها على حدث حقيقي، وأن من المقرر أنه كان في مصر القديمة مسرح مستقل عن المعبد وطقوسه وإن كان ذا طابع ديني، إضافة إلى أن التمثيليات الدينية المصرية القديمة، كما تشير إلى ذلك إيرينا لكسوفا، كانت على نوعين، فبعضها كان خاصاً قاصراً على أفراد قلائل فقط، والبعض الآخر كان عاماً علنياً تشترك فيه جموع النظارة اشتراكاً واقعياً، ودلّ على وجود النوع الثاني من المسرح برديتان تتضمنان بعض الأجزاء التي كانت تتخذ لإعداد الممثلات، مما يدل على أنهن لم يكنّ من أعضاء الكهنوت(٢٠).

الرقص

قبل أن يتعلم النطق(٢١) كان الإنسان راقصاً وممثلاً صامتاً يعبّر بحركاته عن رغباته ومطالبه، كان يقفز، عندما يفرح، وكان يرقص، وكان يمثل عندما يحاول بحركاته أن يروي للآخرين حادثة ما تعرَّض لها أو جرت على مرأى منه، بل ربما كان يبرع في تقليده للآخرين.

وماذا عن أمر مشاهدي حركاته إذا ما أرادوا إعادة رواية حادثته للآخرين؟.. أليس من المعقول أن يأخذ كل منهم دوراً.. فيتصارع اثنان منهم إذا كان موضوع الحادثة صراعاً؟!!

يولد الإنسان خائفاً، ويعيش خائفاً، ويموت خائفاً، وقصته مع الخوف هي قصة حضارته(٢٢)... كيف في إمكان الإنسان البدائي تفسير ظواهر الطبيعة وقواها المسيطرة على حياته؟.. كيف في إمكان خوفه الجبان أن يتغلّب على قوى الطبيعة؟.. كان إنساناً يرقص لها ويتعبدها، وكانت آلهة تخيفه، كان يرقص ليتقي شرها ويبعد أذاها عنه، وكان يرقص لها أيضاً ليشكرها ويتقرب منها، كانت آلهة متعددة، خيّرة وشريرة، وكانت كما قال أفلاطون(٢٣) تتحدث من خلال هؤلاء الناس.

وإذا رقص الإنسان بمفرده متعبداً في أول الأمر، فقد غدا بعد حين يرقص مع أفراد عائلته وقبيلته، ولما كانت الفوضى تعمّ هذه المجموعة عندما كانت تؤدي طقوسها وشعائرها الدينية، فلا بد عندئذ من واحد فرد يتولّى الإعداد والتنظيم وقيادة هذه المجموعة.



الإنسان المصري القديم كان مولعًا بالموسيقى

هذا الواحد الفرد أصبح فيما بعد الكاهن الذي راح يبتدع ويعطي ما يسعفه به خياله منفرداً عن الجموع في الوقت الذي غدا فيه طريقاً يوصل الآخرين إلى الآلهة، ولا بد أن يتحوّل هذا الكاهن إلى شاعر، يقول فيردد الآخرون، يغني فيغنون، يرقص فيرقصون(٢٤). وامتزج الرقص بالشعر والموسيقى، وأصبحت الاحتفالات الدينية موقوتة بزمن أو بفصل من فصول السنة.

من هذا يتضح لنا أن الرقص سبق الشعائر الدينية والطقوس التي كانوا يحتفلون بها، وأن هذه الطقوس التي تحدثنا عنها جاءت متأخرة عنه، لكنها امتزجت فيما بعد بالرقص في أداء تمثيلي صامت (إيمائي) أحياناً، ويتخلّله، في أحيان أخرى، حوار الراقصات، حتى أصبح الرقص جزءاً أساسياً من الشعائر الدينية والاحتفالات الكبرى، وقد أكد المؤلف الروماني لوسيان هذا بقوله: إن التمثيل الصامت عبّر بالحركة عن بعض الشعائر الطقسية الدقيقة لديانة المصريين القدماء، مثل أسطورتي أبيس وأوزوريس، وتحوّل الآلهة إلى حيوانات، وكذلك قصص حبهم(٢٥).

ويؤكد شلدون تشيني(٢٦) أن هذه الحركات الراقصة لم تكن قط شيئاً مسرحياً، إلاّ أنها تنطوي على نواة المسرحية وبذرة المسرح، ويضيف أن الرقص هو الأصل الذي تفرّعت عنه جميع الفنون، كما أن الرقص في مصر القديمة(٢٧) كان جزءاً من الخدمة الدينية كما كان في بقية الأمم، ولقد قال الحكيم آني في تعاليمه المدونة على أحد أوراق البردي: إن الغناء والرقص والبخور هي وجبات الآلهة.

والإنسان المصريّ القديم كان مولعاً بالرقص والموسيقى، فهو يرقص ويعزف في كل مناسبة لتسلية المدعوين والسادة في المآدب والبيوت، في المعابد وخارجها، وفي الاحتفالات الدينية، وفي أيام

مأساة أوزوريس كانت تمثل في مدينة أبيدوس في عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية

الحصاد، وفي الجنازات، وكان الملك أو من ينوب عنه مضطراً إلى ممارسة الرقص في أعياد الحصاد إكراماً لإله الخصب، كما قلَّد الراقصون حركة الحيوانات، وأدوا الرقصات الحربية، والرقصات الفردية والجماعية، إضافة إلى رقص المحاكاة والرقص التعبيري، كما في رقصة الرياح الأربع المصرية التي تتخللها مقاطع حوارية جماعية بين مجموعات الفتيات الراقصات، كما في رقصة أخرى تمثل انتصار الملك على أعدائه، فقد كتب تحتها: «كل الشعوب الأجنبية تجثو تحت قدميك»(٢٨)، وعلى مر الزمن تحولت رقصات الطقوس الدينية إلى رقصات مسرحية معدَّة إعداداً مسبقاً مدروساً.

المسرحية المصرية حقيقة مؤكدة

من النصوص المكتشفة اتضحت حقيقة أن الرقصات الدينية يتخللها الحوار الذي يشترك فيه الكهنة مع الجمهور، فيحدد لكل دوره فيما سيقول(٢٩)، وقد أدى ذلك كما يقول تشيني إلى قيام مسرح تشترك فيه القصة والموسيقى والرقص، كما أن نص مسرحية انتصار حورس(٣٠) بعدّ نصاً مسرحياً قائماً بذاته، يمثل انتصار حورس بن أوزوريس على ست قاتل أبيه(٣١).

وكان أول من لفت النظر إلى وجود المسرح المصريّ القديم هو جوان بنديت(٣٢) حين كتب عام ١٩٠٠م يقول: «يظهر أن النصوص المسرحية في مصر القديمة معدومة، غير أن الطقوس الجنائزية حفلت بالتمثيل والحوار، وأقيمت أعياد الآلهة، ولا سيما أوزوريس، وكانت هناك مسرحيات السر التي هي أشبه باحتفالات ديونيسيس(٣٣) بذرة المسرح الإغريقي، فارتباط المسرح الإغريقي بالدين يحفّزنا إلى الإيمان بوجود مسرح مصري قديم، وقد أكد فيما بعد صدق حدس بنديت العالم الألماني كورت زيته حين نشر عام ١٩٢٨م النصوص الدرامية، كما لفت النظر إلى أهمية «الدراما المنفية»(٣٤) التي نشرت عام ١٩٠١م، وهي من أقدم وثائق التاريخ المصري القديم، تبدأ بأقاصيص قصيرة يتخللها حوار بين الآلهة، وتسجل توحيد إقليمي مصر البحري والقبلي في عهد الملك مينا، وسيظهر(حورس) فيها في صورة الملك المصري مينا، وهو دور يقوم به الملك مينا بالذات، وسيقوم به فيما بعد كل ملك عند تتويجه.

هناك زعم بأن وقائع مسرحية «أوديب» لسوفوكل اليوناني كانت في طيبة المصرية وليست اليونانية

وفي العام التالي نشر بنديت بردية الرامسيوم(٣٥) التي تضم مسرحية «السر حول وراثة الملك»، التي مثلت حين ارتقاء سنوسرت الأول عرش مصر، وربما كانت نموذجاً لعرض يعاد تقديمه عند ارتقاء كل ملك العرش، وهي في مجملها تتمحور أيضاً حول موت أوزوريس ثم بعثه في العالم الآخر، وانتقام ابنه حورس له، ثم تتويج الملك الجديد، وينتهي العرض بوليمة لعلية القوم ترمز إلى أن الخير قد عمّ البلاد.

وقد كان الملك في هذه المسرحية يقوم بالدور الرئيس، يضم إلى جانبه الأمراء وعلية الموظفين والكهنة وحتى بعض أرباب الحرف، ولم تكن تثبت ملكية الملك إلاّ إذا شارك في العروض، ولم تكن أحداثها قائمة على وهم مسرحي، وإنما كانت الأحداث مرتبطة بالواقع، ولها قوة التأثير دينياً وسياسياً، وهذه نقطة الاختلاف الأساسية بين المسرح المصري القديم والمسرح الإغريقي(٣٦)، كما أن ألاردس نيكول كان مصيباً عندما قال: إن الكتّاب الإغريق أفادوا الكثير في مسرحياتهم من رجال الدين الذين يمثلون المسرحيات الدينية المقدسة في مصر القديمة، وقد وصل إلينا وصف لأحد الرحالة اليونان لمسرح معبد طيبة المصرية عندما زاره عام ٨٠٠ ق.م(٣٧). ويرى باتريك ملاهي(٣٨) أن أوديب بطل مسرحيات سوفوكل اليوناني امتدح بناته بكونهن صوراً حقيقية عن عادات مصر، كما أن روبرت بين(٣٩) يشير إلى أن من المحتمل أن أبطال الشاعر اليوناني هوميروس كانوا يرتدون ملابس ويحملون حراباً ويرتدون دروعاً تشابه ما يرتديه الجنود المصريون القدماء التي ظهرت في النقوش المصرية البارزة التي تصور الوقائع الحربية بين المصريين وأعدائهم. وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير(٤٠) عندما عاد بأحداث مسرحية «أوديب» لسوفوكل اليوناني إلى مكانها الذي يزعم أنه الطبيعي وهو مدينة طيبة مصر القديمة وليس طيبة اليونان، كما أعطى لنفسه الحق بأن يجردها في الوقت نفسه من كل المفاهيم اليونانية القديمة، وأعدها إعداداً إغريقياً رائعاً لمسرحية مصرية تقدم الأحداث نفسها، مسرحية تولى إخراجها كهنة معبد آمون في معابدهم القديمة.

المراجع:

١. ألاردس نيكول، المسرحية العالمية، ج ١، ترجمة عثمان نويه. وزارة الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة.
٢. ثروت عكاشة. مقدمة ترجمته لكتاب المسرح المصري القديم تأليف أتيين دريوتون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م.
٣. تاريخ المسرح، ترجمة دريني خشبة. وزارة الثقافة. مصر.
٤. المصدر السابق.
٥. المقصود بها الحركات الإيمائية الصامتة التي أشرنا إليها من قبل.
٦. أتيين دريوتون، المسرح المصري القديم. ترجمة ثروت عكاشة. دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م.
٧. المسرحية العالمية، ألاردس نيكول
٨. لويس مليكه. الديكور المسرحي. الدار المصرية ١٩٦٦م.
٩. في المعتقدات الدينية الفينيقية يحتل(أدونيس) مكان(أوزوريس)، و(عشتار) مكان (إيزيس).
١٠. إيرينا لكسوفا، الرقص المصري القديم، ترجمة د. محمد جمال الدين مختار، وزارة الثقافة في الإقليم الجنوبي ١٩٦١م.
١١. تاريخ المسرح (مرجع سابق).
١٢. المسرحية العالمية.
١٣. ثروت عكاشة. مقدمة المسرح المصري القديم.
١٤. مقدمة ترجمة «أوديب ملكاً» مسرحية سوفوكليس. وزارة الثقافة المصرية، ١٩٦٧م.
١٥. زار هيرودوت المؤرخ اليوناني مصر عام ٤٥٠ ق.م.
١٦. المسرح المصري القديم (مرجع سابق).
١٧. المرجع السابق.
١٨. المرجع السابق.
١٩. ١٨٥٠ق.م، إيرينا لكسوفا، الرقص المصري القديم.
٢٠. مقدمة مسرحية «انتصار حورس»، ترجمة د. عادل سلامه. وزارة الإعلام الكويتية ١٩٧٣م.
٢١. خالد الشريقي، دراسة عن المسرح الإغريقي، مجلة جيش الشعب ١٩٦٩م.
٢٢. المرجع السابق.
٢٣. ارنست فيشر، الاشتراكية والفن، ترجمة أسعد حليم، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٦٦م.
٢٤. خالد الشريقي، جيش الشعب، ١٩٦٩م.
٢٥. مقدمة مسرحية «انتصار حورس».
٢٦. تاريخ المسرح (مرجع سابق).
٢٧. إيرينا لكسوفا (مرجع سابق).
٢٨. المرجع السابق.
٢٩. جاء في إحدى البرديات المكتشفة: «تختار امرأتان مشوقتا القد وتجلسان على الأرض قدام البوابة الأولى للقاعة الواسعة، ويكتب على منكب إحداهما (إيزيس)، ويكتب على منكب الأخرى (نفتيس)، ويوضع في اليد اليمنى لكلتيهما إبريق من القاشاني قد ملئ بالماء، كما يوضع في اليد اليسرى لكلتيهما أرغفة خبز». انتصار حورس، وزارة الإعلام الكويتية، ١٩٧٣م.
٣٠. ترجمة د. عادل سلامة، وزارة الإعلام الكويتية ١٩٧٣م.
٣١. اكتشف هذا النص منقوشاً على جدران معبد(أدفو) في مصر.
٣٢. مقدمة «انتصار حورس» وزارة الإعلام الكويتية ١٩٧٣م.
٣٣. من آلهة الإغريق.
٣٤. نشرت بواسطة جون برستد.
٣٥. الرامسيوم: معبد جنائزي مصري بناه رمسيس الثاني في مدينة طيبة المصرية غرب الأقصر، توفي عام ١٢٢٤ ق.م.
٣٦. تعليق المترجم على نص مسرحية انتصار «حورس»، وزارة الإعلام الكويتية، ١٩٧٣م.
٣٧. إدوارد جوردن كريج، في الفن المسرحي، ترجمة دريني خشبة، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٠م.
٣٨. كتاب عقدة أوديب، ترجمة جميل سعد، دار المعارف. بيروت ١٩٦٢م.
٣٩. كتاب «ذهب طروادة»، ترجمة رشدي السيسي، الألف كتاب، القاهرة ١٩٦٥م.
٤٠. علي سالم، مقدمة مسرحيته «أوديب انت اللي قتلت الوحش»، دار الهلال، القاهرة ١٩٧٠م.



الأصداف البحرية

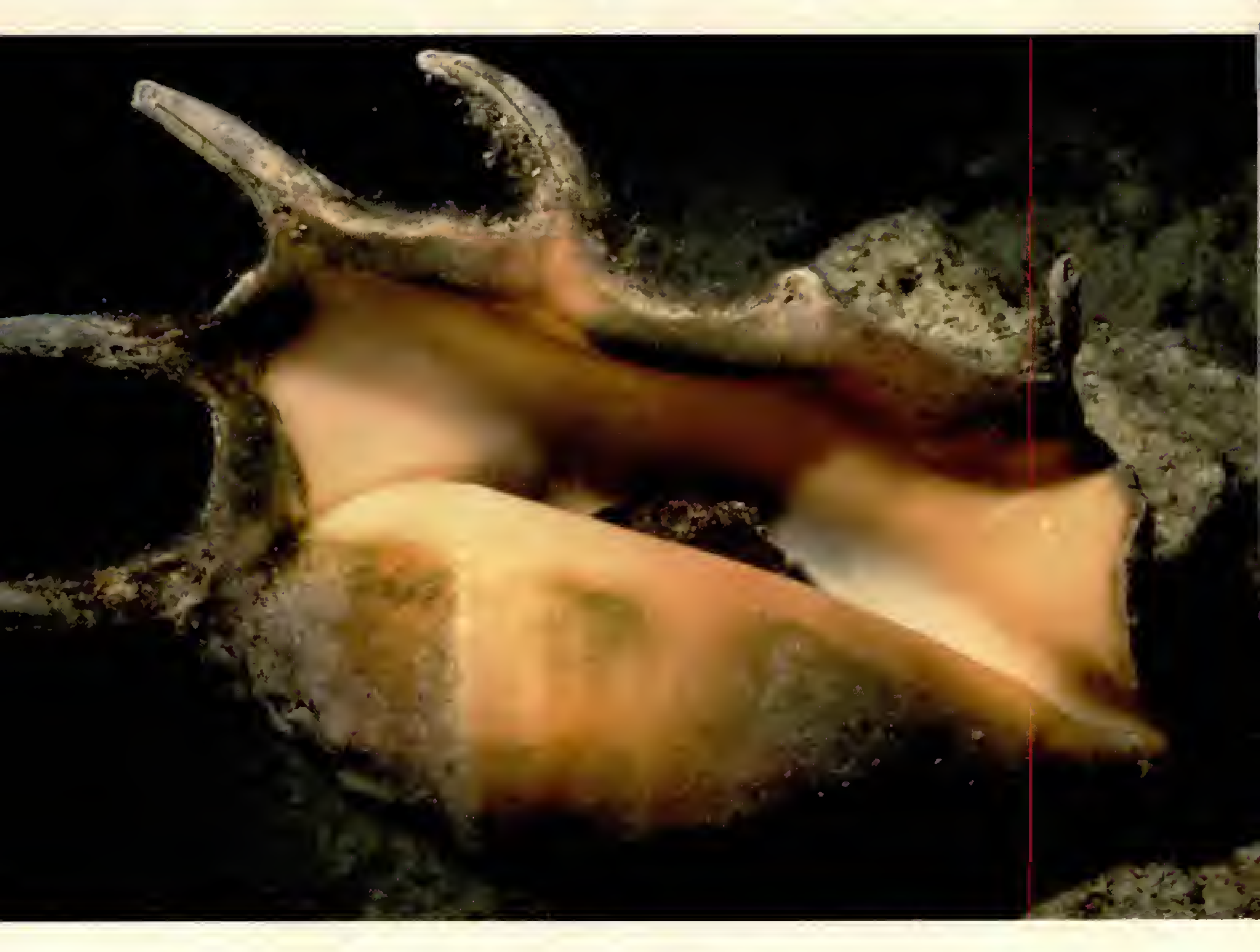
كنوز من متحف الطبيعة

إعداد: قسم الترجمة

تعد الأصداف البحرية SEASHELLS من أجمل الأعمال التشكيلية الطبيعية وأكثرها رونقًا وبهاء؛ ففيها تتجلى معجزة الخلق وإبداع الخالق، ولا يملك زائر الشواطئ أمامها، كبيراً كان أم صغيراً، إلا التقاط بعضها، والتفرّس في صنعتها البديعة، وتراكيبها الهندسية المتقنة، وألوانها المتناسقة الساحرة.

والأصداف بحد ذاتها ليست مادة حية، بل تفرزها الأحياء لتحمي بها جسمها الرخو، وتتميز بقدرتها الفائقة على مقاومة عوامل التلف الطبيعية بحيث إنها قد تبقى على حالها مئات آلاف السنين بعد أن يكون الصخرية، وتعرّف البيئة التي سادت فترة ترسبها. وتنتمي الحيوانات المفرزة للأصداف إلى عائلة ضخمة تدعى «الرخويات» MOLLUSCA، تنتشر بعض أنواعها على شواطئ بحار الأرض كافة.

وتنطوي محاولة اكتشاف مراحل حياة الأحياء التي تفرز الأصداف على قدر كبير من المتعة. وكثيراً ما يقضي الهواة ساعات طوالاً من السعادة والمرح وهم يراقبون عادات الرخويات الحيّة وسلوكها ضمن



ساكنها قد بادَ واندثر. وخلال العصور الجيولوجية السالفة احتفظت الطبقات الصخرية للأرض بالعديد من أنواعها في أثناء ترسّبها خلال ملايين السنين، فأصبحت اليوم من القرائن الجيولوجية المهمة التي يهتدي بها علماء الأرض (الجيولوجيون) لتحديد عمر الطبقات

ولهذا فإن أي شاطئ يمكن أن يمثل نقطة البداية بالنسبة إلى هواة جمع الأصداف لأغراض الزينة أو الثقافة العلمية على الرغم من أن بعض الشواطئ تكون أغنى بها من غيرها. ولابد لهؤلاء الهواة من الاطلاع على أهم الحقائق العلمية المتعلقة بخصائصها وأنواعها وطريقة تشكلها.

بيئتها الطبيعية. وتعد الشواطئ الصخرية والمرجانيات من الأماكن الأكثر اجتذاباً للرخويات؛ لأنها تزدحم بالشقوق والصدوع والحصى السائبة، والنباتات البحرية، والبرك الصغيرة التي تلتجئ إليها لحماية نفسها من أعدائها عند انحسار المدّ (الجزر). وحينما تشعر هذه المخلوقات بخطر يهددها

سرعان ما تسحب جسمها الرخو إلى داخل صدفتها. ويمكن للباحث أو الهاوي أن يقضي وقتاً ممتعاً يبحث عن هذه الأحياء بين الحصى الواقعة على خط تيار المد والجزر، وخاصة بعد انقضاء فترة هبوب

نصيحة للهواة

ولكثرة محبي هذه الهواية المفيدة فقد كانت للبيئيين والمدافعين عن الطبيعة والحياة البريّة نصيحة يوجهونها للهواة نسوقها في الفقرة التالية:

كميات كبيرة من الرخويات الحيّة فإن ذلك سيؤدي سريعاً إلى تناقص أعدادها القادرة على التكاثر، وسوف يكون من نتيجة ذلك انقراض بعض أنواعها في مناطق معيّنة. ومع التزايد المطّرد في عدد الناس الذين



الأصداف تقاوم عوامل التلف الطبيعية

الرياح القوية على الشاطئ، وبداية ركون البحر إلى الاستقرار والهدوء. وأما الرخويات التي تستوطن المياه العميقة، فإنها لا تُرى على الشواطئ على الرغم من أن التيارات والأمواج البحرية قد تقذف ببعض أصدافها إلى الشواطئ لتختلط بأصداف الرخويات الشاطئية.

«اجمع ما يمكنك جمعه من الأصداف الجميلة الفارغة، أو التي تحتوي على حيوانها الميت، وعندما تجد أن من الضروري جمع الرخويات الحية فإن عليك أن تقتّر في مقدارها إلى الحد الأدنى الذي تحتاج إليه. فعندما تقوم الأعداد الكبيرة والمتزايدة من هواة جمع الأصداف بجني

تجتذبهم هذه الهواية المثيرة يكون من الضروري الانتفاع بهذه النصيحة والتقيّد بها، وإلا فإن الشواطئ الغنية بالرخويات ستصبح خلال سنوات قليلة قاصرة عن تقديم أي شيء لهواة المستقبل».

والرخويات حيوانات لا فقرية تتميز بامتداد خاص في جدار جسمها يُدعى

«المعطف» MANTLE (وأحياناً: البُرنُسْ) فيه خلايا خاصة يمكنها إفراز درع خارجي يدعى «الهيكل الخارجي» EXOSKELETON المعروف أكثر باسم «الصَّدَفة».

تركيب الصدفة

وتبدو الصدفة كأنها تتركّب من مادة وحيدة، إلا أنها تحتوي في الواقع على ثلاث طبقات متمايزة: الطبقة الخارجية الرقيقة وهي غطاء من مادة قرنية تدعى PERIOS-TRACUM، وتتركب من مادة عضوية تدعى «المحارين» CONCHIOLIN (نسبة إلى المحار). والطبقة الوسطى القاسية، وتمثل الجزء الكلسي الطباشيري للصدفة، وتتركب بشكل أساسي من كربونات الكالسيوم $CaCO_3$. ويتم إفراز كلتا هاتين الطبقتين من خلايا تقع على حافة المعطف؛ وهذا يعني أن المادة الحديثة التشكّل تتجمع دائماً على الحافة الخارجية للصدفة بعيداً عن المعطف، وأما الطبقة الداخلية، التي تتركب بدورها من كربونات الكالسيوم، فتُفرزها خلايا تقع فوق سطح المعطف كله. وعلى



الصدفة لا تتكون من مادة وحيدة

الكوكل الشوكي spiny cockle المعروف باسمه اللاتيني cardium enchinatum يتميز بخشمه الأحمر الطويل الذي يستخدمه لطمر نفسه تحت الرمال. ويبدو المعطف الذي يفرز الصدفة واضحًا وملتصقًا بالمصراع السفلي للحيوان الأيسر، ولكنه أزيل جزئيًا من المصراع الأعلى في أثناء فتح المصراعين بعد موت الحيوان. ينتشر الكوكل في الشواطئ الرملية الضحلة لحوض البحر الأبيض المتوسط

الرغم من أن الطبقتين الداخلية والوسطى تتركبان من كربونات الكالسيوم، فإن لهما شكلين بلوريين مختلفين تمامًا. فبلورات الطبقة الوسطى موشورية، مما يعني أن بلوراتها مرتبة عموديًا على السطح. وبلورات الطبقة الداخلية رقائقية الشكل مرتبة وفق نسق يوازي السطح. وفي بعض الأصداف تكون الطبقة الوسطى أكثر تعقيدًا، بحيث تتألف من قطاعات متباينة متعددة. والطبقة الداخلية يمكن أن تكون خزفية porcellaneous أو لؤلئية nacreous بحسب محتواها من المعادن. والطبقة اللؤلئية تتألف من مادة متقزّحة جميلة تُعرف باسم «أم اللؤلؤ» mother of pearl.

ولبعض الأصداف طبقة داخلية أكثر سمكًا مما للأصداف الأخرى. وإذا كانت هذه الطبقة لؤلئية فإنها تمثل المنطقة التي يتشكل فيها اللؤلؤ. فعندما تندس حُبَيْبة من الرمل أو أي جسم غريب آخر بين النسيج الخلوي للحيوان فإنه يحرض الخلايا الغدية للمعطف على إفراز مادة اللؤلؤ حولها، طبقة فوق أخرى، في محاولة لتعديل التهيج، وفي النتيجة يتشكل اللؤلؤ حول المادة المهيِّجة. أما إذا كانت الطبقة الداخلية خزفية فإنه يكون لوجود الجسم الغريب التأثير نفسه إلا أن اللؤلؤ المتشكل في هذه الحالة يكون باهتًا ورديئًا وشبيهًا بالرخام.

وتتميز معظم الأصداف بوجود خطوط سطحية متوازية توافق الفترات التي توقفت فيها الخلايا الغدية للمعطف عن النشاط، فإذا عُرفت المدة الزمنية الفاصلة بين اثنتين من هذه الفترات، فإن من الممكن حساب عمر الصدفة. ولسوء الحظ فإن هذا الحساب لا يكون متيسرًا إلا بالنسبة إلى بعض أنواع الرخويات، ولهذا فإن تحديد عمر الصدفة يكون أمرًا متعذرًا في معظم الحالات. ولا يكون حجم الصدفة بالضرورة مقياسًا لعمرها؛ لأن حيوانين رخويين من الفصيلة نفسها، والعمر نفسه قد يتباينان تمامًا في الحجم، فإذا كان أحدهما يستوطن بيئة غنية بمصادر الغذاء فإنه ينمو بأسرع من ذلك الذي يستوطن بيئة فقيرة. يضاف إلى ذلك أن تغيرات درجة الحرارة، وملوحة المياه تؤثر في سرعة النمو. ومعظم الرخويات تستمر في النمو طيلة حياتها على الرغم من أن سرعة نموها تتناقص مع تقدمها في العمر. وبعضها يتوقف تمامًا عن النمو بعد الوصول إلى طور النضج الجنسي.

ويحضر الحيوان الرخوي المعادن والموارد التي تفرزها خلاياه الغدية لصنع الصدفة من الغذاء الذي يتناوله، ولهذا فإن من الممكن الافتراض أن المادة الصبغية التي تضفي على الصدفة ألوانها الأخاذة تأتي من المصدر نفسه. ويزداد تركيز هذه الأصباغ في خلايا ترسب الألوان colour depositing cells المنتشرة على حافة المعطف، وتحدد وضعياتها نسق توزّع الألوان الجميلة على الصدفة.

وإلى جانب الصدفة، فإن من أهم المظاهر التركيبية للرخويات هي القدم العضلية الضخمة التي تستعملها للحركة،

تبدو الفتحة aperture واضحة في هذه الصدفة الحلزونية ذات الشكل الهرمي من نوع cittarium pica التي تستوطن الشاطئ الغربي للهند



صدفة ذات شكل بديع

إعداد: قسم الترجمة

والخياشيم gills الخاصة التي تستعملها للتنفس. وهذه الخياشيم تراكيب ريشية معلقة ضمن تجويف المعطف، وهو الحيز الكائن بين المعطف وجسم الحيوان. وعندما يكون الحيوان الرخوي حياً، يتدفق تيار دائم من ماء البحر عبر التجويف مؤدياً إلى تهوية الخياشيم وتزويدها بالأوكسجين.

وتتنوع حجوم هذه الشعبة الحيوانية وأشكالها تنوعاً كبيراً؛ ولهذا فإن العلماء قاموا بتقسيمها خمسة أصناف: اثنان منها يتضمنان



معظم أنواع الأصداف البحرية وهما: بطنيات الأقدام gastropoda ورقيقيات الخياشيم lamellibranchia. وينقسم هذان الصنفان بدورهما إلى زمر أصغر وأصغر تتشابه في الخصائص حتى الوصول إلى تعريف نوع بذاته. ولئن بدا هذا التقسيم أمراً معقداً حقاً، إلا أنه ينطوي على الكثير من المعلومات التثقيفية المفيدة بالنسبة إلى طلاب العلم، وهواة جمع الأصداف على حد سواء. لأن الأسماء الشائعة للأحياء عامة تختلف من مكان إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى، لذا فإن علماء الأحياء يفضلون استعمال الأسماء اللاتينية الموحدة التي نستعملها أحياناً في توثيق بعض الصور المرافقة لهذا المقال.

ولبطنيات الأقدام المعروفة أيضاً باسمها الشائع «وحيدات المصراع» uni-valves صدفة مفردة، تكون عادة حلزونية الشكل. وتشكل قمتها الجزء السابق في التشكل عندما كان الحيوان في طور اليرقة. ومع نمو اليرقة تنمو الصدفة بإضافة سلسلة من اللفات الحلزونية المائلة على محور الصدفة، تحتوي أكبرها على الفتحة الرئيسة التي يتصل منها الحيوان بالعالم الخارجي. ولكل من بطنيات الأقدام قدم كبيرة ذات نعل واسعة تؤهلها للزحف فوق السطوح الصخرية. وفي بعض الأنواع تحمل القدم قرصاً قرنياً يسمح تماماً بغلق الفتحة

حيث تعيش تحت السطوح الرملية أو الموحلة، ولم يتكيّف مع الحياة فوق السطوح الصخرية إلا القليل منها.

وتوجد الرخويات في البيئات البحرية كافة، من أقصى خطوط المدّ على الشواطئ إلى أعماق المحيطات. ويكون أكثر انتشارها في المنطقة الممتدة من أعلى نقطة تطالها مياه البحر على الشاطئ (خط المدّ الأعلى) إلى حافة الرصيف القاري. وكل نوع منها يفضل استيطان بيئة معينة من هذا الامتداد إلى جانب الأحياء الأخرى التي تتكافل معه، وتتعاون لضبط إيقاع الحياة.

ويلاحظ على الرخويات التي تستوطن الشواطئ الصخرية المحصورة ضمن نطاق المدّ والجزر أنها تصبح كسولة عندما يحدث الجزر المنخفض، إلا أنها سرعان ما تعود إلى نشاطها عند عودة المدّ فتبدأ الحركة من جديد بحثًا عن الغذاء. وإنه من الممتع حقًا مراقبتها على سلوكها في أثناء بحثها عن غذائها. وبعض الرخويات يتغذى بالأعشاب البحرية (عاشبة)، وبعضها الآخر يتغذى بالحيوانات البحرية (لاحمة)، وبعضها يتغذى بكل المواد العضوية المنفسخة، حيوانات كانت أم نباتية المنشأ (قارتة).

وتُصادف الرخويات في بحار العالم كلها، إلا أن المياه الاستوائية الدافئة تستهوي منها على الخصوص الأنواع التي تتميز أصدافها بأنها أكبر حجماً، وأكثر تنوعًا بالألوان، وأزهى شكلا. واكتشف البيولوجيون أن أغنى أمكنة العالم بتجمعات الرخويات هي شواطئ المحيط الهندي - الهادي. وتمتد هذه المنطقة الواسعة من الشواطئ الشرقية لإفريقية شرقًا عبر المحيط الهندي إلى جزر المحيط الهادي وشواطئ الصين وشمال أستراليا.

ويعتمد جمال الصدفة على شكلها ونقوشها وحجمها وقوامها وألوانها. وإنه لمثار للعجب والتأمل والاستغراب أن تكون هذه التحف الطبيعية الجذّابة من صنع حيوانات تافهة لا تملك حتى الفقرات أو العظام.

والصدفة كلها عندما يسحب الحيوان جسمه إلى الداخل. وفوق القدم يوجد رأس متميز يحمل اللوامس (tentacles) والعينين والفم وباقي الجسم الذي يبدو غير متناظر حتى يتمكن الحيوان من الانسحاب كليًا إلى داخل الصدفة عند اقتراب الخطر، أو الظروف السيئة عند الهجوع والبيات. وهذا الشكل معروف جيدًا في القواقع البحرية التي تنتج أصدافًا رائعة.

وأما رقيقات الخياشيم ثنائية المصراع bivalves فإن صدفتها تتألف من مصراعين معلقين الواحد بالآخر بمادة لدنة، ويتم غلقهما بواسطة عضلات قوية، ويكون الجسم في هذه الحالة منبسطًا ومتوزعًا بين المصراعين. ولا يوجد هنا رأس متميز؛ بل فم وقدم منبسطة. وتعد معظم ثنائيات المصراع من الحيوانات الكسولة نسبيًا،

الإنسان والأصداف

دأب الإنسان على استخدام الرخويات البحرية وأصدافها بطرق شتى منذ العصور التي قبل التاريخ، حيث كان يتغذى بلحومها، ويستخدمها مجوهرات، وحلياً، وأوعية، وأدوات، ورموزاً دينية، ونقوداً، كما كان يستعمل إفرازات بعضها حبراً للكتابة، وأصباغاً للقماش والتلوين.

ويعد المحار وبعض الرخويات الأخرى مثل (الكوكل) cockles، وبلح البحر mussels، و(الكواهوغ) أو البطلينوس الأمريكي quahogs، و(الأسقلوب) أو المحار المروحي (البرونق)، أو الحلزون البحري winkles من المأكولات الشهية في عدد من مناطق العالم، وكثيراً ما تتم زراعتها في أحواض خاصة لأغراض تجارية.

وكان عدد من أنواع الرخويات التي تستوطن شواطئ المحيط الهادي يمثل المصدر الأساسي لغذاء سكان الجزر خلال فترات التاريخ. وفي بعض الأحوال تؤكل لحومها نيئة دون طهي، كما يتم طهيها بطرق مختلفة ومن أكثرها شيوعاً السلق بالماء الساخن، ويعد الحلزون المسلوق طعاماً مفضلاً وشائعاً عند الأمريكيين.

وفي العصور الغابرة كانت بعض القبائل تصنع الأوعية والأدوات من الأصداف البحرية، وخاصة في الجزر المرجانية، حيث تفتقد الأحجار. وكانت لبعض الأصداف حجوم وأشكال تناسب الاستعمال المباشر، كالحلزونات الضخمة التي كانت تستعمل في الغالب لنقل المياه، وأصداف الأسقلوب (المحار المروحي) التي لم تزل تستخدم أطباقاً لتقديم الطعام.

واستعمل الإنسان القديم الأصداف نقوداً، واستمر هذا التقليد حتى بداية انتشار المسكوكات النقدية المعدنية، وبقيت تستعمل هكذا إلى ما بعد ذلك في إفريقية.

وانتشر استعمال الودعة النقدية cowrie في شتى بلاد العالم، واستمر ذلك خلال القرن التاسع عشر، خاصة في بعض البلدان الأوربية التي كانت تدخر الأطنان منها لاستعمالها في المقايضة التجارية مع القبائل الإفريقية. والودعة الصفراء صدفة صغيرة يبلغ طولها سنتيمترين، وتستوطن البحار الاستوائية الدافئة من المحيط الهندي - الهادي. وكان الهنود الأمريكيون يستخدمون الودعة ذات الحلقة الذهبية نقوداً، وهي صدفة يبلغ طولها ٤٫٥ (أربعة سنتيمترات ونصف السنتيمتر)، وتستوطن مياه الشواطئ الغربية لأمريكا الشمالية من آلاسكا إلى المكسيك. وكان الهنود يصفون بعض هذه الأصداف ليصنعوا منها عقداً، وبالطبع كان العقد الذي يحتوي على أصداف سليمة أعلى قيمة من ذلك الذي يحتوي على أصداف متكسرة. واستعمل الهنود الحمر أنواعاً أخرى وكثيرة من الأصداف نقوداً، وكانت لهم دراية واسعة في كيفية تقويمها وتثمينها بحسب أنواعها وندرتها. كما استعملت الخرزات الصدفية في الزخرفة والتزيين، فصنع منها الهنود الحمر والإفريقيون العقود والأحزمة الجميلة. وفي الوقت الراهن، أصبحت صناعة المجوهرات الصدفية ذات قيمة تجارية كبيرة في الكثير من بلدان العالم. وعلى الرغم من أن مدينة دمشق تبعد بضع مئات من الكيلومترات عن أقرب شاطئ سوري إليها، فإنها تشتهر بصناعة «تصديف» القطع الخشبية، حيث تكسّر أصداف المحار ذات اللون اللؤلئي البراق التي تجمع من الشاطئ، وتُثبت أجزاؤها على القطع الخشبية بكيفية تنطوي على الكثير من الإتقان والبراعة.

وتجد التحف الخشبية الدمشقية المصدّفة سوقاً رائجة في كثير من بلدان العالم، كما يُقبل على ابتياعها السيّاح إقبالاً كبيراً.

و«أم اللؤلؤ»، من أنواع الرخويات ذات الأصداف الكبيرة نسبياً، وهي المصدر الأساسي لحبيبات اللؤلؤ التي تستعمل حُلياً معروفة. ولكن الاهتمام باستخلاص اللؤلؤ الطبيعي انحسر الآن مع إنتاج اللؤلؤ الصناعي من بعض أنواع



البلاستيك. ومع ذلك ظلّ اللؤلؤ الطبيعي محتفظاً بقيمته العالية.

وعلى الرغم من أن اللؤلؤ يمكن أن يوجد في أنواع الرخويات ذوات الأصداف الثنائية



الأصداف متحف طبيعي رائع

المصراع كافة، إلا أن أجمل أنواعه، وأكثرها صقلاً ورونقًا تتشكل ضمن حيوان «محار اللؤلؤ» pearl oysters وخاصة منه النوع الذي يحمل الاسم اللاتيني pinctada margaritifera.

ويعد الخليج العربي والشواطئ الغربية لأستراليا أفضل الأماكن لاصطياد اللؤلؤ الطبيعي من هذا الحيوان. وتجدر الإشارة إلى أن اثنين بالمئة فقط من محارات هذا الحيوان

المفتوحة تحتوي على اللؤلؤ، والقليل فقط من هذه النسبة يُعثر فيها على حبّات ذوات حجوم مناسبة. ولهذا السبب أصبحت أسعار اللؤلؤ غالية في الارتفاع على الرغم من أنه يحتفظ



بعض القبائل البدائية تقدس الأصداف

بقيمته مهما طال عليه الزمن. ولقد شهد القرن العشرون نمواً وازدهاراً لصناعة زراعة اللؤلؤ الطبيعي التي تركزت في اليابان خصوصاً، حيث يتم إدخال كسرات بالغة الصغر من صدفة، وبكل تأنٍّ، بين أنسجة حيوان محار اللؤلؤ فيقوم الحيوان بإفراز طبقة لؤلئية حولها، تماماً مثلما يحدث عند تشكل اللؤلؤ في الطبيعة. وتمتاز هذه الطريقة بأنها تسمح بالتحكم بحجوم حبّات اللؤلؤ المزروعة.

وللأصداف البحرية قيم رمزية مهمة ذات تأثيرات ودلالات كبيرة في حياة الكثير من الشعوب، وهناك الكثير من الأمثلة على ذلك. ومن ذلك أن واحدة من كبريات شركات استخراج المنتجات البترولية وبيعها، وأكثرها شهرة في العالم اتخذت أحد مصراعي صدفة المحار شعاراً لها، وأسمت نفسها «شركة الصدفة للبترول» shell oil company. كما أن عدداً من أنواع الأصداف كان مقدساً بالنسبة إلى بعض القبائل المتخلفة في العالم. وكانت الودعات الصدفية تعد رمزاً للخصوبة، وغالباً ما كانت تُقدم هدايا مباركة. وكانت بعض القبائل المتخلفة التي تستوطن جزر بولينيزيا في أعالي المحيط تعتقد أن الصوت الشبيه بصوت هدير البحر الذي يُسمع عند وضع صدفة الودعة الحلزونية قريباً من الأذن إنما هو صوت الإله، وبأن الإله (المزعوم) موجود حقًا

صدفة مغزلية الشكل من بطنيات الأقدام تستوطن المياه الباردة في أعالي شواطئ أمريكا

النقوش البنيّة فوق هذه الصدفة المغزلية هي بقايا الطبقة الهيكلية الخارجية perios tracum. وهذه النقوش لا تبدو واضحة خلال حياة الحيوان الرخوي بسبب ما يغطيها من أشواك وشعيرات

قرنية، إلا أن الاحتكاك بالحصى والصخور الذي تتعرض له الصدفة بعد موت الحيوان في أثناء المد والجزر يسحجها حتى تظهر ألوانها. وتبدو أيضاً الفتحة الواسعة التي يتصل منها الحيوان بالعالم الخارجي، وكذا بداية الثّلم السيفوني الحلزوني الذي يستوطنه. وينتشر هذا الحيوان في المياه الباردة، ويبلغ طوله ٧سنتيمترات، واسمه اللاتيني colus gracilus

ضمن هذه الأصداف البوقية! وفي العصر الفرعوني كانت تستخدم الأصداف لرسم أعين الموتى على التوابيت الحجرية التي كانت توضع فيها المومياء المحنّطة، وبعد ذلك أصبحت الأصداف بالنسبة إليهم تعويذات شائعة لطرد الأرواح الشريرة.

والرخويات المنتمية إلى عائلة «المُرّيق» mur-ex family تفرز سائلاً ذا لون شاحب خفيف يزداد دكانة بشكل متدرّج عند تعرضه للضوء إلى أن يصبح أرجوانياً. وكان هذا السائل يستعمل صباغاً من قبل إنسان الحضارات القديمة.

ويبقى الحديث عن واحدة من أهم العلاقات بين الأصداف والإنسان والتي أخذت تزداد متانة عبر العصور والمتمثلة بالهواية المحببة بجمعها واقتنائها. وإنه لأكثر متعة وسعادة أن يقوم الإنسان بنفسه بالبحث عنها على طول الشواطئ، وبعض الناس (الكسالى) من هواة جمع الأصداف يفضلون اقتناءها من أي مصدر كان، أو شراءها من دكاكين بيع التحف أو العاديات أو منتجات أسماك الزينة.

وتجدر الإشارة إلى شيء مهم وأكيد، وهو أنه إذا بقيت الأصداف البحرية تُجمع على النحو غير المنظم، والمفتقر إلى التقنين الذي نشهده الآن فإن أبناءنا وأبناءهم من بعدهم لن ينعموا بعد ذلك بالاستمتاع برونق الفن الطبيعي الأخّاذ الذي ينتشر على طول شواطئ العالم، والمتمثل بالأصداف البحرية التي تشكل متحفاً رائعاً مازال بإمكانك أن تنقل صورة مصغّرة منه إلى بيتك.

المرجع:

. مترجم وملخّص ومزيد عن كتاب بعنوان:
ALL COLOR BOOK OF SEASHELLS), BY J.M. CLAYTON. OCTOPUS BOOKS SERIE. EDITED CROWN PUBLISHERS INC. NEW YORK.



الأصداف: هل في طريقها إلى الانقراض؟

البابونَجُ

سيد في طب الأعشاب

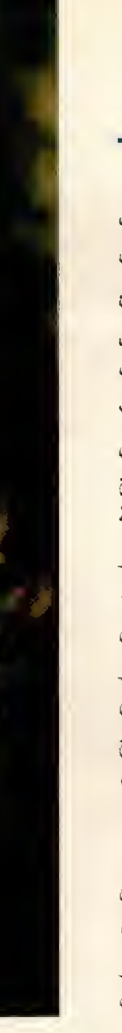
محيي الدين لبنية



ساق البابونج سريعة النمو كثيرة التفرع

استخدم الأطباء القدماء عددًا كبيرًا من النباتات في علاج الأمراض، وحظي فيها البابونج بمكانٍ مرموقٍ قرونًا طويلة ومازال، ووصفه الأطباء المسلمون الرواد، وذكروا فوائده في مؤلفاتهم الشهيرة، وزرعه الإنجليز في حدائقهم زمنًا طويلاً تقديرًا لفوائده.





وإلى وقت قريب اقتصر استعمال هذا العشب في مجال الطب الشعبي، وبدأت الدراسات العلمية على البابونج في أوائل الثلاثينيات من هذا القرن، وعندما اكتشف العالم الألماني هيوبنر HEUBNER ومساعدوه وجود مركب الأزولين AZULEN في زيت أزهاره، وعرفت فعاليته المضادة للالتهابات، واستعمل مغلي أزهار النبات في الماء شراباً، وزيته المستخرج من أزهاره مروخاً، وأثبتت الأبحاث العلمية الحديثة فوائده العلاجية وأصبح من أكثر الأعشاب الطبية شعبية، وأوسعها استعمالاً. وفي عام ١٩٨٧م اختاره اتحاد العطارين الألماني كأفضل عشب طبي، وحاز مركز الصدارة بين الأعشاب الطبية. وبفضل بعض سكان بلاد الشام عرف مغلي البابونج في الماء كمشروب ساخن خلال فصل الشتاء، وقد ثبت أنه ليس له أي تأثير منبه للأعصاب.

أسماؤه

قيل: إن البابونج كلمة فارسية الأصل (بابونه) أو (بابونك)، ثم نقلت إلى العربية، وهناك أسماء أخرى له تختلف بين بلد وآخر لتعدد أنواعه. فورد في معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى، فهو تفاح الأرض، وعين القط، وبابونج البقر، وكافورية وشجرة مريم، وأقحوان ونوار الربيع، وعنصيف وقراص واحدته قراصة. وذكر الشهابي في باب مصطلحات العلوم الزراعية في معجمه نوعيه: الأول البابونج الألماني DEUTSCHE KAMILLE، والثاني البري WILDE CHAMO-MILE، ويسميه المصريون شيح بابونج، ولقد سمى الطبيب الألماني جواكيم JOACHIM هذا العشب الذي زرع في إنجلترا خلال القرن السادس عشر الميلادي «البابونج الروماني»؛ لأنه لاحظ انتشار نموه جوار مدينة روما، وخلال الفترة الزمنية نفسها أطلق النباتي الألماني بوك BOCK الاسم اللاتيني TRAGUS على اسم النوع CHAMOMILE وهي مشتقة من كلمتين ألمانيتين تعنيان تفاحاً على الأرض، لأن النبات ينمو قريباً من الأرض، وله رائحة اعتقد أنها تشابه التفاح، ويعرف بالإنجليزية CHAMOMILE.

وهناك صنفان رئيسان من البابونج هما:

الأول: البابونج الروماني ROMAN CHAMOMILE، واسمه العلمي ANTHEMIS NOBLIS من الفصيلة المركبة COMPOSITAE، يتميز برؤوسه الزهرية المزدوجة أو نصف المزدوجة، وهو أكثر النباتات استعمالاً في أوربا لتحضير العقار، واستخدم قديماً في العلاج، ووزع قبل زمن طويل في الحدائق الإنجليزية.

الثاني: البابونج الألماني GERMAN CHAMOMILE ويعرف بـ MARTICARIA FLOWERS أو يسمى بالبابونج الهنغاري، واسمه العلمي MATRICARIA CHAMOMILE LINN، ويتبع الفصيلة النباتية نفسها وينتشر في بلاد الشام ومصر وغيرها، كما يزرع لأغراض تجارية في جنوب أوربا وشرقها وغيرهما.

مناطق زراعته

ينتشر نمو عشب البابونج في جنوب أوربا وشرقها وبلاد الشام ومصر ودول أوربا كافة وأمريكا الشمالية وأستراليا، كما يزرع في عدد من دول العالم لأغراض طبية، وتوجد نباتاته البرية على حواف الطرق والمزارع والبراري، وموطن البابونج الروماني وسط أوربا وغربها وشمال إفريقية.

وصفه النباتي

البابونج نبات حولي يبلغ ارتفاعه بين ١٥ و ٣٥ سنتيمتراً، والساق سريعة النمو كثيرة التفرع، ويزهر بين شهري حزيران/يونيو وآب/أغسطس، بعد مرور ٦ ـ ٨ أسابيع من إنباته. وأوراقه صغيرة الحجم ريشية مجزأة خيطية، وأزهاره في شكل نورات تخرج في نهايات الفروع الرفيعة، والنورة رؤيس تختلف في شكلها ولونها حسب أنواع هذا العشب، والنموات البرية للبابونج الألماني تنتشر في بلاد الشام ومصر وغيرها، ويراوح قطر قرصه الزهري بين ١٠ و ١٨ ملم، ويوجد فيه لسينات يراوح عددها بين ١٢ و ٢٠، ولا يشبه البابونج الروماني الذي يوجد في رؤيساته تقعر محدب أجوف من الداخل؛ وله رائحة عطرية مستحبة مميزة، وطعم مر قليلاً، ويتكون الرأس الزهري للنبات من أزهار أنبوبية صفراء (أزهار حرشفية) يحيط بها أزهار

أزهاره في شكل نورات تخرج في نهايات الفروع الرفيعة



الرؤوس الزهرية تحتوي على زيت طيار

لسينية بيضاء تتجمع على محيط الأزهار الصفراء، وتحيط بها كالتاج، وتتجه تويجاتها نحو الأسفل، وأزهاره الداخلية أنبوبية ولونها أصفر، تتفتح أزهاره اللسينية البيضاء المحيطية، وتنثني إلى الخارج كي تأخذ الوضع الأفقي بعد الظهر، ثم تبدأ بالانغلاق حتى الساعة السابعة مساء، وثمار النبات فقيرة يصل طولها نحو مليمتر.

الأجزاء المستعملة من النبات

يستعمل طبيًا بشكل خاص أزهار النبات، ويفضل جمعها بعد يومين من تفتحها عندما تكون الأزهار اللسينية البيضاء في وضع أفقي، ويصل فيها محتواها من المواد الفعالة إلى حده الأقصى، ثم تجفف بسرعة في مكان ظليل جيد التهوية، ثم يحفظ في عبوات محكمة القفل بعيداً عن الضوء، وهي ذات صفات عطرية، ويستخرج الزيت بالتقطير البخاري للأزهار، ويستعمل في الطب الشعبي جميع أجزاء النبات: أزهاره، وفروعه الخضرية بعد تجفيفها.

مكوناته الفعالة

يمكن تصنيف المواد الفعالة الموجودة في الرؤوس الزهرية للبابونج في قسمين رئيسين هما:

الأول: مركبات تذوب في المذيبات العضوية: وهي الزيت العطري، ويعزى إليه فعاليته الدوائية.

الثاني: مركبات تذوب في الماء: تشمل الفلافونيدات FLAVONIDES، وجلوكوسيدات GLUCOSIDES وأحماضاً عضوية وكومارين، وأمبلفرين، وبكتين، وهي توجد في منقوع الأزهار في الماء الساخن التي شاع استعمالها في الطب الشعبي، وتتأثر نسب المكونات الفعالة الموجودة في البابونج بالطقس السائد في منطقة زراعته وصنفه الوراثي.

وتحتوي الرؤوس الزهرية للبابونج الروماني على زيت طيار تراوح نسبته بين ٣ر. و ١٪ ولونه أزرق سماوي بعد فصله بالتقطير البخاري نتيجة احتوائه على مركب آزولين، كما يوجد في الزيت حمض داي هيدروكسي سيناميك DIHYDROXY CINNAM-IC ACID وأبيجنين (TRIHYDROXY FLA-VONE) APIGENIN، وكلاهما حر، أو في صورة جلوكوسيد، وفيه أيضاً مركبات بيسابولول BISABOLOL، ويوجد في قمم أزهار البابونج الألماني نسبة لا تقل عن ٤ر.٪ من الزيت الطيار الذي يحتوي بيسابولو، وكيمازيولين CHAMAZULENE في صورة مركب أولي لماترسين PRECURSOR MATRI-CIN وفارنسين FARNESENE، وفيه أيضاً مارترزين MATRIZIN (APROAZULENE)،



حشرة ترتشف رحيق أزهار البابونج

وفلافونيدات وكومارين، مثل: هيرنيارين HERNIARIN، وتحتوي لسينات الأزهار الجافة على نسبة تراوح بين ٧ و ٩٪ من جلوكسيد أبيجنين APIGENIN GLUCOSIDE، ونسبة تراوح بين ٣ر. ـ ٥ر. من أبنين APIGENIN حر ويوجد في أزهار البابونج ٥ ـ ٧٪ رماد.

في الطب الإسلامي

وصف الأطباء المسلمون أزهار البابونج في علاج الكثير من الأمراض، وقال عنه صاحب القانون ـ ابن سينا: البابونج هو أنفع للإعياء أكثر من غيره؛ لأن حرارته شبيهة بحرارة الحيوان، وللدماغ نافع من الصداع البارد، ولاستفراغ مواد الرأس، وينفع الرمد والبثور والحكة والوجع والجرب ضماداً، يسهل النفث، ويذهب اليرقان، ويدر البول. ووصف العشّاب العربي الشهير ابن البيطار البابونج في كتابه «الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية» بأنه زهر أبيض وأصفر وهو أسرع الزهور جفافاً مقوية للدم، وتساعد على الهضم، وزيتها عطري طيب الرائحة يسكن الأورام دهناً، ويقوي الأعضاء العصبية كلها، وهو أنفع الأدوية أكثر من غيره، ويستخدم بدهنه في الحميات، وينفع في كل حمى غير شديدة الحدة، ويقوي الدم، ويساعد على الهضم. وقال الحافظ الذهبي في كتابه «الطب النبوي» عن البابونج: حار يابس في الأولى ملطف منفخ ملين محلل بلا جذب، وتلك خاصيته، ويدر البول والحيض شرباً وجلوساً في طبيخه، ويخرج الجنين والمشيمة، ويوضع في الضمادات والحقن الباردة، وجاء هذا القول نفسه في كتاب الطب من الكتاب والسنة لموفق الدين البغدادي.

فوائده الطبية

اكتشف الأطباء أن أزهار البابونج لها فعاليات علاجية متنوعة، فهي مضادة للالتهابات وحالّة للتشنج وطاردة لرياح البطن، بالإضافة إلى فائدتها في إسراع شفاء الجروح، والوقاية من القرحة، وتقليل نمو الجراثيم والفطور، وتعمل مستحضراته الدوائية من أزهار البابونج بواسطة المذيبات العضوية والماء للحصول على أكبر نسبة من المركبات الفعالة الموجودة فيها لاستعمالها داخل جسم الإنسان وخارجه.

ضد أمراض في الجهاز الهضمي

يفيد شرب مغلي البابونج ساخناً لتخفيف آلام المغص المعدي أو المعوي، وتقليل الارتباكات الهضمية البسيطة خاصة في الأطفال، وله خواص مقوية للمعدة، ويخفف

حدة الالتهابات في الأغشية المخاطية المبطنة للجهاز الهضمي لتأثيراته الملطفة والمطهرة، كما يخفف حدة التشنجات المعدية والمعوية. وأشار أحد الأبحاث العلمية الحديثة على الفئران إلى فائدة مركب البسابول الموجود في أزهار البابونج في إعاقة تكوين القرحة المعدية والإسراع في شفاء المحدث منها بواسطة عوامل كيماوية أو حرارية.

تخفيف الالتهابات الجلدية

استعملت كمادات (لبخات) poultices محضرة من زهور البابونج الروماني خارجياً في المراحل الأولى من الالتهابات فأفادت في تخفيف حدتها. وتتوافر في الأسواق مستحضرات من مستخلص البابونج ١٠٪ يحتوي على زيت عطري بنسبة ٥ر.٪ لاستعماله في دهن حلمة الثديين للأم المرضع، والطفح الجلدي المتكون حولهما، وفي حالات الحكة الجلدية، نتيجة أسباب مختلفة، وفي عمل حمام مائي للأطفال المصابين بالتهابات جلدية.

طارد رياح البطن

لاحظ الأطباء فائدة شرب منقوع البابونج في الماء الساخن، أو استعمال الزيت المستخرج من أزهاره في شكل مستحضرات دوائية في طرد رياح البطن، وتسكين المغص الناشئ عنها.

محلول مطهر للفم

يفيد استعمال مستخلص أزهار البابونج محلولاً بشكل مضمضة أو غرغرة لتخفيف حدة الالتهابات في تجويف الفم والحلق والتهابات اللثة والتهاب اللوزتين لحتواه من العناصر الفعالة التي تقلل نمو الجراثيم.

ضد أمراض في الجهاز التنفسي

يفيد استنشاق أبخرة مغلي أزهار البابونج في الماء وزيته في تخفيف حالة الزكام، والتهابات الطرق التنفسية، والتهابات الجيوب الأنفية، والحنجرة، والقصبات الهوائية، وتتوافر مستحضرات دوائية لهذا الغرض، كما يفيد شرب مغلي الأزهار في الماء في الوقاية من نزلات البرد.

لمرضى القلب

أظهرت إحدى الدراسات الحديثة على مرضى القلب أن تناولهم شاي البابونج الألماني المعروف في بلاد الشام ومصر باستعمال القسطرة VENTRICULAR CA-THEREISATION ليس له تأثيرات معنوية على القلب، لكن كانت له تأثيرات منومة HYP-NOTIC EFFECTبعد مرور نحو ١٠ دقائق من شربه، ونام المرضى بشكل عميق نحو عشر دقائق.

فوائد صحية متعددة للبابونج

فوائد صحية أخرى

يفيد شرب مستحضرات أزهار البابونج في تخفيف آلام الحيض للمرأة، ويستعمل محلولاً لغسيل العيون المصابة بالرمد، وغسولاً مهبليًا له تأثيرات تقلل نشاط الجراثيم.

بدائل البابونج

الأول: البابونج المفرد SINGLE CHAMO-MILE يحصل عليه من النباتات البرية، ويمكن تمييزه من النوع المزدوج بوجود صف مفرد من اللسينات البيضاء والباقي أصفر وأنبوبي، ويباع هذا النوع أحياناً باسم البابونج الإسكوتلندي.

الثاني: زهر اللبن FEVER FEW كما في سورية ويسميه بعضهم (الأقحوان)، واسمه العلمي CHRYSANTHEMUM PARTHENIUM، وهو يتبع أيضاً الفصيلة المركبة COMPOSI-TAE، وتنخفض فيه نسبة الزيت العطري عن نوعي البابونج (الألماني والروماني)؛ لذا تقل فائدته العلاجية عنهما، والنبات له رأس زهري مزدوج يشبه البابونج، وكرسي الزهرة فيه مسطح، وحرشف النبات قد يكون موجوداً أو غائباً تبعاً للصنف، ويعرفه بعض عامة الناس ويميزونه من البابونج الحقيقي.

المراجع:

1- REYNOLDS, J.E.F., ET AL (EDS) (1989).
MARTINDALE. THE EXTRA PHARMACOPOEIA. P1060, 1064
THE PHARMACEUTICAL PRESS. LONDON. ENGLAND.
2- TREASE, G.E., AND EVANS, W.C. (1985).
PHARMACOGNOSY. P465. BAILLIERE TINDALL, EAST BOURNE. ENGLAND.
3- WALLIS,. T.E (1985).
TEXTBOOK OF PHARMACOGNOSY P177. PITMAN. EAST BOURNE, ENGLAND.
٤ - ابن البيطار، الطب العربي «الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية». ص١٨٩، دار العلم، بيروت، لبنان.
٥ - ابن سينا، القانون في الطب، ج١، ص٢٦٤، دار صادر، بيروت، لبنان.
٦. الذهبي، الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد، الطب النبوي، ص٧٩، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.
٧. علما، د. طالب (١٩٩١م)، البابونج بين القديم والحديث، مجلة عالم الطب والصيدلة، المجلد ٩، العدد ٣، ص٢٠.
٨. المنظمة العربية للتنمية الزراعية (١٩٨٨م). النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي، ص٧٨، الجامعة العربية، الخرطوم، السودان.

حوار على فراش الموت

محمود جبر الربداوي


الدكتور حسن ظاظا

كان مغمض العينين، ساهم الوجه، مستلقيًا على سريره الأبيض، عندما دخلتُ عليه في غرفته في مستشفى الملك خالد الجامعي، تحاشيتُ أن أوقظه، لأني توسمتُ أنه يغط في سبات عميق، غير أنه ما إن سمع وقع أقدامي حتى حاول جفناه الانفراج فانفرجا عن عينين متعبتين مكدودتين، خبا عنهما البريق الذي كنا نعهده فيهما، ونظر إلي فلم يتبين من الداخل عليه حتى تكلمت، فمدّ يداً متثاقلة مرهقة، وناداني باسمي، فضم يديَّ بين يديه الاثنتين، ضمة فيها من الدفء والحنان الشيء الكثير. وقال لي: دونك الكرسي، قربه من سريري، واجلس بجانبي، فأنا لست نائماً، ولكن استوى عندي تغميض عيني أو تفتيحهما، لقد كل بصري، وانحسرت رؤيتي، فأنا أرتاح لإغماض عيني، فأسترسل باستعراض شريط الحياة الطويل، وأجتر ذكريات الماضي السعيد، فأشعر بشيء من السعادة، أستعين بها على نسيان الألم الذي أعاني منه في أطراف مختلفة من جسدي، ولكن دعنا من الشكوى، فالعليل الذي يكثر الشكوى لكل زائر يزوره إنما يحمل الهموم التي تجمعت في قلبه فيقذفها في قلب زائره، فأنا لا أحب الشكوى؛ إذ الشكوى اجترار للألم، وإذا كان العليل يلذ له اجترار ألمه عساه يظفر بمن يشاركه في استلال هذا الألم، ولكن ما ذنب الزائر حتى يسمع كلاماً هو في غنى عن سماعه؟

قل لي: ما هذا الذي بيدك؟ قلت له: إنه كتاب وجدته فوق رأسك، عنوانه «فك الطلاسم» فقاطعني قائلاً: لقد أهداه لي طبيبي الذي يعالجني الدكتور ربيع السعيد عبدالحليم، وهو قصيدة مطولة من شعره عارض فيها الشاعر المهجري إيليا أبا ماضي في قصيدته المشهورة المسماة «بالطلاسم» والتي اشتهرت بين الناس باسم «لست أدري» فقلت له: أنا أعرف الدكتور (ربيع السعيد) طبيبًا جراحًا، وأنت الآن تكشف لي عن شخصيته شاعراً، وهذا جانب لا أعرفه، ولا أكتمك سراً أنني أحب شعر الأطباء الشعراء أكثر من شعر بعض الشعراء الشعراء؛ لأن الطبيب عندما يمارس الشعر لا يمارسه إلا وهو مزوّد بالموهبة الشعرية، والاستعداد الفني، والذوق المصفى، والرغبة الجموح، فإذا كان يملك الثروة اللغوية، والرصيد اللفظي، وملكة التصوير فقد استوت عنده كل مقومات الفن التي من شأنها أن تبدع الشعر الجميل. أما الشعراء الشعراء فتنقص بعضهم بعضُ هذه المقومات أو كلها، ولكنهم لا يتورعون من ترك قول الشعر، فيدخلون المعمعة بسلاح كليل، وزنود رخوة، وموهبة بين بين، واستعداد وسط، وطموح كبير لدخول حلبة الصراع، وشتان بين الطبع والصنعة، أما سمعت بقول الشاعر: «ليس التكحل في العينين كالكَحَل» فقال لي: ما عدوتَ ما في نفسي، فأنا

أطرب لشعر هؤلاء الأطباء الشعراء، أين أنت من شعر الدكتور إبراهيم ناجي صاحب الأطلال، والدكتور أحمد زكي أبي شادي، والشعراء الأطباء (بلديّاتك) الدكتور عبدالرحمن الشهبندر، والدكتور عبدالسلام العجيلي، والدكتور وجيه البارودي صاحب ديوان (بيني وبين الغواني) القائل:

بيني وبين الغواني

شبيه حربٍ عوانِ

لا وجود للطلاسم في المعجمات العربية

فكل هؤلاء أطباء، إذا أغلق أحدهم عيادته، ورجع إلى منزله، وخلا إلى شيطان شعره، ومَتح من معين تجربته اليومية أو الحياتية، جاء بالعجب العُجاب. هات اقرأ لنا من كتاب (فك الطلاسم)، فقلت له: قبل أن أقرأ لك أريد أن أسألك - وأنت العالم الخبير باللغات وفقهها، عن لفظة (طَلاسم)، ومفردها (طِلَّسْم) هل هي عربية أو ساميّة الأصل؟ وما المعنى الدقيق للكلمة؟ وهل نجد لها تفسيراً وشرحاً في المعجمات العربية؟

فقال: لو حاولت أن تبحث عنها في المعجمات العربية القديمة لما وجدت اللفظة، وإنما تجدها في الموسوعات ودوائر المعارف العربية الحديثة، وإن كانت هذه الموسوعات قد اختلفت في تعريف (الطِّلَّسْم) فهي لا تعدو ثلاثة أقوال: الطِّلَّسم: أثر الاسم، والطِّلَّسْم: تعريب للكلمة اليونانية (تالسما) ومعناها: الجزية، أو (تالسموس) ومعناها: العُقدة التي لا تحل أو التكميل، ولكن تطورت دلالة (الطِّلَّسْم) فأصبحت - كما فهمناها في هذا العصر، وخاصة كما فهمها أبو ماضي تعني لغز الحياة، أو تدابير القدر، أو الغيبيات التي لا يد للإنسان في تسييرها أو تحريكها، أو علم المجهول. وهذا العلم اشتغل به المصريون القدماء، والبابليون، والكلدانيون، والسريانيون، والإسرائيليون، والإغريق، ويقال: إن الحكيم (بلنياس) هو أبو الطلاسم، ويُنسب إلى (هرقس) المثلث بالحكمة أنه وضع كثيراً من القواعد الخاصة بأعداد الطلسمات، وتحدث ابن خلدون في مقدمته عن جابر بن حيان الذي ألّف في علم الطلاسم وعلم السيمياء، ويحسن بي أن أذكرك بأن العرب تحدثوا عن خمسة علوم، هي:

علم السيمياء: وهو العلم الذي يُتصرف فيه بخيال الإنسان، وعلم الكيمياء: وهو علم تأثير العناصر أو الأحماض في المعادن لتحويل تركيبها الكيماوي، وعلم الليمياء: وهو علم الطلاسم، وتمزيج القوى السماوية وتأثيرها في القوى الأرضية، وعلم الهيمياء: وهو العلم بأحوال السيارات السبع، أو تأثير علم الفلك في الكوكب الأرضي، وعلم الريمياء: وهو علم تمزيج القوى الأرضية بعضها ببعض.

وقد ألف في هذه العلوم عبدالعلي البرجندي، في «شرح التذكرة»، وفي «شرح المواقف»، ثم جاء مسلمة ابن أحمد المجريطي، إمام أهل الأندلس، فجمع كل الكتب السابقة في هذه العلوم وألف كتابه: «غاية الحكيم».

فقاطعت الدكتور حسناً، وفتحت كتاب (فك الطلاسم)، فوقع بصري في الصفحة الأولى على المقطع:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيتُ

ولقد أبصرتُ قدامي طريقًا فمشيتُ

وسأبقى ماشيًا إن شئت هذا أو أبيْتُ

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري

فقال لي: هذا المقطع من طلاسم أبي ماضي، وليس من فك طلاسم الدكتور ربيع، فقلت له: نعم، إن الدكتور ربيع - عندما أوعز لمن يطبع الكتاب - أشار عليه بأن يثبت قصيدة أبي ماضي بتمامها، ثم يثنّي بإيراد قصيدة فك الطلاسم بتمامها أيضًا، ليكون القارئ أقدر على مقارنة المعاني، ومفاضلة الأفكار، فاسمع ماذا قال الدكتور ربيع في فك الطلاسم:

جئتُ دنياي وأدري، عن يقين، كيف جئتُ

جئت دنياي لأمرٍ، من هدى الآي، جلوتُ

ولقد أبصرتُ قدامي دليلاً، فاهتديت

الشعراء الشعراء قد تنقصهم مقومات الفن الشعري، فيدخلون المعمعة بسلاح كليل وموهبة بين بين



رسائل القراء إليه لم تنقطع حتى وفاته

ليت شعري! كيف ضل القوم عنه؟! ليت شعري

قال لي: زد، فالرجلان مختلفان، فقرأتُ:

ليس سرًا ذا خفاءٍ أمر ذيّاك الوجودْ
كل ما في الكون إبداعا إلى الله يقودْ
كائنات البرِّ والبحر على الخلق شهود
ليت شعري! كيف ضل القومُ رشدًا؟
ليت شعري

مناقضة لا معارضة

قال: هذه مناقضة وليست معارضة، فقلت له: لسنا بصدد تعريف المصطلحين: المناقضات والمعارضات، ولكني أرى أن (الآيديولوجية) - إن قبلتَ مني هذا المصطلح الحديث، وأعرضت عن المصطلحين القديمين - أقول: إن الآيديولوجية التي انطلق منها كل من الشاعرين مختلفة تمامًا، ومن حقك أن تسميها (مناقضة) لا (معارضة)؛ لأن فكر أبي ماضي - كما صوره المقطع - فكر تسيطر عليه الحيرة، ويستبد به الاضطراب، ويتملكه القلق؛ لأنه حائر في فك لغز الحياة، يرى نفسه في هذا الوجود مسيّرًا لا مخيرًا، قَدِم من المجهول، وتوجه نحو العدَم، ألم تجده يقول: (لست أدري، لست أدري)؛ ولذلك من حقه أن يسمي هذا الجهل بالدراية (طلاسم) فالماضي طلسم، والمستقبل طلسم، وما بينهما أيضًا طلسم.

أما فكر الدكتور ربيع فهو فكر الرجل المطمئن، فكر الرجل الذي عرف بداية طريقه فارتسمت له نهايته، عرف الرجل رسالته الإنسانية في الوجود فقبل بها، وزودته العناية الإلهية بدليل من آيٍ فاهتدى بها، فكيف يضل من عرف مهمته في الحياة، وحمل دليله الهادي في الوجود؟ وإذا كان ثمة ما يحيّره فهو هذا الضلال الذي يرى عليه البشر، مع علمهم بأن كل ما في الوجود يقود إلى معرفة مُوْجِد الوجود.

قال: صحيح تفسيرك هذا استنادًا إلى اختلاف (الآيديولوجيتين) كما يحلو لك أن تفسر المقطعين في ضوء هذه التسمية، ولكنّ لي تفسيرًا آخر لاختلاف الفكرتين، وهو أن حيرة إيليا أبي ماضي وقلقه النفسي لا يعدوان أن يكونا انعكاسًا لحيرة المجتمع الذي كان يعيش فيه، فأبو ماضي عاش في النصف الأول من هذا القرن في أمريكا، بعد اغتراب طويل، وأمريكا في تلك الحقبة كانت لا تزال مهوى أفئدة الباحثين عن الرزق وعن الغنى، كانت تمثل الأرض البكر التي يتقاطر إليها الناس من شتى قارات العالم القديم، يتوافدون إليها من جنسيات مختلفة، وأعراق متعددة، ولذلك غدا سكانها أخلاطًا غير متجانسة، لا يجمعهم إلا حب الثروة والبحث عن المال، ولذلك اضمحلت القيم الروحية، وارتفع صوت الاقتصاد، فخفت صوت الدين، وصار

في مجلسه الذي شهد حوارات ثرة في الأدب والفكر والجمال

قصارى جهد الناس في هذا المجتمع الجديد البحث عن المال الذي يوفر لهم متطلبات الحياة ومتعها، وتوجهت فلسفة أناس هذا المجتمع إلى الفلسفة المادية، فماتت الروحانيات القديمة، ونبتت على آثارها قيم جديدة، قيم متعددة بتعدد العروق التي أفرزتها، وهذا التعدد في القيم أدى إلى سيادة الحيرة في المجتمع، والقلق النفسي في أوساط هذا الخليط غير المتجانس وانعكست هذه الحيرة من المجتمع على أفراده، فعمّت كل طبقاته، ولكنَّ الذين استطاعوا أن يعبّروا عنها هم المفكرون والشعراء. لاسيما أن هؤلاء كان بعضهم ما زال يحمل شيئًا من روحانية الشرق كإيليا أبي ماضي، فكانوا يمثلون المرحلة الانتقالية بين روحانية الشرق ومادية الغرب؛ ولذلك بدا الوجود لهم لغزًا محيرًا، وطلسمًا يستعصي على الفهم، ومثل هذا الشعور لم يتعرض له صاحب (فك الطلاسم) لأنه احتفظ بصفاء نفسيته ونقاء معتقداته، الأول يمثل زعزعة قيم مجتمعه وحيرته، والثاني يمثل رسوخ قيم مجتمعه وثباته.

قلت له: هذا كلام جميل، ولكنه أقرب إلى دراسة فلسفة الشعوب والمجتمعات منه إلى استكناه شفافية الأدب والشعر، أتحب أن نعود إلى الشعر؟ فقال: اقرأ لي ما تيسر مما أمامك، فوقع بصري على مقطع آخر من الطلاسم يقول فيه أبو ماضي:

ربَّ قبح عند زيد، وهو حُسْنٌ عند بكر
فهما ضدان فيه وهو وَهْمٌ عند عمرو
فمَنِ الصادقُ فيما يدعيه، ليت شعري؟
ولماذا ليس للحُسن قياسٌ؟...
لست أدري

مورد كثير الزحام

قال: زدني، هذا حديث جميل عن الجمال، والله جميل يحب الجمال، فأنشدته المقطع الذي يليه، وهو قوله:

قد رأيت الحُسْنَ يُنسى مثلما تُنسى العيوبْ
وطلوع الشمس يُرجى مثلما يُرجى الغروبْ
ورأيت الشرَّ مثلَ الخير يمضي ويؤوبْ
فلماذا أحسب الشر دخيلاً؟
لست أدري.

قال: يكفي، فالرجل يطرح قيمًا فلسفية كثيرة في هذين المقطعين: الجمال والخير والشر، وكل واحدة من هذه القيم الفلسفية تحتاج إلى وقفة مطوّلة. فقلت له: دعنا من فلسفة الخير والشر، فهذه النقاط تعيدنا إلى الحديث عن الفلسفة، ونحن اتفقنا على أن نُقفل باب الفلسفة، ونفتح بابًا من الحوار يُمْتعنا، وأنت تعلم أنَّ فلسفة الخير والشر فلسفة شغلت أفكار العلماء منذ أرسطو وأفلاطون وسقراط في أمة اليونان، إلى ابن سينا والفارابي والكندي وابن رشد والمتكلمين وإخوان الصفا من أمة العرب؛ فدعنا نتحول إلى الجمال فلعل في الحديث عنه شيئًا من المتعة، قال سأبدأ الحديث عن الجمال ببيتين قالهما شاعر قديم أستحسنهما، وهما:

خلقتَ الجمال لنا فتنة
وقلت لنا: يا عبادي اتقون
فأنت جميل، تحب الجمال
فكيف عبادك لا يعشقون؟

فقلت له: إنهما بيتان جميلان، والجمال مَوْردٌ عذب، وقديما قيل: «والموردُ العذبُ كثير الزحامْ» قال: عساك

تقول لي: لقد عارضهما معارض في هذا الزمان، كما عارض الدكتور ربيع إيليا أبا ماضي في طلاسمه، فقلت له: لقد عارض البيتين معارضان وليس واحداً، ولِكُلِّ معارضٍ قصيدة طويلة، أما الأول فهو الشاعر عمر بهاء الأميري، يقول في معارضته:

خلقتَ الجمال لنا نعمة
وقلتَ لنا: يا عبادي اتقونْ
وإن الجمال تُقى والتُّقى
جمالٌ ولكن لمن يفقهونْ
فذوق الجمال يُصفّي النفوسَ
ويحبو العيون سموَّ العيونْ
ومن خامر العشقُ أخلاقه
تأبّى الصّغار وعاف المجونْ

وتسترسل قصيدته على هذا المنوال، والشاعر الثاني الدكتور عدنان النحوي القائل من قصيدة طويلة:

خلقتَ الجمال لنا آيةً
تطوف القلوب بها والعيونْ
وأبدعتَ في الكون ما تجتلي
عيوناً، وما هو سِرٌّ دفين
وزيّنته، يا لَهذا الجمال
وهذا الجلال، وهذا الفتون!
فتخشع في نوره أضلع
وتخفق أشواقها والشجونْ
فأنت جميل تحب الجمال
لذلك قلت: عبادي اتقون

الفضل للمتقدم

فقال: والله معارضات جميلة في الجمال. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وقصارى ما أقول فيه: إنه شعر (آيديولوجي) - كما قررنا في أول حوارنا، وإني أذكّرك - وأنت الناقد الذّكور - بالعبارة النقدية المشهورة - وأنت مؤلف معجم العبارات النقدية - : «كم ترك الأول للآخر!» ولكنْ إن بحثت عن «الشعرية» - كما يقول تودوروف، أقول: «ولكن الفضل للمتقدم». فقلت له، وقد أراح ظهره إلى مسند السرير الأبيض، وقرأت على وجهه علامات الابتهاج والاستمتاع: سأزيدك من الشعر بيتًا بل بيتين، يُدرجان في هذا السياق، يبتهل فيهما الشاعر العاشق إلى خالق الجمال، فيقول:

أيا ربِّ، تخلقُ ما تخلقُ
وتنهى عبادك أن يعشقوا
إلهي، خلقتَ الوجوه الحسانَ
فأيُّ عبادك لا يعشقُ؟!

فهشَّ الرجل وبشَّ، وانفرجت أساريره، وقال - وعلى طريقته في خفة الظل - أنا من عباد الله الذين يعشقون الوجوه الحسان، فقلت في نفسي: رجع الشيخ إلى صباه - أطلْ وقفتك عند هذه الفكرة؛ لأن الرجل يطرب لهذا الموضوع، فقلت له: أين موقع الدكتور حسن من الجمال والعشق؟ فابتسم وقال:

القلب قد أضناه عشق الجمالْ
والصدر قد ضاق بما لا يقالْ
يارِبِّ، هل يرضيك هذا الظما
والماء ينساب أمامي زلالْ

فقلت له: أرجلٌ مثلك بهذه المنزلة من العلم، وبهذه المرحلة من العمر، وبهذه الحالة من المرض يقول: القلب قد أضناه عشق الجمال! واسمح لي أن أقول: والله ما أضنى قلبك إلا هذه السنوات الثمانون، فأمال رأسه، وابتسم ابتسامة لا تعبر عن رضا، وتمتم:

إنَّ الثمانين - وبُلّغتَها -
قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمان

هذا عمر الخيام تجاوز الثمانين عاماً، وأبرز بيت في رباعياته ذاك الذي يردده آلاف البشر، مع كوكب الشرق، قوله:

أولى بهذا القلب أن يخفقا
وفي ضِرام الحب أن يُحرَقا
ما أضْيَعَ اليومَ الذي مرّ بي
من غير أن أهوى وأن أعشقا

ولكن حذارِ أن تفهم مني أن استشهادي بهذه الرباعية

العليل الذي سئم أمراضه وأدرانه يحلو له أن يتظرف بملح الحديث ولسان حاله يقول: سئمت تكاليف الحياة...

دعوة للعشق كعشق أناس هذا الزمان، وإنما أقول: إذا لم يكن بد من العشق فليقرنه أصحابه بالعفاف، فقد سمعتُ من يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عشق فعف فمات مات شهيداً».

سأم العواجيز

فقلت له: ليسمح لي شيخي أن أقول له: إن هذا الحديث ضعيف، بل هناك من الموثوقين من المصنفين في الحديث من يراه موضوعاً، ويحتجون بحديث يكاد يناقضه، وهو قول منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عاد من الجهاد قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». ولما سئل عن الجهاد الأكبر، قال: جهاد النفس، وبرأيي أن منزلة الشهداء عند ربهم أعلى وأغلى من أن يصل إليها العشاق حتى ولو عفوا. فقال لي: لا تأخذ كل كلامي على حقائقه، فالعليل الذي سئم من أمراضه وأدوائه يحلو له أن يتظرف بمُلَح الحديث، ولو خبرت حقيقة نفسه لوجدتَ لسان حاله يقول:

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعشْ
ثمانين حولاً ـ لا أباك لك ـ يسأم

لحى الله زهيراً ما أدق حكمته، إنه يعبر عن سأم الملايين من (العواجيز) أمثالي في كل زمان وفي كل مكان، ولكنْ دعْ ما يريبك إلا ما لا يريبك، دع العشق فإن الحديث فيه مما يريب، وعُد بنا إلى الجمال المجرد فإنه مما لا يُريب، عُد بنا إلى إيليا أبي ماضي في الجمال وأبو ماضي شاعر من عشاق الجمال ـ وأستغفر الله من كلمة عشاق إذا كانت لا تزال تخلق لك ظلالاً غير مستحبة ـ ألم تقرأ بيته الذي يردده الناس

حيرة إيليا أبي ماضي في «الطلاسم» انعكاس لحيرة المجتمع الأمريكي الذي عاش فيه

كثيراً: «كن جميلاً تر الوجود جميلاً» أو لم تقرأ بيته الذي يقول فيه:

والذي نفسُهُ بغير جَمالٍ
لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

ولكنْ مالي أسمعك أبيات الجمال في شعر هذا الشاعر وأنت (أستاذ علم الجمال) فهات أسمعنا شيئاً من شعره عن الجمال ورأيه في فلسفة الجمال، فقلت: قبل أن أحدثك عن رأيه في مفهوم الجمال وفلسفته أو نظريته، إذا جاز أن تسميه صاحب نظرية، سأتلو عليك شيئاً من جمالياته، وفيها بعض فلسفته، فمثلاً في قصيدته التي عنوانها «العيون السود» ـ وأنت تعلم ندرة العيون السود في أمريكا ـ التي مطلعها:

ليت الذي خلق العيون السودا
خلق القلوب الخافقات حديدا

يُنحي فيها على الذين يرون الجمال ولا يهيمون به، ويصفهم بأنهم أصحاب طباع بليدة، فيقول:

إن أنت أبصرتَ الجمال ولم تَهِمْ
كنت أمرأ خشِنَ الطباع بليدا

ويقول في قصيدته التي مطلعها:

كن بلسماً إن صار دهرك أرقما
وحلاوةً إن صار غيرك علقما

يذهب الشاعر إلى أن الجمال مقترن بالعقل، موصول فهمه بذوي النُّهى، أما أصحاب الجهالة فإنهم إذا رأوا الجمال أخذتهم حيرة الجهلة، فتوزعتهم الظنون. قال:

لاح الجمال لذي نهىً فأحبه
ورآه ذو جهلٍ فظن ورجَّما
لا تطلبنَّ محبة من جاهلٍ
المرء ليس يحب حتى يفهما

حتى إن أبا ماضي جعل وظيفة الشاعر في الحياة اكتشاف الجمال في الطبيعة، وأن الله، مبدع الكون، رزق الشاعر موهبة الشعر لكي يساعد أبصار الناس وبصائرهم على استكناه جمال الكون، وهذه الرؤية يلتقي فيها أبو ماضي مع النقاد المعاصرين، وعلى رأسهم (ديفد ديتش) يقول إيليا:

عندما أبدع هذا الكونَ ربُّ العالمينا
ورأى كل الذي فيه جميلا وثمينا
خلق الشاعر كي يخلق للناس عيونا
تبصر الحسنَ وتهواه حراكا وسكونا



حديث الجمال والعشق كان يستثير ذاكرته

وزمانا ومكانا وشخوصا وشؤونا
فارتقى الخلق، وكانوا قبلَهُ لا يرتقونا
واستمر الحسن في الدنيا، ودام الحب فينا

لا مقياس للحسن

وأعود بك إلى طلاسمه وإلى المقطعين اللذين تحدث فيهما عن الجمال برأي كل من: زيد وبكر وعمر، فكل واحد من هؤلاء يرى في الجمال والقبح ما لا يراه غيره. وهذا ما يسميه علماء الجمال بنسبية الجمال، ويرون أن النسبية ليست مقصورة على الأفراد، وليست حكراً على الفروق الفردية بين الناس، بل قالوا لنا: إن هذه النسبية تكون بين عصر وعصر، وبين عرق وعرق، وبين مجتمع ومجتمع، ومرد ذلك أن الحسن ليس له قياس يقاس به، وليست له مبادئ أو معايير ثابتة، ولهذا اختلف الناس في تعريفهم للجمال منذ زمن أرسطو، ومازالوا مختلفين إلى يوم الناس هذا، فلا تحرجني بسؤال: ما تعريف الجمال؟ لأنني سأجيبك بما أجاب به الضفدع حين سألوه عن أجمل شيء في الوجود، فقال: إنها ضفدعتي. فضحك الدكتور حسن وقال: هذه فلسفة الضفادع، وأتبع ضحكته بتثاؤب عميق فأدركت أنني أطلت زيارتي، وأثقلت عليه بمكوثي عنده، وتذكرتُ أن من أدب عيادة المريض التخفيف عنه بتقصير الزيارة، فقمت فودعته وتواعدنا على زيارة أخرى بعد أيام قلائل، ووفيت بوعدي، فلما جلست بجانب سريره ألفيت صحته قد ساءت عن ذي قبل، ولكن على الرغم من تدهور صحته ظلت ذاكرته محتفظة بكامل قوتها، غير أن نفسيته تغيرت، فلم تعد عنده رغبة لسماع حديث عن الجمال والعشق وغيرهما، فلما أردت استثارة ذاكرته قلتُ أطلب منه شعراً يعينني على فتح (قابليته) للحديث: فقلت: أسمعني ما تشاء فقال على الفور:

أحِسُّ في نفسي دبيب الفناءْ
ولم أصب في العيش إلا الشقاءْ
يا حسرتا، إنْ حان حَيْني ولم
يُتح لفكري حلُّ لغز القضاءْ

فقلت له: لماذا أنت متشائم هذا اليوم؟ فعسى أن يأتي الغد وأنت أحسن صحة منك اليوم، فقال:

غدٌ بظهر الغيب، واليوم لي
وكم يخيب الظن بالمقبل
ولست بالغافل حتى أرى
جمال دنيايَ ولا أجتلي

ما هذا الأسى والكدر؟

فقلت له: دعنا يا سيدي من هذا، فقد أرجعتنا برباعياتك إلى أحاديث الأمس، إلى الطلاسم، وإلى لغز القضاء الذي لم يُتح لا لفكرك ولا لفكر غيرك أن يحله، وإلى الجمال و(الخفاء والتجلي) فارحم جسمك المكدود بالإعراض عن هذا التفكير المضني، وعن سوداوية فكر عمر الخيام الذي تحمله رباعياته التي تتمثل بها، وأذكر أنك كنت تقص علينا أخبار (نوادي الخياميين) في أوربا، هؤلاء القوم الذين بعثتْ نواديهم فكر عمر الخيام وفلسفته في الحياة وحملوا شعار (عش في حدود يومك) فقال لي: يا صديقي، كنتُ قرأت ديوان عمر الخيام وحفظت رباعياته منذ خمسين سنة، ثم نسيت أكثره، ولست



الإبتسامة كانت تنسيه ثقل الثمانين عامًا

أدري الآن لماذا تتوارد على ذهني رباعياته؟ فأنا أكلمك وفي عقلي الباطن تتحرك رباعيته التي يقول فيها:

لبستُ ثوب العيش لم أستشَر
وحرتُ فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني، ولم
أدرك لماذا جئت؟ أين المفر؟

نمضي، وتبقى العيشة الراضيهْ
وتنمحي آثارنا الماضيهْ
فقبل أن نحيا، ومن بعدنا
وهذه الدنيا على ما هيهْ

يا دهر أكثرت البلى والخرابْ
وسُمت كل الناس سوء العذابْ
ويا ترى، كم فيك من جوهر
يبين، لو يُنبش هذا الترابْ

وأسمعني أبياتًا يعاتب فيها الدهر، فقلت: خلِّ الدهر، فقبلك قال الجاهلون أو الجاهليون: *وقالوا ما هيَ إلاّ حياتُنا الدنيا، نموتُ ونحيا وما يُهلكنا إلا الدَّهْرُ وما لهم بذلك من علم إنْ همْ إلاّ يظُنون*. **الجاثية: ٢٤**، فقال: سمعًا وطاعة، ماذا عليّ لو عاتبت نفسي، فقلت: هات، فقال:

يا نفس، ما هذا الأسى والكدر
قد وقع الإثم، وضاع الحذر
هل ذاق حلو العفو إلا الذي
أذنب، والله عفا واغتفر؟

فقلت له: أحسنت الآن، زدني من هذه النفحة الربانية، فقال:

يا من يحار الفهم في قدرتك
وتطلب النفس حمى طاعتك
أسكرني الإثم ولكنني
صحوتُ بالآمال في رحمتك

إن لم أكن أخلصتُ في طاعتك
فإنني أطمع في رحمتكْ
وإنما يشفع لي أنني
قد عشت لا أشرك في وحدتكْ

وتمتم الرجل برباعيته بصوت يزداد خفوتًا بعد كل كلمة وهو يقول:

يا عالم الأسرار علم اليقين
يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار، فئنا إلى
ظلك، فاقبل توبة التائبين

نظرت إلى الرجل الذي أخذ صوته يتلاشى، فلم أتبين أهو من شدة المرض أم من غلبة النعاس عليه؟ واستغربت هذه المسحة المأساوية في كلامه، فقلت في نفسي: لا أريد أن أثقل عليه، فودعته، وقلتُ له، سأعود غدًا، فنتمّ حوارنا الشعري، وعسى أن تكون بصحة أحسن، فأشار بيده المتثاقلة أن إلى الغد.

وجئت في الغد، فوجدت سريره خاليًا، فسألت الممرضة التي كانت تُعنى به: هل انتقل إلى غرفة مجاورة؟ فصمتت قليلاً، ثم قالت: كلا، لقد انتقل إلى جوار ربه، وبدأت المهمة النبيلة التي نهض بها صديقه الرجل الشهم الدكتور راشد المبارك..

فلتقر عينك يا حسن أن مت في الرياض، في البلد الذي أحببته وأحبك، ولو دُفنت في غير ثرى الرياض لدفنت غريبًا، لقد رحلت اليوم عن دنيانا، وانقطع عملك منها، وبقى لك من الثلاث الباقيات «علم ينتفع به» وأصدقاء صالحون يدعون لك.

الحشرات

هل تصلح مصدراً غذائياً؟

ترجمة: عبدالحفيظ جباري

من المعروف أن للحشرات دوراً في عملية التلقيح أو المكافحة الأحيائية (البيولوجية)، في المقابل، يظلّ استخدامها في الأغراض الصناعية أو الغذائية مضبوطاً ودقيقاً. كما إنها توفر إمكانات عدّة لا سيما أن تَنَوُّع وحِيش الحشرات ENTOMOFAUNE وكذا كتلتها الحيوية BIOMASSE مهمان في ميزان العلم.



للجراد طعم البندق في حالة قليه

ترجمة: عبدالحفيظ جباري

فضلاً عن العسل والحرير، معلومٌ أن القرمزيّات COCHENILLES تستخدم لتصنيع أصباغ تُستعمل بدورها في إضفاء اللون القرمزي CARMIN على الأغذية والأدوية، أو لوازم التجميل.

فيما يأتي سنقف على الفائدة الغذائية الكبيرة التي تستفاد من الحشرات الأكيلة.

فائدة الحشرات الغذائية والنمو المستديم

يقدَّر الآن تعداد الآدميين الذين يُعانون من سوء التغذية بـ ٨٠٠ مليون، ويتوقع الخبراءحدوث زيادة بنسبة ٣٠٪ في تعداد سكان العالم في عام ٢٠١٠م، ليصير ٧ر٢ مليارات نسمة، وذلك يقتضي زيادة في إنتاج الغذاء بنسبة ٥٠٪ في العديد من الأقاليم الآسيوية والإفريقية، ويعاني الكثيرون حاليًا من سوء التغذية، لا سيما في البروتينات الحيوانية.

إن التغذية البروتينية اليومية التي يجب أن يتزود بها فردٌ وزْنُه ٧٠ كلغ لا بُدّ أن تبلغ ٢٢ غراماً على الأقل.

إن التغذي بالحشرات ENTOMOPHA-GIE قد يُساهم في التعويض عن هذا العوز: فعلى سبيل المثال تحْوي أجسام الأرَضات TERMITES ٣٥٪ من البروتينات و ٤٥٪ من الدُّسُم. كذلك الجنَادب SAUTERELLES تَضُمُّ أجسادها مقداراً من البروتينات يراوح بين ٥٠٪ و ٧٥٪ بينما لا تتعدى هذه المواد ٢٣٪ لدى الفرُوج، و١٧٪ لدى الخنزير.

في جنوب شرق آسيا تُستَهلَك يَرَقات MORMON COMMUN (PAPILIO POLY-TES) لمكافحة سوء التغذية: فحجمها يبلغ أوجه من النماء بعد ١٧ يومًا وتحويلها الغذاء إلى بروتينات حيوانية يتمُ سريعًا.

في جنوب إفريقية ، عُمِد منذ آلاف السنين إلى «جنْي» يرقات فراشة MOPA-NIE (GONIMBRASIA BELINA)، من فصيلة ATTACIDES التي تشبه الفراشة المسماة طاووس الليل PAON DE NUIT الموجودة بمناطقنا. وفي وُسع قطّاف مُجيد أن يجمع على مدى ساعة واحدة حتى ٢٠ كلغ من اليرقات (في أثناء الفصل الرَّطب الممتد من كانون الأول/ديسمبر إلى أذار/مارس).

هذا النوع من الفراشات، يُمثّل نسبة ٦٢٪ من كُتلتها الجافة بروتينات، وبذلك تشكل تكملة غذائية غنية تُضاف إلى الزروع. وتكفي ١٠٠غرام يوميًا لإشباع الحاجة من البروتينيات تقديراً، وكذلك من الأملاح المعدنية (كالسيوم وفوسفور) ومن الفيتامين B.

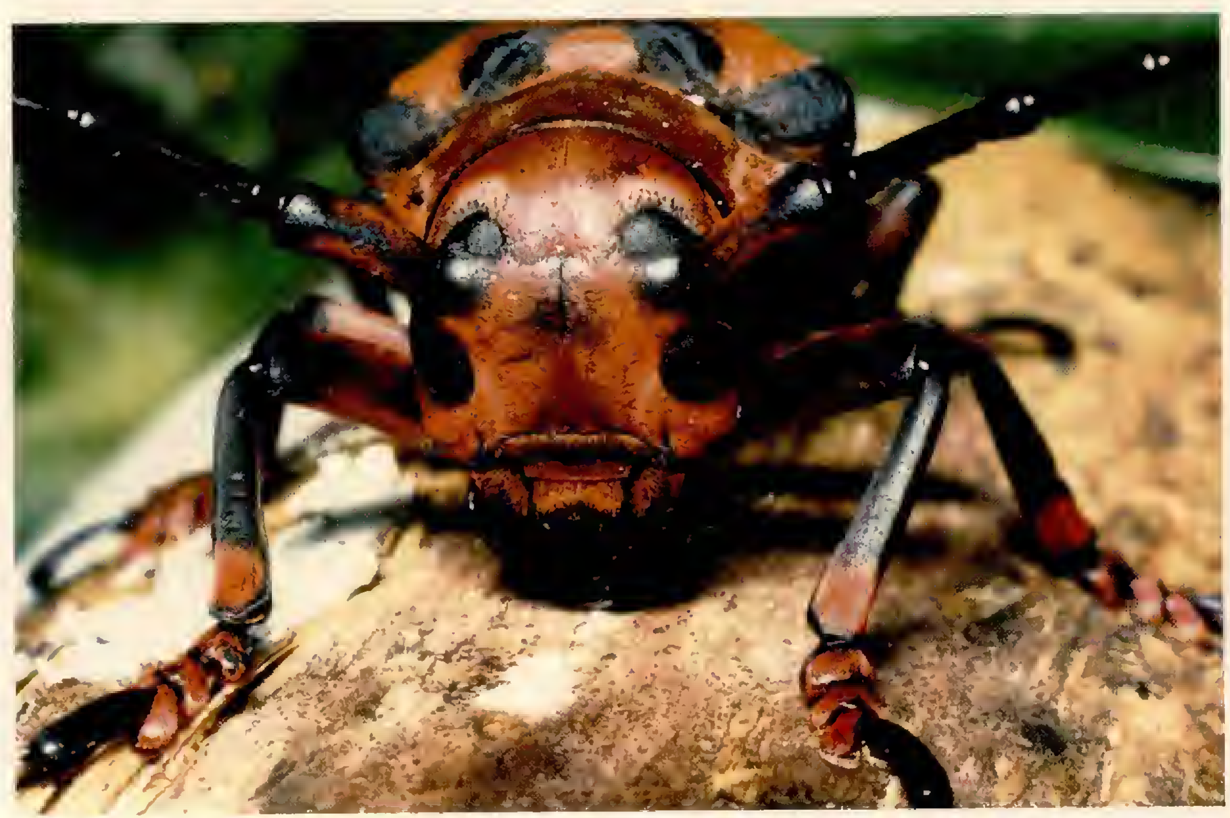
إنَّ عقد موازنة يُبيّن أن نبات الذُرة يحوي فقط ٩٪ من البروتينات، وقليلاً من TRYPTOPHANE: وهو جُزيئة من ضمن الأحماض الأمينية الثمانية الأساسية،



في بعض الفراشات نسبة بروتينات عالية



فكرة أكل الحشرات تثير اشمئزاز كثير من الناس



الحشرات: هل تكون حلاً لسوء التغذية في العالم؟

ترجمة: عبدالحفيظ جباري

الحشرات غنية بالأملاح المعدنية

ولابد من توافرهما معًا في الوجبة الغذائية لأن الإنسان ليس في مقدوره تركيبها.

أمَّا الدَّسم فإنَّ تركيبتها فيما يبدو ذات أهمية مادامت نسبة الكولسترول فيها ضئيلة أحيانًا، لا سيما لدى الحوْراءات NYMPHES والبوالغ ADULTES من بعض الأنواع.

والحشرات غنيَّة بالأملاح المعدنية مثل الحديد، والزنك، والكالسيوم والفوسفور، وكذا الفيتامين B وD.

إن يرقات النحل مثلاً ذات مذاق حلو وذائب، وهي غنية بالفيتامين D عشرة أضعاف زيت كبد الغادُس.

كان الأولى إيلاء أهمية لهذه المعارف لمكافحة الكُساح RACHITISME الذي يُصيب معظم الأطفال السيِّئي التغذية، ويعيق بشدة نموهم.

من جهة أخرى، يُمكن جعل الجراد مصدرًا غذائيًا، إذ يُلاحظ أحيانًا تعرض الدّول الفقيرة التي تُعاني المجاعة للاجتياحات المنتظمة للجراد المهاجر، مثلما هو الحال في إفريقية جنوب الساحل. بداهة لا يكْمُن الحلّ في القبض على أعداد عظيمة منها تُتخذ في تغذية السكّان حتى يُقْضى على هذه الآفات المُتْلفة، كما أن العلاجات المُستخدمة لمكافحة أمراض النباتات تحُولُ في أحيان أخرى دون استهلاك هذه الحشرات من مستقيمات الأجنحة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ ثمَّة حلولاً بديلة يمكن استكشافها.

في شمال إفريقية والشرق الأوسط، يُؤكل الجراد عادة مقليًا، فيُكْسِبُه ذلك مذاق البُندق. في تايلاند مثلاً، قام مسؤولون في حكومة مقاطعة PRACHIN-BURI بحملة عمومية لجمع الجراد في عام ١٩٨٣م؛ لأنَّه تَعذَّر القضاء على اجتياح الجراد محليًا. وتيسّر للقرويين جمع ما يفوق ١٠ أطنان من الحشرات حوِّلت فيما بعد إلى مغذيات مقْلية. وقد ضُمَّت حاضراً هذه المصنوعات إلى قائمة المواد التي تُصدِّرها هذه المنطقة.

ولم يفطن القائمون على تدجين دودة الحرير، المُمارس قديمًا منذ ٥٠٠٠سنة، إلى أن الشَرنقات التي حوَت النَّغَفات CHRYSALIDES ذوات فائدة غذائية كبيرة، وكان عُمِدَ فيما سبق إلى تفريغها من الحرير فقط.. قد يُعدُّ هذا إسرافًا لا بُدَّ من معاودة النظر في مدى جدواه.

ويبدو من منظور النمو المستديم، أنّ التربية المنزلية أو الصناعية للحشرات تَحُوزُ أهمية ذات بال تفوق مثيلاتها مزارع الأبقاريات: فإضافة إلى المظهر البيئي المهم جدًا، يُقدِّر بعض الباحثين أن الجراد فعالٌ في تحويله للنباتات إلى بروتينات حيوانية تفوق ما في وسع البقر أن يفعله بخمسة أضعاف.

الاغتذاء بالحشرات تاريخيًا

استنادًا إلى بعض النقوش الصخرية التي اكتُشفت في هذا القرن، يبدو أن إنسان ما قبل التاريخ كان على وجه الاحتمال يأكُلُ الجَنادب.

عند معاودة قراءة أعمال أرسطو، وبلين، أوهيرودت، يُلاحظ أن الإغريقيين كانوا شَرِهين بأكل اليرقات. أمَّا الرومان



فكانوا لا يأنفون من أكل حشرة الزيز CI-GALES.

في أيامنا هذه يُستهلك بانتظام ما يفوق ٥٠٠ نوع من الأغذية عبر أرجاء العالم. والمعروف من الحشرات الأكيلة يُقدَّر على وجه الاحتمال بواحد على مئة منها.

في إفريقية (الجزائر، والكاميرون، وأوغندا، وزائير، وإفريقية الجنوبية،...)، وفي أمريكا (البرازيل، وكولومبيا، والمكسيك، وفنزويلا،...)، وفي آسيا (الصين، اليابان، والهند، وأندونيسيا، وجنوب شرق آسيا،...) وفي أستراليا (السكان الأصليون)، تُطهى الحشرات مُجَفَّفةً ومسلوقة ومشوية أو مقلية.

في إفريقية تلْقَى يرقات سُوسة النخل CHARANCON DU PALMI-ER قبولاً حسناً؛ إذ يمكن استخراج حتى ٣٠ أو ٤٠ يرقة عديمة الأرجل APODES من جوف النخل، ولها طعم لذيذ.

في محلّة POINTE - NOIRE بالكونغو، يفوق سعرها خمسة أضعاف ثمن كيلو غرام واحد من لحم البقر.

ولدى بعض الأعراق البشرية، يستصحب استهلاك الحشرات القيام بطقوس أحياناً. ففي إفريقية لا يأكل بعض أنواع البقّ PUNAISES إلا المتقدمون في السن من القوم، بينما تستهلك هذه المخلوقات بانتظام في المكسيك (إنها تَحوي من ٣٠ إلى ٧٠٪ من البروتينات).

في فرنسا، يُقبلُ الناس على أكل الإربيان (القريدس) CREVETTE، والحلزون والمحار، لكنهم يستنكفون عن أكل الحشرات.. الأمر متعلق بمدى انفتاح الذهنيات.

منظورات ذوقيّة جديدة

إن برونو كومبي BRUNO COMBY واحد من الرواد المنادين بالاغتذاء بالحشرات في الدول الغربية، فإذا كانت

البيئة تؤثر في مدى تقبل الناس لأكل الحشرات

ذاكرة أكل الحشرات تُثير أحيانا النفور والاشمئزاز، فإنّ طعمها مع هذا لذيذ، ذائب ودُهني ONCTUEUX، مالح، وليس حلْواً.

وأغلب أنواع المآكل المُعدة أساساً باللّحم أو السمك يمكن استبدال الحشرات بها. وعليه فإن طعم الجُدجُد الدّاجِن تُذَكِّر بطعم شريحة عجل ESCA-LOPE مطلية بالقشدة، أمّا مذاق بعض النَّغَفات فيُشبه عُجّةً بالبطاطا، ويُذكّر الجُعَل المُقدس LE SCARABEE SACRE المصادف في الصحراء بطَعْم فِطِيرات

TARIUM مونتريال MONTREAL، تلقى تظاهرة «CTOQUE - INSECTES» نجاحاً متزايداً (أزيد من ٢٠،٠٠٠ زائر). وكل عام يقوم رئيس الطُّهاة JEAN - LOUIS THEMIS بابتكار طرائق طهي جديدة.

وبمناسبة «الأبواب المفتوحة» التي نظّمناها، حضر السيد THEMIS لطهي جداجد وديدان الطَّحين، وكذلك عصويّات PHASMES، ونالت جميعها إعجاب الزوّار الفضوليين والجريئين أحياناً.

في ضوء ما تقدم من أمثلة، نُدرك حقّاً مدى إمكانية مساهمة الاغتذاء بالحشرات في الحدِّ من العوز الغذائي لسكان الدول التي هي في طريق النمو.

إن الحزام ما بين المداري، يوفر بالخصوص مصادر مهمة جداً، على الصعيدين النوعي والكمي.

وما يؤسف له تعرية الغابات الاستوائية لاستصلاحها بوتيرة مثيرة للقلق، تبلغ حتى ٣٠ هكتاراً في الدقيقة الواحدة في بعض المناطق من الكرة الأرضية.

وعليه، فإن العمل على استدامة التنوع (البيولوجي) يظل هاجساً عظيماً. فثمة أنواع عدة جديدة لم تُستكشف بعد في هذه الأوساط الغنية خاصة؛ إذ ليس الهدف اغتذائياً فحسب بل يتعدى ذلك إلى الاستخدامات الطبية العلاجية.

إذا كنّا بالفعل نعرف بشكل مفصّل وجيد خواص النباتات ونُجوعها في بعض الأمراض، فإننا في مقابل هذا، تغيب عن إدراكنا خواص الحشرات العلاجية، وتظلّ سريّة بالنسبة إلينا. هذه مسألة تستدعي الاهتمام والاستكشاف.



السمك BEIGNETS DE POISSON إلى جانب أنّه دُهني.

في عام ١٩٩٢م، بنيويورك، وبمناسبة العيد المئوي لميلاد جمعية الحشريات للمدينة أقيمت مأدبة «BUG BANQUET» قُدم فيها للمدعوين أنواع من الأطعمة نالت إعجابهم، منها: البليلة المُفَلفَلة المَعمولة من يرقات الظلاميّات TENEBRIONS، أو قالب المعجنات بالشكولاته (التورتة) المعمولة من الجداجد.

ومنذ عام ١٩٩٣م وبمحشرة -INSEC

هامش:

مقالة في المجلة الفرنسية الفصلية INSECTS عدد ١٠٦، لفيرونيك بيزيه VERONIQU BIZE ترجمت بإذن خاص للكاتب.

سوهو
راصدة الشمس

سليمان القرطاس

وأخيراً، أثمرت جهود المهندسين في وكالة الفضاء الأوربية في إعادة المركبة الفضائية (راصد الشمس والكرة الشمسية) والمعروفة اختصاراً بـ SOHO إلى العمل بعد أن انقطع الاتصال بها في ٢٥ يونيو/حزيران ١٩٩٨م خلال أعمال صيانة اعتيادية.

وبدأت تلك الجهود عندما انضمت في وقت لاحق مجموعة من المختصين في وكالة الفضاء الأوربية، وشركة ماترا ماركوني، وهي الشركة التي صنعت المركبة، إلى مركز غودارد للمشاركة في هذه الجهود.

وبعد مرور أكثر من شهر على انقطاع الاتصال بالمركبة لم تكلل هذه الجهود بالنجاح لاختلال اتزان المركبة ودورانها حول نفسها، مما يحرمها من الطاقة الكافية التي تولدها الخلايا الشمسية للمركبة والمطلوبة لعمل أجهزة المركبة ومن ثم استقبالها الأوامر والاستجابة إليها بتحقيق الاتزان المفقود.

وفي شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨م تمكن مهندسو نظام التحكم بالتعاون مع مهندسي ماترا ماركوني من إيقاف دوران المركبة حول نفسها بفصل إشارات التحكم الخطئة التي يرسلها اثنان من الجيروسكوبات الثلاثة نتيجة اختلال عمل المركبة، وبدأت وكالة الفضاء الأوربية في فحص الأجهزة العلمية التي تحملها المركبة ومعايرتها بعد هذه الفترة من فقد التحكم.

لكن، وبعد فترة قصيرة من إكمال الفحوص في بداية كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٨م، وفي ٢١ من الشهر نفسه تعطل الجيروسكوب الثالث بسبب الاختلال السابق مما أجبر المسؤولين عن نظام التحكم في تحويل المركبة إلى نظام الحماية الذاتية، وتشغيل نظام الدفع النفاث في المركبة لضمان توجيه أجهزة الاستشعار نحو الشمس.

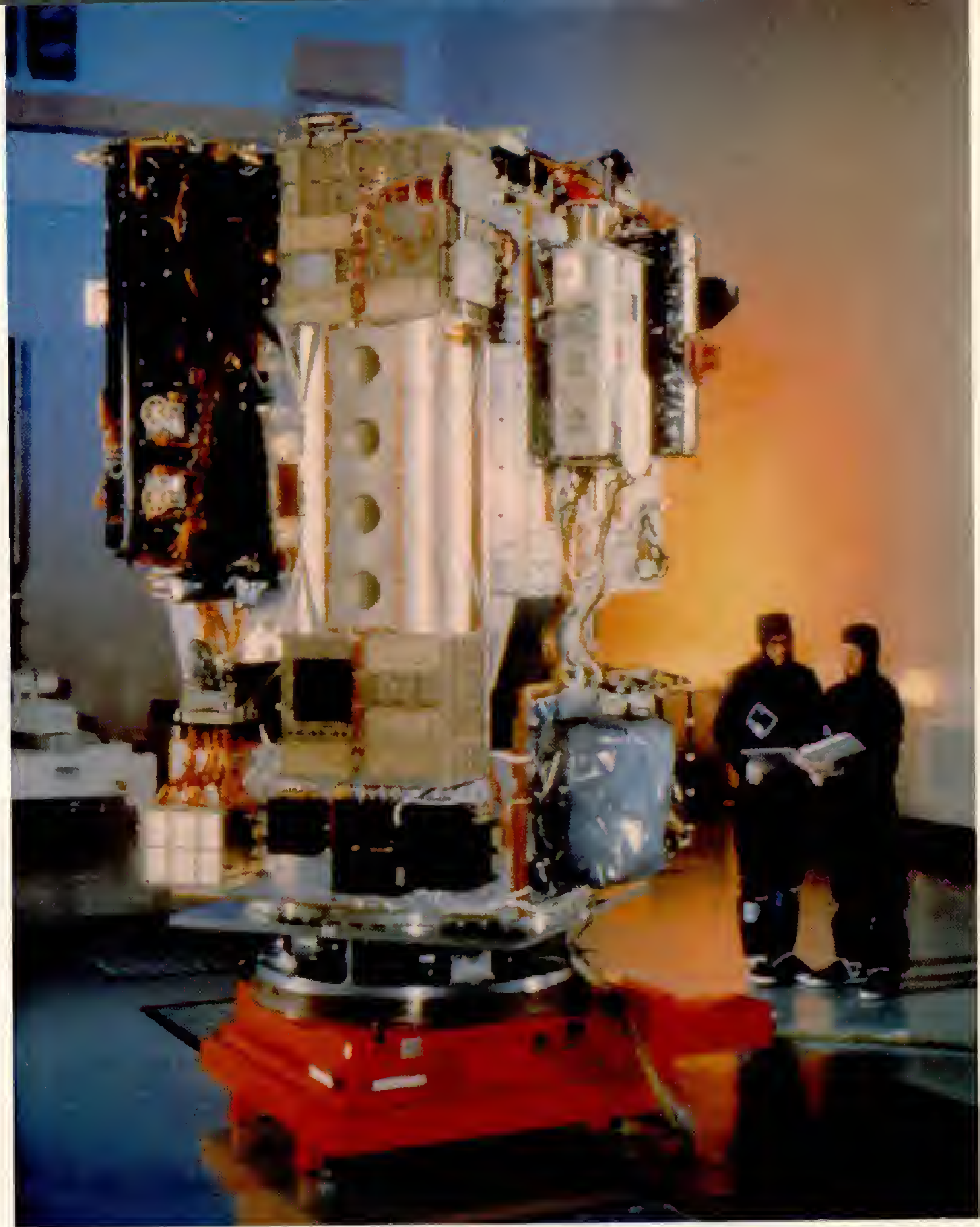
لكنّ شيئًا كهذا يجعل عمر وقود نظام التحكم قصيراً بحيث لا يستمر أكثر من عام، مما يخيّب آمال وكالتي الفضاء الأوربية والأمريكية اللتين تأملان في عمل المركبة إلى عام ٢٠٠٣م.

وبعد مرور شهر من ذلك، وبعد جهود حثيثة اهتدى المهندسون إلى تصميم برنامج حاسوبي يأخذ في الحسبان القوى المؤثرة في المركبة للتحكم بها وضمان توجيهها نحو الشمس بلا استخدام للجيروسكوب بدءاً من ٢ شباط/ فبراير ١٩٩٩م.

وفي ذلك تمت برمجة المركبة SOHO لإهمال الإشارات الواردة من الجيروسكوب المعطل، ويستخدم بدلاً من ذلك برنامج جديد أعد من قبل التحكم الأرضي. وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها تشغيل مركبة فضائية عاملة بالجيروسكوب في نظام استقرار مداري من دونه.

ويذكر أن اتزان المركبة SOHO يعتمد على أجهزة تولد مجالاً مغناطيسياً تدعى بعجلات رد الفعل، تستمد إشارات التحكم من الجيروسكوبات.

وتعد المركبة SOHO من أهم المركبات الفضائية العلمية بفضل إمكانات المركبة وأجهزتها العلمية الاثني عشر، التي تزود الباحثين بمعلومات مهمة ودقيقة عن الشمس بجميع أجزائها، والتي كشفت عن العديد من الأسرار العلمية والظواهر الخفية، ولا يزال الكثير من الأرصاد بانتظار البحث والدراسة، بينما لا يزال الكثير من الكشوف العلمية بانتظار النشر في الدوريات العلمية، وتبقى أبحاث أخرى



المركبة SOHO في أثناء الفحص

بانتظار المناقشة لدى الهيئات العلمية.

ويذكر أن مشروع SOHO قد رصد له نحو بليون دولار أمريكي. وقد ساهمت وكالة الفضاء الأوربية بتطوير المركبة ومعظم الأجهزة العلمية، بينما تولت وكالة الفضاء الأمريكية إطلاق المركبة وبعض الأجهزة الأخرى.

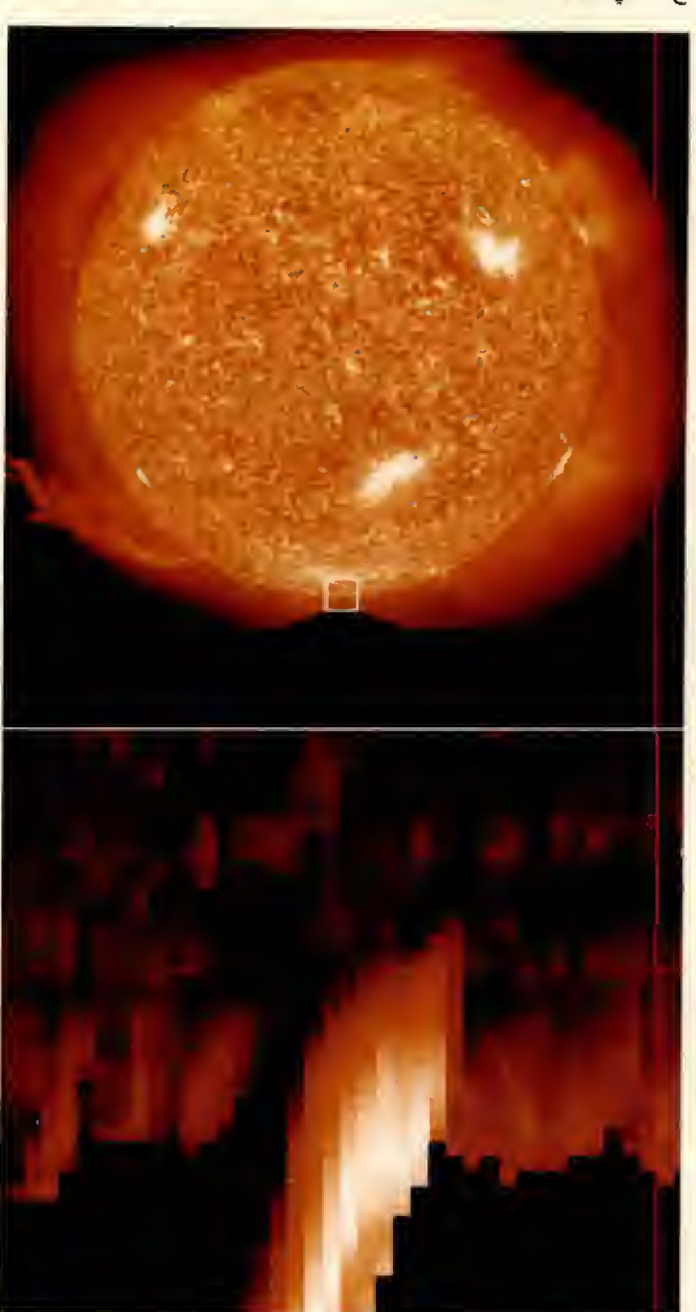
وتم إطلاق المركبة في ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٥م إلى مدار يبعد عن الأرض نحو مليون كيلو متر ونصف المليون. وفي نقطة تتساوى فيها جاذبية الأرض والشمس مما يمنح المركبة فيه موقعًا فريدًا لا يتأثر بانحجاب الشمس في ظل الأرض أو يتأثر بالأشعة المنعكسة عن الأرض.

وعلى الرغم من أن العمر الافتراضي للمركبة هو عامان انتهيا بنهاية عام ١٩٩٧م إلا أن وكالتي الفضاء الأوربية والأمريكية كانتا تأملان استمرار تشغيل المركبة حتى بداية القرن القادم لرصد حالة الشمس خاصة في الأعوام ١٩٩٩ ـ

٢٠٠١م، التي يتوقع حدوث الفاعلية القصوى للشمس فيها خلال دورة الفاعلية الشمسية التي تستمر نحو ١١ عاماً.

ومهمة المركبة SOHO مركزة على الشمس، وتشكل أهم مصدر للمعلومات في البرنامج العالمي لفيزياء الشمس والأرض، الذي يساهم فيه العديد من الوكالات العالمية، ويشترك فيه أكثر من ٢٠ نظاماً علمياً من أقمار صناعية، ومراصد أرضية لكشف التأثيرات الشمسية في الأرض.

وقبل الإشارة إلى الكشوفات العلمية للمركبة SOHO علينا التطرق بإيجاز إلى المعلومات العلمية الأساسية عن الشمس قبل إطلاق هذه المركبة.



صورة توضح في الأعلى الشمس مع الإعصار، بينما يظهر الإعصار مكبراً في الأسفل مع صورة للكرة الأرضية بالمقياس نفسه للدلالة

طبقات الشمس من المركز إلى الفضاء

المركز: وهو ذو درجة حرارة تصل إلى ٥ر١ مليون درجة مئوية ونصف المليون، وبضغط يعادل ٣٠٠ مليون مرة من الضغط الجوي الأرضي، ونتيجة هذا الضغط والحرارة الهائلة، فإن الشمس تسلك سلوك فرن نووي يصهر ذرات الهيدروجين ويحولها إلى هيليوم.

النطاق الإشعاعي: وحول المركز تنتقل الطاقة نحو الخارج من خلال أشعة إكس أو جاما، ولا يزال الضغط هائلاً؛ لذلك فإن هذه الطاقة يتم امتصاصها وإشعاعها، لذلك، فإن المختصين يفترضون أن انتقال الطاقة المتولدة في مركز الشمس يمكن أن يستغرق ١٠ ملايين سنة للوصول إلى سطحها.

النطاق الحملي: ويبدأ بـ ٢٠٠ ألف كيلو متر تحت سطح الشمس، وتقوم الحرارة القادمة من الأسفل بتسخين الغاز، وتجعله يتمدد ويرتفع إلى الأعلى، وينشر حرارته نحو الأعلى بما يشبه انتقال الحرارة بطريقة الحمل، وفي هذا النطاق تراوح درجة الحرارة بين مليوني درجة مئوية في أدنى الطبقة و٥٧٠٠ درجة في سطح الشمس المنير.

السطح المنير: وهو بعمق ٥٠٠ كيلو متر، وهو ذو سطح حبيبي إذا تم تصوير السطح بتفاصيله، وهو ذو خلايا من الحمل الحراري كل خلية بقطر ٥٠ ألف كيلو متر تقريباً.

البقع الشمسية: وهي بقع داكنة في السطح المنير، وهي مناطق غازية أقل حرارة، ولذلك تبدو أقل توهجاً، وتزيد وتقل هذه البقع تبعاً لدورة تراوح بين ١٠ و ١٢ سنة مُحدِثةً ما يسمى بدورة فاعلية الشمس.

الطبقة الملونة: وهي النطاق فوق السطح المنير وتحت الهالة، وفي هذا



صورة ملتقطة بالأشعة فوق البنفسجية للمذنب بوب هيل عند اقترابه من الشمس، ويظهر في المركز صورة المذنب بالضوء المرئي، بينما وضعت دائرة صفراء بحجم الشمس للدلالة

النطاق تزداد درجة الحرارة بصورة تدريجية خلال بضعة آلاف من الكيلو مترات.

الهالة: وهي الطبقة الخارجية من جو الشمس، وهي ذات كثافة قليلة جداً، ولكن بدرجة حرارة تزيد على مليون درجة مئوية، وسبب ذلك أحد الأسرار العلمية الغامضة في فيزياء الشمس.

الكشوف العلمية للمركبة SOHO

لغز شمسي يقترب من الحل مع معلومات من مركبة سوهو

أحد أهم كشوف المركبة SOHO هي الأرصاد التي جعلت حل أحد أهم غرائب الشمس قريب المنال. هذه الكشوف التي تسجل جزءاً من الطاقة المطلوبة لتسبب درجة الحرارة العالية جداً لهالة الشمس، وهي الطبقة الأكثر خارجية من جو الشمس، والتي تصبح مرئيةً للعين المجردة عندما يحجب قرص الشمس من القمر في الخسوف الكلي.

ومنذ تسجيل درجة حرارة الهالة الشمسية قبل ٥٥ عاماً مضت، والباحثون عاجزون عن تقديم تفسير مقنع لسبب وصول درجة حرارة الهالة إلى أكثر من مليون درجة مئوية بينما لا تزيد درجة حرارة السطح المنير للشمس على ٦ آلاف درجة مئوية فقط.

وحسب القوانين الفيزيائية فالطاقة الحرارية لا يمكنها الانتقال من السطح الأبرد إلى الهالة ذات درجة الحرارة الأكبر بكثير، لذلك فانتقال الحرارة يجب أن يتم بشكل موجات أو طاقة مغناطيسية، لكن لم يتم قياس أي من تلك الطاقات التي يمكن أن تفسر ذلك حتى تاريخ هذا الكشف.

يقول د. ألن تايتل الباحث في معهد ستانفورد لوكهيد لأبحاث الفضاء التابع لمركز لوكهيد مارتن للبحث العلمي في باولو ألتو/ كالفورنيا الذي يشرف على هذا البحث: «لدينا الآن دليل مباشر على انتقال الطاقة المغناطيسية من سطح الشمس باتجاه الهالة إلى أعلى وهناك طاقة كافية متجهة إلى أعلى من الشبكة المغناطيسية لتسخين الهالة إلى درجتها المعروفة. وكل حلقة من هذه الحلقات

تحمل من الطاقة ما تولده محطة طاقة كهربائية مائية كتلك الواقعة على سد هوفر* من الطاقة في مليون عام».

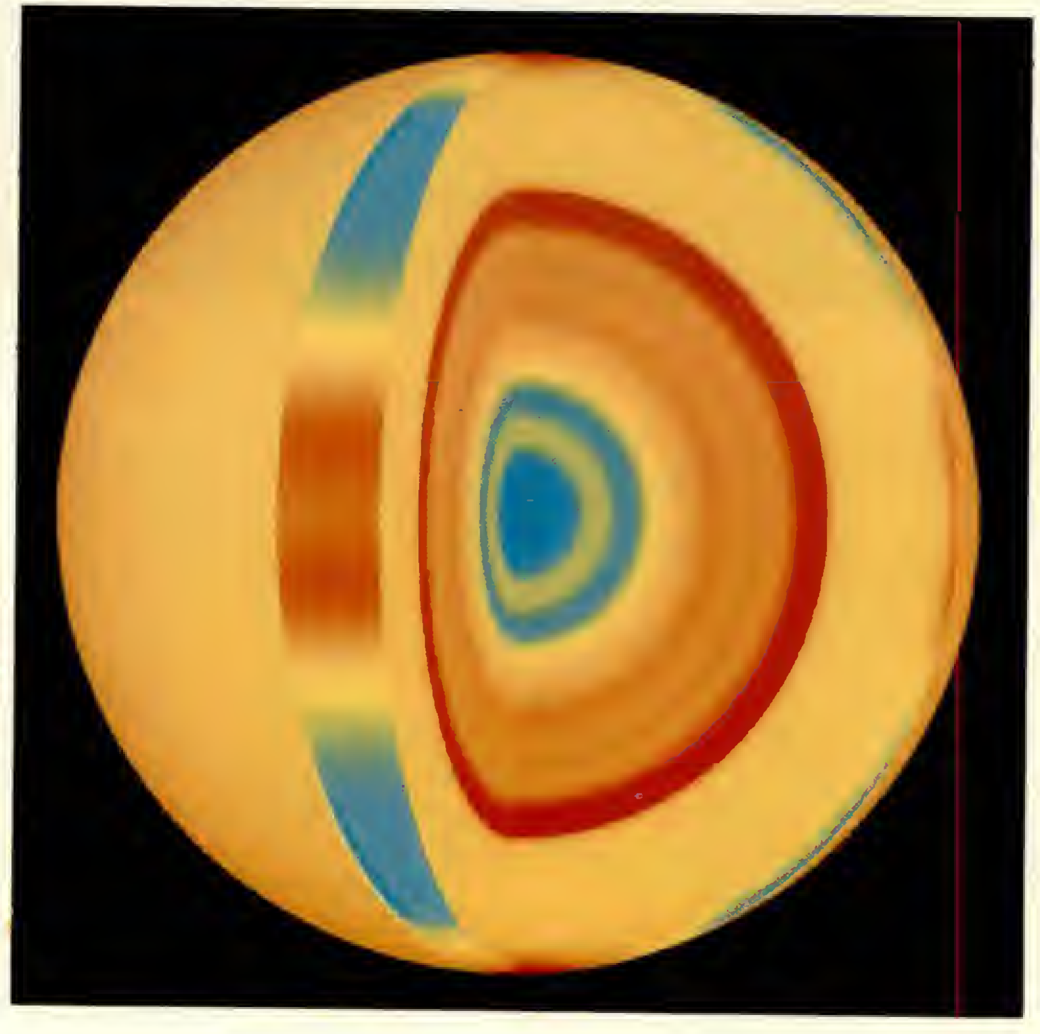
أما جورج ويثبور مدير برنامج الترابط الشمسي الأرضي في المركز الرئيس لناسا فيقول: «يبدو أننا الآن على وشك تفسير سبب ارتفاع درجة حرارة الهالة أكثر من ١٠٠ مرة من سطح الشمس، وهو لغز قديم عمره ٥٥ عاماً، وهذه النتائج تضع خطًا تحت أهمية الدراسات المطولة عن تغير الظروف على الشمس من نقطة فريدة في الفضاء».

وتتدفق الطاقة من الحلقات عندما تتداخل مولدة كهرباء ومغناطيسية (دوائر قصيرة وهي تيارات قوية جداً) في دوائر القصر، وهذه هي سبب تسخين الهالة إلى درجة حرارة بضعة ملايين من الدرجات، وأظهرت الصور من جهازي تلسكوب تصوير الأشعة فوق البنفسجية المتطرف ومطياف تحليل الهالة في المركبة SOHO في توهج الغازات الساخنة في الهالة كاستجابة كما يفترض لتأثير المجالات المغناطيسية المتجذر في سطح الشمس.

أما الأرصاد من جهاز دوبلر ميشلسون فقد قدمت رصداً طويلاً وبتفاصيل دقيقة وبتسجيل زمني مما جعل تسجيلاته تشابه القلم عن المجال المغناطيسي على السطح المنير للشمس.

وهذه تكشف الخواص المتغيرة السريعة للبساط المغناطيسي للشمس حيث تتناثر عشرات الآلاف من التراكيز المغناطيسية، وهي ذات أقطاب مغناطيسية شمالية وجنوبية تمثل موطئ قدم للحلقات المغناطيسية في الهالة الشمسية.

يقول د. ألن تايتل عن الأرصاد: «إن الأرصاد تشير إلى أن الحلقات المغناطيسية الصغيرة، بعد اندماجها، فإن أجزاءها المتبقية تلف وتنحرف جانبًا ثم تختفي بعد ٤٠ ساعة، ومن الصعوبة فهم التأثير القصير، فهي ربما تكون ناشئة عن المولد المغناطيسي الذي يقع على عمق ١٥٠ ألف كيلو متر تحت سطح الشمس، أو تكون ناشئة عن عملية لم يسبق



شكل توضيحي لطبقات الشمس تظهر فيها المناطق ذات الحرارة الأعلى من المتوقع باللون الأحمر، بينما تظهر المناطق الأدنى حرارة مما هو متوقع باللون الأزرق

الكشف عنها تجري قرب سطح الشمس، والتي تشكل بصورة مستمرة هذه الحلقات على جميع أرجاء الشمس».

المركبة سوهو ترصد تدفقات نفاثة داخل الشمس:

اكتشف باحثون يستخدمون الأرصاد التي أرسلتها SOHO تيارات نفاثة أو أنهاراً من الغازات الساخنة المشحونة كهربائياً التي تعرف فيزيائياً باسم البلازما تتدفق تحت سطح الشمس، واكتشفوا كذلك ظواهر مشابهة للرياح التجارية تنقل الغاز تحت السطح المتوهج للشمس.

هذا الرصد تم تحقيقه من قبل مجموعة بحث علمي تعنى بمجال التذبذب الشمسي في جامعة ستانفورد في ولاية كاليفورنيا الأمريكية مبنياً على الأرصاد التي أرسلتها المركبة سوهو خلال عام ١٩٩٦م.

متحدث بلسان مجموعة البحث العلمي هذه أوضح في شرح له عن هذا الاكتشاف أن الحركة التي تم رصدها في باطن الشمس مشابهة لنماذج الحالة الجوية على سطح الأرض، والأكثر من ذلك هو اكتشاف تدفق مشابه للغاز النفاث قرب قطبي الشمس، وهو تدفق داخل الشمس بصورة كاملة، وهو مخالف للتصورات العلمية السابقة المبنية على أرصاد المركبات السابقة، وأمكن رصده بواسطة أجهزة سوهو المتقدمة.

والأمر هذا مستغرب لعدم وجود أي تأثير له على السطح، وهو ذو حجم صغير مقارنة بحجم الشمس، لكنه ضخم مقارنة بالتدفق القطبي في الغلاف الجوي الأرضي.

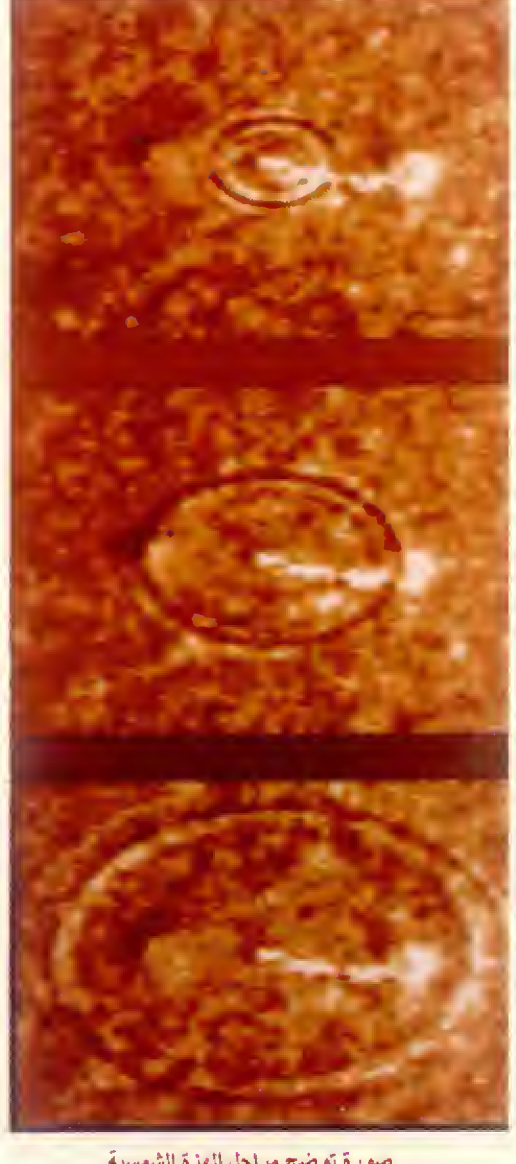
هذا التدفق يطوق الشمس على خط عرض شمسي ٧٥ درجة تقريباً، وتتحرك المادة في هذه المنطقة بسرعة أسرع بـ ١٠٪ مما حولها، ومع ذلك فهي أصغر تشكيل يتم رصده داخل الشمس حتى الآن، لكنه ضخم بالمقاييس الأرضية.

إضافة إلى ذلك، هناك تشكيلات على سطح الشمس تشابه الرياح التجارية في جو الأرض، فقد وجد الباحثون في جامعة ستانفورد أن هناك أحزمة في النصف الشمالي والجنوبي للشمس تتدفق فيها التيارات بسرعات مختلفة مقارنة بعضها ببعض، وقد حسب الباحثون عرض الأحزمة الشمسية بأكثر من ٦٥ ألف كيلو متر، وكان تدفق البلازما في هذا الحزام بسرعة ١٥ كيلو متراً في الساعة أسرع من تدفق البلازما المحيط بها.

أما أول دليل على هذه الأحزمة فقد كشف قبل نحو عقدين من الزمان من قبل د. روبرت هوارد الباحث في مرصد جبل ويلسون وكان ذلك بتسجيل نوع من التدفق على سطح الشمس؛ أما باحثو جامعة ستانفورد فقد أوضحوا أن الحركة السطحية ترافقها حركة داخلية، بحيث إن حزام التيارات البلازمي المتدفق يصل عمقه إلى ٢٠ ألف كيلو متر تحت سطح الشمس.

وبالطريقة نفسها: فإن الأحزمة النطاقية للشمس لها سلوك أكثر شبهاً بالأحزمة الملونة على المشتري منها بمناطق الرياح التجارية على الأرض، فهي تبدأ في خطوط العرض المتوسطة للشمس، وتتحرك تدريجياً نحو خط الاستواء خلال الدورة الشمسية ذات الـ ١١ عاماً تقريباً، ويعتقد المختصون بفيزياء الشمس بأن لها علاقة بتشكل البقع الشمسية؛ لأن تشكل البقع يتم على حافة تلك الأحزمة.

وهناك تصورات لبعض الباحثين أن الفرق في سرعة التدفق البلازمي في



صورة توضح مراحل الهزة الشمسية

حافات الأحزمة ربما يرتبط بتولد الدورة المغناطيسية الشمسية، والتي تولد زيادة دورية في الفاعلية الشمسية، لكنهم يحتاجون إلى المزيد من الأرصاد لتأكيد ما إذا كانت هذه التصورات حقيقية.

وإضافة إلى ذلك، فهناك تدفق آخر فقد حدد المختصون بالفيزياء الشمسية أن الطبقة الخارجية للشمس إلى عمق ٢٥ ألف كيلو متر تتدفق ببطء، وبصورة مستمرة من المنطقة الاستوائية إلى

القطب، وقد أطلقوا على هذا التدفق: التدفق القطبي.

والتدفق القطبي بطيء نوعًا ما فهو بسرعة ٨٠ كيلو مترًا /ساعة مقارنةً بسرعة دورانه، وهي ٦٠٠ كيلو متر في الساعة.

وبغرابة واضحة فإن تدفق القطب يتحرك باتجاه معاكس للأحزمة النطاقية، وتكوّن البقع الشمسية، التي تتحرك من المناطق البعيدة عن خط الاستواء الشمسي إلى القريبة منه، كما يقول أحد الباحثين.

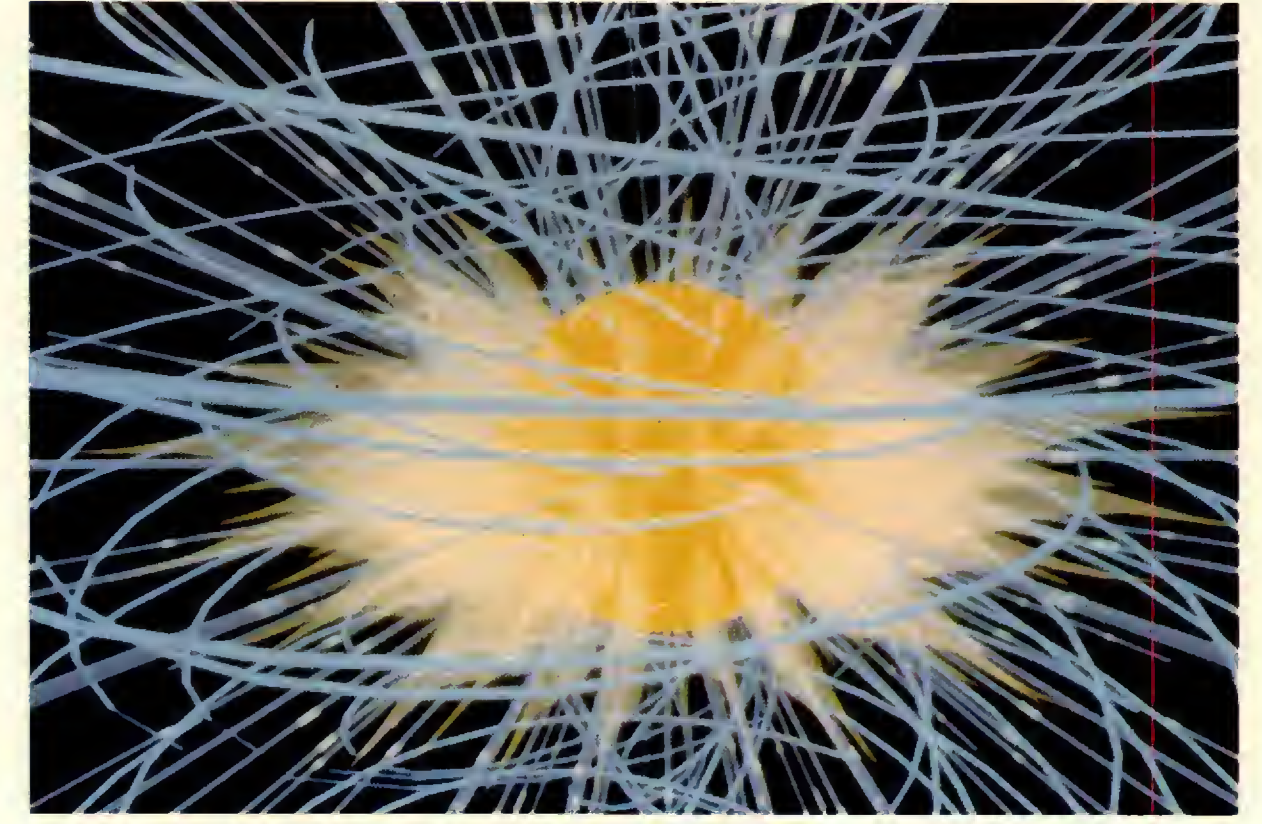
وكانت هناك دلائل على وجود تيار القطب من بعض الأرصاد لسطح الشمس، لكنّ الباحثين لم يكونوا يعلمون نوع هذه الحركة وجودتها وعمقها التي تغطي ٤٪ من الشمس، ويعتقد الفريق العلمي لجامعة ستانفورد أن لهذا التدفق تأثيرًا مهمًا في فاعلية الشمس.

وكان الفريق العلمي في جامعة ستانفورد يراقب الشمس من خلال أرصاد أحد أجهزة المركبة SOHO ويدعى جهاز تصوير دوبلر ميشلسون الذي يستطيع قياس السرعة العمودية في سطح الشمس في مليون نقطة مرة كل دقيقة من خلال قياس تأثير الموجات الصوتية التي تكشف باطن الشمس، ومن خلال قياسات هذا الجهاز، وباستخدام تقنيات مشابهة لتقنيات الجس الزلزالي، والرسم السطحي بمساعدة الحاسوب لرسم نماذج التدفق والحرارة وتحويلها تحت السطح الشمسي.

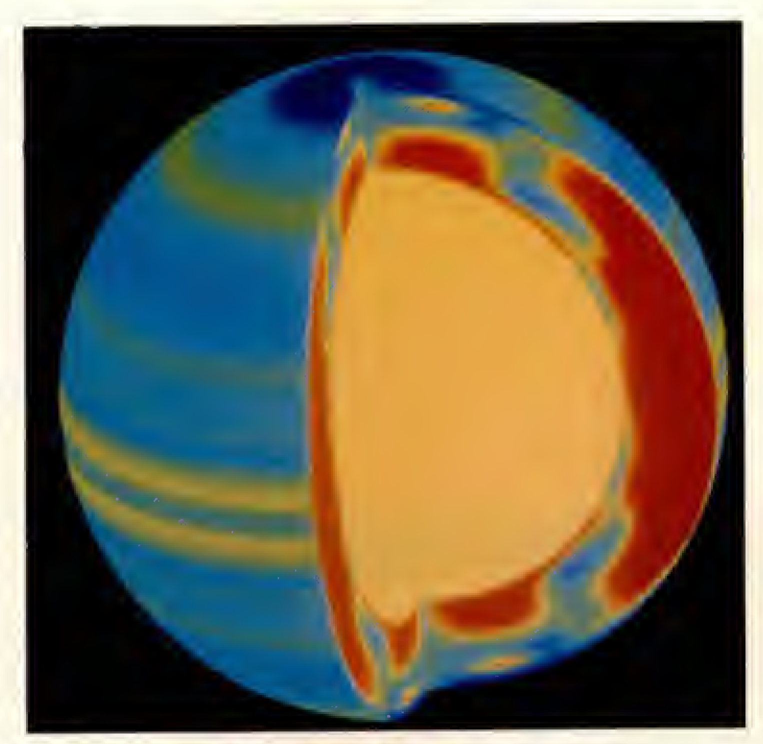
ويأمل المختصون في مجال الفيزياء الشمسية أن تساعد الاكتشافات الجديدة على فهم التغيرات الدورية للبقع الشمسية، وزيادة الفاعلية الشمسية المرتبطة بها التي تؤثر في نقل الطاقة الكهربائية والاتصالات اللاسلكية.

يشير أحد المختصين تعليقًا على هذا الكشف العلمي، فيقول: «كشف علماء جامعة ستانفورد التشكيل لباطن الشمس، وأكدوا وجود الاكتشافات السابقة، وقدموا مزيدًا من التفاصيل عنها، لكن كشف علاقتها بالفاعلية الشمسية سيحتاج إلى المزيد من الأرصاد ، والمزيد من الوقت لتحليلها».

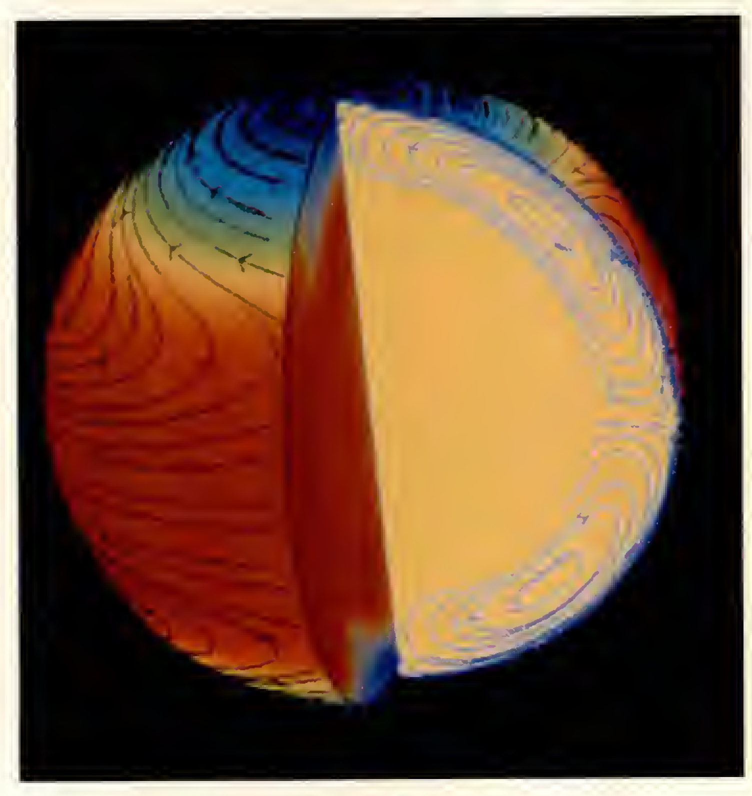
وخلال مناقشة الكشف الجديد أشار أحد الباحثين بقوله: «في الوقت الحاضر نحن لا نعلم فيما إذا كانت التيارات البلازمية تلتف بعضها حول بعض مثلما يحدث في الرياح على سطح الأرض، أم أنها ذات طبيعة أقل حركية؟. ومن السابق لأوانه التأكيد أن هذه التيارات يمكن أن تؤثر في المناخ الشمسي، فهذا غير واضح في الوقت الحاضر، والشيء نفسه يمكن تطبيقه على التدفقات الأخرى التي رصدت، ومن المساعد إجراء تلك الأرصاد عندما تدخل الشمس دورة الفاعلية القادمة التي نتوقع أن تصل أوجها عام ٢٠٠١م».



شكل تخيلي للشمس تحيط بها المجالات المغناطيسية



شكل توضيحي للتيارات النطاقية المتدفقة تحت سطح الشمس



شكل توضيحي للتيارات القطبية المتدفقة تحت سطح الشمس

إعصار شمسي شديد الحرارة

التقطت المركبة SOHO صوراً لأعاصير شديدة الحرارة عالية السرعة تتسع إلى مساحة أكبر من إفريقية، تعصف قريباً من القطب الجنوبي للشمس، وكانت الصورة رقم ٥ لأحد هذه الأعاصير.

وقد تم تصوير الإعصار بواسطة المطياف الماسح، وكانت هذه الظاهرة لغاز بدرجة حرارة تصل إلى ٢٥٠ ألف درجة مئوية، وبسرعة تراوح بين ٤٠٠ - ٥٠٠ كيلو متر/ساعة.

ولا توضح الصورة الملونة كثافة الانبعاث بل سرعة الغاز في الإعصار، ويظهر الغاز المتحرك بعيدا عن المركبة باللون الفاتح، ويظهر الغاز المتحرك نحو المركبة باللون الغامق.

ويتوقع الباحثون الذين درسوا الظاهرة أن الإعصار يتحرك بعيدا عن سطح الشمس، ويقذف باتجاه الفضاء، ويبحثون، بعد هذا الاكتشاف مدى تأثيره في الرياح الشمسية التي تؤثر في البيئة الفضائية للأرض مسببة عدداً من المشكلات.

انفجارات شمسية تشابه الهزة الأرضية

أوضح الباحثون، وللمرة الأولى، أن الانفجارات الشمسية تسبب موجات اهتزازية يمكن تشبيهها بدرجة كبيرة بالهزات الأرضية على الأرض.

وقد جاءت هذه الكشوف العلمية من خلال الأرصاد التي سجلها أحد الأجهزة العلمية لمركبة SOHO في ٩تموز/ يوليو ١٩٩٦م بعد انفجار متوسط الحجم بالمقاييس الشمسية.

ومع أن الانفجار كان متوسط الحجم، إلا أن الطاقة الناتجة منه كانت كبيرة جداً، بالمقاييس الأرضية، وتعادل ٣ر١١ درجة على مقياس رختر.

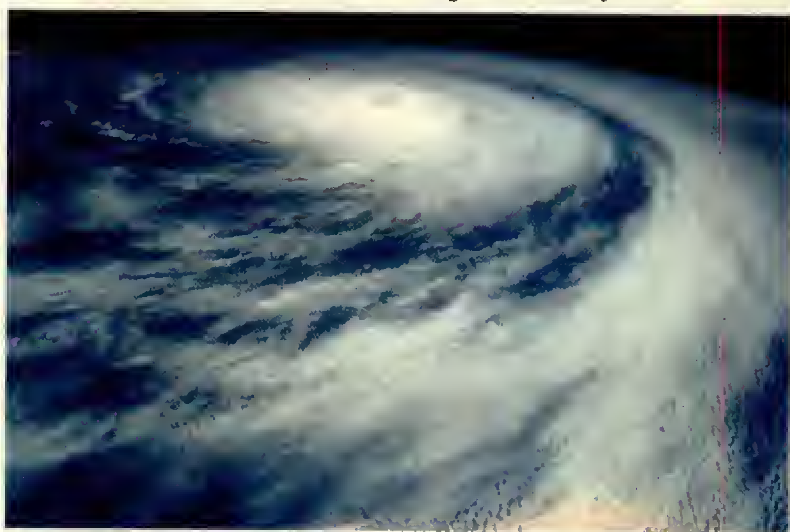
ولاحظ الباحثون أن الهزة الشمسية تشابه إلقاء حجر في ماء ساكن، لكن، وخلال

ساعة، شغلت الموجات الشمسية مساحة تعادل ١٠مرات محيط الأرض قبل خفوتها في المحيط الملتهب للسطح المنير للشمس. لكن انتقال الموجات كان مختلفا عن الماء الذي تنتقل فيه الموجات بسرعة ثابتة، فقد ازدادت السرعة من ٢٢ ألف ميل/ساعة إلى ٢٥٠ ألف ميل/ساعة قبل اختفائها.

وحسب النموذج المقبول حاليًا للانفجارات الشمسية، فإن الانفجار الأولي يولد إلكترونات عالية الطاقة تولّد مجالاً مغناطيسيًا، وأشعة سينية، ومايكروويف، وموجات صدمة تؤدي إلى تسخين سطح سرعة انتقال الصوت في عمق الشمس.

فالجهاز الأول يقيس الحركة العمودية نتيجة موجات الصوت المرتدة، والجهاز الثاني يقيس التذبذب الشمسي، ومن خلال رصد استمر طويلاً سجل الباحثون معلومات دقيقة عن باطن الشمس تسمح باختبار دقيق للنظريات الحالية عن الشمس.

وجاءت النتائج دالّة على وجود منطقة ينتقل فيها الصوت بسرعة أكبر مما هو متوقع، مما يفسره الباحثون بدرجة حرارة أعلى مما هو متوقع، وتقع هذه المنطقة على عمق ثلث المسافة بين السطح والمركز، وتقع



توجد تشكيلات على سطح الشمس تشابه الرياح التجارية في جو الأرض

الشمس، إلا أن هذه الأرصاد أشارت إلى أن الهزة كانت أقوى بعشر مرات مما تفترضه النظريات الحالية.

والآن، وبعد التمكن من رصد الموجات الزلزالية الشمسية، يقول الباحثون: إن الموجات الزلزالية المولدة من الانفجارات الشمسية تسمح لهم بتعرّف الظروف في باطن الشمس من خلال دراسة نمط الموجات المتكونة بصورة مستمرة في باطن الشمس.

هـ. إيضاحات SOHO تشير إلى أن باطن الشمس أقل حرارة مما هو متوقع

أظهرت الأرصاد التي سجلها جهازان من أجهزة المركبة سوهو أموراً غريبة في في نطاق انتقالي بين نطاق الإشعاع والنطاق الحملي.

وعلى النقيض من ذلك كانت هناك طبقات ينتقل فيها الصوت بسرعة أبطأ مما هو متوقع، ومنها مركز الشمس الذي أظهرت قياسات أحد الأجهزة أن درجة حرارته تقل بنسبة ١ر٠٪ عما هو متوقع بـ ١٥ مليون درجة مئوية، وعلى الرغم من هذا الاختلاف القليل ظاهرياً فإنه يعني أن التفاعل النووي الحراري في مركز الشمس الذي يولد الطاقة قد يكون دون الأداء الأقصى، وفي حالة تأكيد ذلك، فإنه ربما يولد انطباعاً أن الشمس تغير الطاقة المولدة منها خلال فترة طويلة.

رصد المذنبات عند اقترابها من الشمس

ورصدت المركبة سوهو عشرات المذنبات عند اقترابها من الشمس أو عند دخولها إلى الغلاف الغازي للشمس وتبخرها فيه.

ومن هذه المذنبات مذنب هيل بوب الذي كشف أحد أجهزة المركبة سوهو تشكُّل غمامة محيطة به يصل اتساعها إلى ١٠٠ مليون كيلو متر على الرغم من كون نواة المذنب لا يزيد قطرها على ٤٠ كيلو متراً، وهذا يزيد كذلك كثيراً على الذيل المرئي للمذنب.

وهذه الغمامة تساوي حجم الشمس بأكثر من ٧٠ مرة، بينما ظهرت الغمامة المحيطة بالمذنب هايكوتيت بحجم يزيد على ١٠مرات من حجم الشمس.

ويستشعر الجهاز الذي التقط الصور الضوء في مدى الأشعة فوق البنفسجية، وبالنسبة إلى المذنبات، فإن أشعة الشمس تفكك جزيئات الماء في المذنب إلى ذرات هيدروجين وأكسجين، وتتلألأ ذرات الهيدروجين بالأشعة فوق البنفسجية.

ولا يمكن إجراء الأرصاد بالأشعة فوق البنفسجية من الأرض؛ لأن هذه أشعة تمتص من قبل جزيئات الأوزون في طبقات الجو العليا للأرض، كما يمكن رصد المذنبات بواسطة تلسكوب الفضاء هابل، إلا أنه لا يوجه إلى أجرام قريبة من الشمس خوفًا من أن تؤدي أشعة الشمس إلى تعطيل أجهزته العلمية الدقيقة. وأظهرت أرصاد هذا الجهاز أن مذنب بوب هيل كان يفقد عند اقترابه من الشمس نحو ٥٠ مليون طن من بخار الماء يومياً.

* سد هوفر من أكبر السدود في الولايات المتحدة، وتبلغ طاقة التوليد للمحطة الكهربائية الملحقة به أكثر من ١٢٠٠ ميغاوات.

المصادر

١. نشرات علمية متعددة صادرة عن وكالة الفضاء الأوربية ESA.
٢. نشرات علمية متعددة صادرة عن وكالة الفضاء الأمريكية NASA.

(مصدر جميع الصور وكالة الفضاء الأوربية ESA).

الفجر الكاذب

أبو همّام
عبداللطيف عبدالحليم

حـينمـا لُحتِ لي من الأفُقِ المُغْ
تمِ، أسـرى بيَ الخـيـالُ يجـولُ
وأضـاءتْ غـيـاهبُ النفس، واهتـز
زت رُؤاها، وغـازَلَتْـهـا الشَّـمُـولُ
حيثُ ـ لا حيثُ ـ يسبحُ الأبدُ الحا
لم فـي مَـدِّهِ، ويدنُـو السـبـيـلُ
حيث ـ لا حيث ـ أنتِ من عالم النجـ
وى شعاعٌ صعبٌ إليه الوصولُ
أنا أدلَجْتُ أنشـدُ الضـوءَ، يمضي
بيَ من حـسنكِ الغـريب دليلُ
وفـؤادٌ مللتُ من قـيـده القـا
نط، يشـتـاقُ أن تـذوبَ الغُلُولُ
بعـد عـامٍ، والجدبُ يوغلُ في الرو
ح، ويمشي في ساحتَيْها الذبولُ
أنا أدلجتُ يا لروعـة أحـلا
مي، ويا للفـؤادِ حين يميلُ
أفُقٌ مـشـرقٌ، ونجمٌ يناجـيـ
ـه، وحَـوْمٌ للنفس ماضٍ صَـقِـيلُ
وأمَـانٍ، يطرِّزُ القـمـرُ السـا
همُ منهـا خـيـوطهـا، وينيل
كلّ شيء لديَّ ـ خلْتُ ـ فـلا الأفْـ
قُ بعـيـدٌ، ولا الزمـانُ بخـيلُ
وإذا بي صـحـوتُ، فـالـفـجر كذّا
ب، وهذا الشـعـاع منه قـتـيلُ
هكـذا تخـدعُ العـيـونُ خـيـالا
تي، فـتـمضي، حتى يعزَّ القُفُولُ



بيننا ـ يا صـديقـتي ـ قـسـوةُ الثلـ
ـجِ، وغَـيْـمٌ داجٍ، ودربٌ طويلُ
بيننا ـ لو علمتِ ـ من خـوفنا العا
تي جليـدٌ، ومِنْ كِلَيْنا عَـذُولُ
لا عـتـابٌ، فـالوهمُ لا يخلقُ الضـو
ءَ، ولا يبلغُ السـمـاواتِ طُولُ
أو مَـلامٌ، فـالآلُ لا يمنحُ الظمـ
آنَ مـاءً، ولا تَرُدُّ الطُّلُولُ
أنتِ ـ لا أنتِ ـ في الزحام تضيعيـ
نَ، ومـا يحـتـويكِ إلاّ الذُّهولُ
بَيْدَ أنّي أبْكي على الضوء، قـد هَز
زَ خـيـالي أن يَعْـتَـرِيهِ الأفُـولُ
أنتِ عَلَّمْـتـنِي أرُدّ خـيـالي
ولهُ في سـمـائه تَهْـويلُ
لِيَ عنْ فـجـركِ الكذوبِ عُـزُوفٌ
وخـيـالي عن أن يراكِ كَليلُ



قصاص

من طباع الغدر أنه يقتص من ذويه

حيدر الغدير

رأيت للغدر أفضالاً سأشكرها وإن تجرعت دنًا من دواهيه

رأيته ماكرًا يرخي حُبالته للقوم قد ألفوا إسرافهم فيه

يملي لهم زمنًا حتى إذا سكروا وأدفنوه عدت فيهم عواديه

فاقتص منهم وهم أسرى مخالبه وحبه الفتك يغويه ويغريه

وربما قال منهم ناطق لَسِن أين الوفاء وفيم العهد تقصيه

فقال كلا فإني عادل فَطِن أسقيك مما ظَللت الناسَ تسقيه

الغدر يقتص ممن كان يفعله بالآخرين فيخزيه ويرديه

مشيب

خالد سعيد عبدالمعبود

(١)

يسـافـر في الدم هذا المشـيب ... ويتـرك أسـفـاره في القلوبْ
يمجُّ عليـهـا خـرافـاته ... يجـدِّد فـيـهـا الأسى والندوبْ
وحين تمنَّتْ رجـوع الصـهـيل ... لنيـرانهـا... ورجـوع الشـبـوبْ
أجـاب المشـيـب: بأن الخـيـولَ ... أُسْتُـرِقَّتْ، وصار الصـهـيل نحيبْ
وأن حكـايتـهـا بُـعْـثِـرَتْ ... وذابت مناجلُهـا في السـهـوبْ
ولم يبقَ في الدرب من كلمـات ... تُقـال.. سـوى كلمـات المشـيبْ
تـودّ القـلوبُ مـحـادثة الريـ ... ـح لكنمـا الريح لا تسـتـجـيب
تحـاول فـتـح كـتـاب الضـحى ... إذا الشـمس شيـئًـا فشيـئًا تغيب

(٢)

يطاردني..
بالدجى والذبول
وبالحصوات التي شربتْ
من دماء الأغاني،
ومن غفَوات السهول
فأرحل دون رحيل..
وأرفض إيماءة الموت
أن تلتقي بورودي
وأشعل ناري في الظلمات،
وصمت الطريق،
وسفر الدخول
يطاردني...
أرقمي.. كنشيدٍ تبعثر في معركهْ
وتاهت مقاطعه في الغبار
ويسقط جنبي الحنين/ الأفقْ
/ قسمات النهار
«لقد» كان ما قال لي
- كيف لا....
لقد تركوك وحيدا كشوك الصحارى
وإيوان حلمك يهوى على سُرُرٍ من رماد
«أيا ذلك الميتُ
لا شيء لكْ
أو عليك
إذا أنت زدْتَ امتزاجك بالموتِ،
أو في المقابر غنيَّتْ»
وتمتّد لي قبضةٌ كالحقول
وتخطفني من حنايا المشيب
وتبذر بين مسامى الثمر
فتبرق عيناي...
والأفق مازال متّسعا حجرُه
للعيون
ولم يزل الصبح والليل
ينحدران بوجه البشر
فلم أستطع أن أجاري المشيب
ولم أستطع أن أعيد القمر
ولم أستطع..
غير نحت نشيد على فوّهات الخناجر



تحت الشجرة.. وراء السور

نزار نجّار

من الزاوية الشرابية ينطلق صوت الأذان؛ أذان العصر، يتهادى الصوت راشحًا بالمهابة، إيقاع الأنوال تريك تراك، تريك تراك يتوقف، يغيب ليسمح للمؤذن أن يمدّ صوته حتى منتهاه.. والزاوية هي بداية الدرب قبل القبو، بدايته قبل الوصول إلى أزقة ضيّقة ملتوية، طريق «اليعاقبة» وما وراءه حتى سوق الشجرة، حمام القاضي وما يليه حتى الساحة نفسها، تتلوى الطرقات، تتباعد ثم تفترق، لكنّها لا تلبث أن تتقارب وتتعانق ثمّ تتقاطع وتفضي إلى الساحة هناك..

كم مرة حملتَ طستَ البيلون(١) النحاسي، والبقجة(٢) فوقَ رأسك، وركضت تسبق أمّك إلى الحمام! كم مرةً عبرت «اليعاقبة»(٣) إلى الفرن هُناك! كم مرة جعلت محطتك أمام الجامع الصغير في الزاوية، الجامع القابع في طريقك من الأزل.. ببابه العريض المدهون باللّون الأخضر، ومصطبتيه الحجريتين اللتين يحلو بينهما اللعب، ثمّ الردهة ذات البلاطات المربّعة التي تأخذك إلى فضاء الجامع، فسحة مستديرة تقابل الحرم الهادئ ثم سور قصير تطلّ من ورائه مقبرة الشهداء..

شاهدات قبور متناثرة ينخلع القلب لمرآها!..

ولولا وجود شجيرات الدفلى والزيزفون، لولا وجود الدّالية ذات الأذرع الممتدة ككائن أسطوري في كلّ الاتجاهات لَبَدا المكان موحشًا حزينًا، على الرغم من بياض حجارته، كأنما زاده البياضُ وحشةً وبرودةً مرتعشة.

الزاوية تزدحم أوقات الصلاة، عمال النسيج والأنوال وصانعو القباقيب والمداسات الخفيفة والنعال الثقيلة والكندرجيّة، وبائعو المربّى والحلاوة الطحينية هم قاصدوها، يصلّون الظهر والعصر وأحيانًا المغرب، أيام العمل المزدهر والمواسم الطارئة، ثم ينصرفون إلى دكاكينهم على عجل، وهم يتمتمون بسورة الفاتحة.

لم يكن هنالك أثر لعبدالمنعم حين اقتربتَ من المصطبة، لا محمود ولا غيره، ومع ذلك فقد مضيتَ إلى الزاوية، كنْتَ تمنّي نفسك بأن تظفر بواحد منهم، تتابعُ لعبتَك المفضّلة بين المصطبتين، بدت الفسحة خالية، شعرت بالخوف وأنت تقترب من الحرم الموصد بابه، طارت حمامة كانت واقفةً فوق الشبّاك العتيق، بدت شواهد القبور هناك مكتئبة حزينة، ظهرت سعفات النخيل يابسة مصفرّة، انداح في الجوّ شيء مبهم، لكنّك صمّمتَ أن تصل إلى المقبرة خلف السور، تابعتَ بنظراتك طرفه الحجري. هل تتسلّقه فتكتشف ما خفي عنك؟ أليس هناك من درب ترابية تفضي إلى الخلاء البعيد الذي يصل آخر الحارة بحوش آل الغنم، بالدبّاغة، بسوق الحدّادين، بساحة المغيلة، لكنّك توجّست خيفة من أن تقدم على عمل طائش؟!.

سمعْتَ صَفيرًا!!

عدْتَ أدراجك إلى المصطبة.. مررْتَ ببوابة الجامع.. كان هناك هشام الهجري، هشام نفسُه بشقرته وعينيه الزرقاوين، طار قلبك فرحًا، ركضْتَ إليه، وركضَ إليك، كنتما صديقين من دون زيارات، وهشام يسبقك بصف واحد في المدرسة الابتدائية، لكنّ نظافته ووسامته تأسرانك.. حديثه العذب الناعم يجعلك تأنس إليه، لكنّه لم يكن يظهر إلا لمامًا.

وأمّك لا تسمحُ لكَ بالخروج من الدّار، تخاف من أن تلتقي بالأشقياء من أولاد الحارة، وهشام لم يكن منهم، اكتشفت أنّه يذهب مع أعمامه ليشتغل في ورشة صبِّ البيتون، ثم أتيح له أن يسافر، ثمّ انقطعت أخباره نهائيًا!..

قال هشام وهو يحكّ أرنبة أنفه:

- ماذا تفعل هناك؟

- أ.. أريد أن أقفز فوق السور!

اتّسعت عيناه الصّافيتان من الدهشة:

- السّور.. سور المقبرة..

- نعم.

- والأموات، وحرمة الراقدين!

وماذا في أن أقفز وأعرف ما وراء الأرض الخلاء؟

- حتى الآن لم يجسر واحد أن يفعل ذلك.

سكتَ لحظةً، ثم هتفْتَ

- هشام، تعال معي..

- إلى أين؟

- إلى هناك، نجتاز السور معًا!

توقّف هشام محتارًا، ولسْتَ تدري لماذا رأيته، هذه المرة، يصغُرك بكثير، شعرت بأنك تستهين به، برأسه الأشقر الجميل، وعينيه الزرقاوين، قلتَ في نفسك:

- يا له من ولد جبان!

شددْتَ على كفّيه، أمعنْتَ النّظر في بحيرتي عينيه الصّافيتين:

- أتأتي.. أمْ أنك..

ولم تلفظ (جبان)؛ لأنه فهم ما تريد أن تقول فأسرع يردّ بثقة وعزم:



- بل سآتي.. هيّا

تأبّطْتَ ذراعه، وسرتما إلى البوابة، فالباحة، حتى وقفتما أمام السور.

قلتَ:

- دعني أسبقك، حاول أن ترفعني إلى فوق!

وحين انحنى بجذعه ليجعل كتفه الأيمن دعامةً تستند إليها في ارتقاء السور، تناهت إليكما نقرات عصا على البلاط الحجري..

- تك.. تك.. تك.. تك.

قفز هشام كالملسوع، وركضتَ أنت إلى جذع شجرة الزيزفون..

همس هشام:

- إنه جدي!..

ومن وراء الشجرة لمحت الحاج إسماعيل، جدّ هشام، دقّ قلباكما خوفًا، لن تستطيعا الإفلات دون أن تلسعكما عصاه السنديانية، أمسكتَ كف هشام وهمستَ:

- لن يرانا!.

اقترب هشام منك، شعرت بأنفاسه الدافئة اللاهثة، أحسست بحرارة جسمه المرتعش، هدأ كلّ شيء، إلا نقرات العصا الملحاح، وصرّ الباب الكبير، وأدير المفتاح في القفل، لم يعد هناك خوف، فلماذا يرتعد هشام؟ ولماذا يخفق قلبك بعنف؟، كانت شجرة الزيزفون فوقكما تمنح الأمان، لمَ أنتما خائفان.. ترتجفان؟

مرّت لحظات، خلتَ أنها طالت واستطالت، ثم افترقتما، أطلق هشام ساقيه نحو الدار، وركضتَ وحدك كالمنوّم، سرتَ مسرعًا تتلمّس الطريق إلى السوق، ما الذي يجعلك أسير تلك اللحظة، ها أنت تنزلق في لجّة الحيْرة، هل وقفتما معًا تحت الشجرة أم كان ذلك وهمًا؟ ومرورك بالزاوية الشرابية، دخولك البوّابة، سيرك فوق البلاطات الحجرية، وقوفك أمام تلك الشجرة الصامتة، تعاين المكان، هل حصل ذلك في زمن ما؟ أيّ متكأ لهذا الساعد المكدود.. وهذه النّار الموقدة في الضلوع؟ كلّ الذي قيل كان سرابًا، الشجرةُ أمامك تمدّ أغصانها، وتنفض أزاهيرها البيضاء فوق رأسك، يتضوّع ما حولك بأريج الزيزفون أنتَ تحلم!! وطّنْ نفسك أن تدور حول هذه الشجرة، عيناك تسبحان في دمعتين كبيرتين؛ درءًا للبوح والشوق واللهفة والحنين، غايتُك أن تدرك الذّروة العليا، هاتفًا تبحث عن ولد اسمه هشام!.

أنت ما زلتَ أسيرَ حيْرَتِكَ، لأنك في المرة القادمة ستلتقي هشامًا تحت القبو، وستحدّق في عينيه الصامتتين، لن تختلجا أمام نظراتك الثاقبة، لن يبدو فيهما ما يذكرك بتلك اللّحظة، لن تستطيع أن تقول له: أنت جبان! إذا لم يقبل اقتراحك بالقفز فوق السور، واكتشاف الأرض الخلاء، ما حدث أضغاث أحلام، ثَمّ متى كان جدّه الحاج إسماعيل يدخل الجامع في غير أوقات الصلاة؟ لمَ كلّ هذا؟ وأنت كلّما مررت بالزاوية الشرابية، تبدو مهتزًا، ترجُك العواطفُ، ترجُك الأشياءُ غير المتّزنة، ترجُك قسوة الأيام، ترجُك عتمةُ المكان، ترجُك هذه الشجرة العتيقة المثقلة بالحنين والصّمت، يرجُك هذا السور الحجري الحزين، لأنّ قبرًا جديدًا، أضيف بعد سنوات، اقتحم المكان الهادئ، وشاهدة فتيّة لشهيد انتصبتْ وراءه..

ومن بين دمعتين كبيرتين تمطر بهما عيناك، يتخايل اسم هشام الذي لم يكن جـ.. بـ.. ا.. نـ..ًا

الهوامش

١- البيلون: تراب يستعمل قديمًا، بعد أن يعجن بالورد والأزهار كمنظف للرأس في أثناء الاستحمام.

٢- البقجة: صرّة الثياب.

٣- اليعاقبة، حمّام القاضي، الزاوية الشرابية: أسماء أماكن معروفة في حماة.

سمّه وداعاً طويلاً

جون ويكهام* ترجمة: فاتن عبدالرزاق

عندما جلس «هنري» وحيداً على مائدة الإفطار، لم يدرك أن هذه هي النهاية التي تمناها بشدة وإخلاص.

وكما هي عادته منذ سنوات زواجه الثلاث، جلس على حافة الكرسي، وأخذ يرتشف الكاكاو، ويبتلع قليلاً من الخبز والزبد، دافناً رأسه في صفحات الجريدة كما كان يفعل دائماً غير راغب في نسيان أنه على طرف المائدة الأخير لا يوجد ذلك الكائن البغيض الذي كان يراقبه.

مكانها الفارغ على المائدة كان مزعجاً أكثر من اعتياده حضورها البغيض، فمنذ شعوره بغيابها، لم يعد يفكر بنفسه كضحية لأفكاره، وفي حالته المضطربة هذه، لم يكن باستطاعته أن يجزم هل كان يكرهها أكثر من ذي قبل، أم أن غيابها هذا جعله يستعيد حبه لها كما تعود من قبل في ذلك الزمن البعيد؟ فالحب والكراهية بدوا له وجهين لعملة واحدة، ربما لأن الإنسان لا يعرف متى يبدأ أحدهما، وينتهي الآخر؟

ولكن في هذا الصباح المبكر لليوم الأول لرحيلها، بينما كان يجلس وحيدا مخفياً وجهه في جريدته في هيمنة غيابها أدرك أنه قد بدأ يفتقدها.

هل مازال يحبها؟ سرعان ما طرد هذه الفكرة من رأسه، بالتأكيد.. لا.. لقد كرهها.. كانت غبية، بل كتلة من الغباء.. ربما كانت تعتقد بأنه سيرجوها لتعود إليه.. حسناً.. لقد كانت مخطئة.

عادة هنري في إخفاء وجهه في الجريدة الصباحية، كان قد طورها منذ الأيام الأولى لزواجه مقتنعاً بالمنطق المعروف الذي يقول: «عندما لا ترى صيادك فإنه لا يراك» فتجاربه علمته أن يحب هذه الوسيلة التي تستخدمها النعامة أمام الصياد، وكان يردد بينه وبين نفسه: «لابد أن يكون للنعامة منطقها».. لقد كان شيئاً له مغزاه.

ومع أنه لايوجد تفصيلات إيضاحية لما يمكن أن يكون دليلاً واقعياً لهذا الحل، ولكن هنري الذي كان طوال حياته يضع العربة أمام الحصان، درب نفسه على الوصول بحواراته إلى حلول سابقة لها، لم يكن ممكناً رفضها، لأن مسبباتها العقلانية كانت بالنسبة إليه أكيدة وثابتة.

لقد أعطى حقده الشرعية لتلك الحلول، ولشغفه بمنطق النعامة والصياد، وهكذا استمرت حاله.

ها هو ذا يختبئ من المقعد الخالي وراء المائدة، لم يكن حقاً يقرأ في الجريدة، وهو نادراً ما كان يفعل ذلك حتى في الظروف العادية، أما هذا الصباح فالظروف غير عادية، ففي ظهر الأمس عندما عاد من عمله وجد رسالة على المنضدة الرئيسة في غرفة الرسم.. كانت الرسالة موجهة إليه، بخط مدرسي كبير من زوجته «مايبل» كانت الرسالة قصيرة، ولم يكن من الممكن قول ما نريده بأكثر وضوحاً من ذلك.

عزيزي هنري:

«لم أستطع أن أفهم لماذا انتظرت فترة طويلة لأرى أن زواجنا كان فاشلاً منذ البداية، إن هذا اليوم كان محتوماً منذ تلك الظهيرة التي تزوجنا بها، ولم يكن زواجنا سوى تحضير الوداع الأخير، سمّه - إن رغبت - وداعاً طويلاً، إن الأمور لا تحدث أبداً قبل أوانها». (زوجتك مايبل)..

هذا كل ما تركته له، قطعة ورق وبعض الكلمات التي لا تحتوي على أي مسوّغ لهجرها له.. إلى أين ذهبت..؟ وما مخططاتها..؟ فقط ورقة عليها بعض الكلمات..! كلمات كانت حاسمة.. كانت تسعى بها لأذيته ولجعله ينتحب!!

كان قد قرأ سابقاً أن الكلمات قد تكون جارحة مثل السيف والسهم، إنها أدوات فيها من الحدة ما يكفي لتجرح وتؤذي كما تفعل الأسلحة تماماً.. نعم لديها القوة لقتل ألف، وها هو ذا يعرف أن ذلك حقيقة.. وها هي «مايبل» الغبية، الجاهلة التي يحقرها تعلمه ذلك.. كيف تمكنت من كتابتها بهذا الذكاء الذي لم يتخيل أبداً أنها تملكه؟.

إنه ذكاء حاد، ذلك الذي استطاعت به أن ترى حياتهما كاملة معاً، وتلخصها بهذا المنظور الواقعي، وتصفها بهذه المهارة من التعبير، فالواقع أن زواجهما لم يكن شيئاً أكثر من كونه وداعاً طويلاً، ذلك حقاً ما كان.. وقد كان مخطئاً بشأن هذه المرأة التي تمكنت من تلخيص ثلاث سنوات من الزواج بكلمات قليلة، لم تكن إذاً تلك المرأة الطيبة التي تخيلها، لقد فاجأته الآن، وبعد أن رحلت يعثر على شيء بها يثير إعجابه، لقد عاملته الحياة بخسة، دائما كان هو على حق، وكانت هي على خطأ، أين الحق في أن تنقلب الأمور على هذا الشكل؟

الآن وبعد أن هربت! كيف يمكنه أن يقوم بدور النعامة أو دور الصياد؟، وفي ظل التطورات الأخيرة، قام بعمل محاولة يائسة لمقاومة هذا الوضع!!.

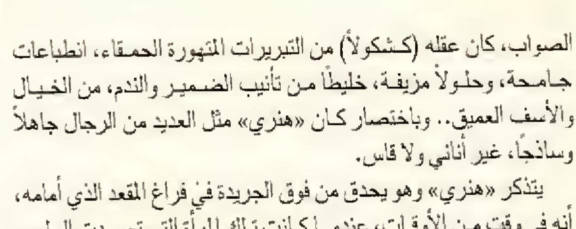
لنبدأ من البداية..

لقد كان تفكيره يتجه به، حيث لم يكن مغرّراً به، إلى الاعتراف بخطئه، ففي ذلك الوقت عندما كان هو الصياد أقنعها بالذهاب إلى منزل والدها، وهمس لها بكلمات جميلة، وصار يغريها بهدايا غالية الثمن - ووعد بحب لا ينتهي..!.

ولكن بالتخلص من الماضي، وعدم تناسبه مع الحاضر - إلا إذا أراد الاعتراف بأنه كان حينئذ على خطأ. اضطر هنري للخضوع إلى واقع أنه في تلك الأيام، لم يكن حقيقة هو الصياد، ربما كان كونه هو الصياد في خياله فقط، بينما في الواقع أن تلك المرأة التي تعودت الجلوس أمامه على الطاولة كانت هي الصياد الحقيقي، ربما تمكنت بمكرها ودهائها من دفعه إلى التوهم بأنه يطاردها.. عندما بدا ذلك منفذاً للهرب بنقاط ضعفه، أطبق عليه بفرحة المنتصر، وعاد إلى حلوله الخاصة به، وهو أكثر قناعة من ذي قبل بعبقرية «مايبل» الشريرة، وبعذابه العظيم..

لم يكن ثمة تنظيم أو ترابط في افتراضات «هنري» للوضع كله، فمع تقبله للحل بأن يكون هو الطرف المخطئ، لم يحاول أبداً أن يضع الأحداث في صيغة تمكنه من إدراك أثرها فيه..

كان ما يعنيه فقط هو إيجاد طريقة لإقناع نفسه أن ما اعتقده هو



الصواب، كان عقله (كشكولاً) من التبريرات المتهورة الحمقاء، انطباعات جامحة، وحلولاً مزيفة، خليطاً من تأنيب الضمير والندم، من الخيال والأسف العميق.. وباختصار كان «هنري» مثل العديد من الرجال جاهلاً وساذجاً، غير أناني ولا قاس.

يتذكر «هنري» وهو يحدق من فوق الجريدة في فراغ المقعد الذي أمامه، أنه في وقت من الأوقات، عندما كانت تلك المرأة التي تعودت الجلوس هناك، أجمل امرأة في العالم، لقد تأمل طولها، مظهرها الملكي، شعرها الأسود الداكن.. في وقت من الأوقات، كانت كل حركة لها هي من أجمل الأشياء، الاعتزاز بالذات، ورباطة الجأش التي لم يسبق له أن عرفها في أي امرأة أخرى.. وكان قد توصل إلى اعتقاد بأنها تعود بأصلها إلى أسرة ملكية، وأن ما تبديه هو خبرة تدربت عليها منذ الولادة، تصور أن أسلافها كانوا عمالقة يزيد طولهم على ستة أقدام، وأنهم كانوا يدقون الطبول، ويرقصون رقصات جميلة يلوحون بها برماحهم الطويلة تحت ضوء القمر على ضفاف أنهار إفريقية.. وكانت هي تبدو وكأنها ملكتهم.. رائعة بطولها ووقارها.. لم يكن «هنري» متأكداً متى انتهى حبه للمرأة التي كانت تجلس أمامه على مائدة الإفطار؟ ولكنه يعتقد أن ذلك حدث في مساء يوم الزفاف نفسه، عندما التفت إلى المقاعد الأولى في مدرج الكنيسة، لقد كان يحدق في شعاع شمس صغير كان قد نفذ عبر الباب الشرقي، وترك لمعاناً على الشمعدان النحاسي، لم يكن يفكر بشيء ولا حتى بها، لقد كان رأسه فارغاً تماماً وهو جالس هناك بجانب أشبينه، محدقاً بالشعاع الصغير وبأصابع عازف الأرغن، وعندما رأى العازف ينظر نحو باب الكنيسة، وحين سمع وقع الأقدام على الشرفة، التفت ليرى موكب العروسين قادماً عبر الممر، ولكنها لم تكن ملكته، كل الذي رآه هو شكل أبيض ساخر، لعروس واقفة إلى جانب رجل طاعن في السن برأس أصلع يتحركان عبر الممر مثل ثور ضخم..!!.

أصابه خوف مفاجئ من أن يكون قد خُدع.. هذه لم تكن هي.. لا يمكن أن تكون هي المرأة التي أحبها بشغف.. عندما جلست العروس إلى جانبه، نظر إليها وفشل تقريباً في تعرف الوجه المكتظ بالمساحيق وفوقه ينتصب رأس سخيف كرأس المرأة الملكة التي فاز بها كعروسة له.. لذا كانت أجوبته للقس غير واضحة، وكان يشعر بأن الأرض تدور به، وأنه غاضب من نفسه!

كتم غضبه بداخله، وأجهض حبه، وفي تلك اللحظة استنتج أن «مايبل» ثور له عقل نملة، قرر أن يجد أسبابه لهذا الاستنتاج، وقد عثر عليها بسهولة، وبشكل مفاجئ، ما أراد أن يراه.. رآه.. ولم يكن فيما رآه.. لا شاعرياً ولا خيالاً..، فقط كتلة ضخمة من العظام واللحم، لقد وجد العديد من الأسباب لاحتقارها الآن، كما وجد من قبل العديد من الأسباب للإعجاب بها.

إنها الآن سخيفة ومستهترة، بينما كانت من قبل جميلة وبسيطة.. لقد كانت من قبل متحفظة، أما الآن فهي عاجزة عن التعبير عن آرائها..

وبنية جسمها الرائعة، لم تعد إرثاً قبلياً، ولكنه نتيجة لبعث التطورات الأرستقراطية الفطرية، وصوتها الموسيقي العميق، الآن يصعب وصفه، ولطفها غدا تمثيلاً مفتعلاً.

لم تكن تجري بينه وبين «مايبل» أية أحاديث، ولم يكن هناك أي رابطة حقيقية بينهما، لا مشاركة في الأسرار الداخلية العميقة كما هو الحال بين زوجين، إنهما كائنان منفصلان في مشاعرهما وأفكارهما يقيمان في منزل واحد، ويجلسان معاً لتناول وجبات الطعام، ولكن لكل منهما عالمه البعيد عن الآخر، وبقدر كرهه لزوجته وتشبيهها بالحيوان، كان ينكر عليها



ذكاءها، وقد كوّن فكرة خاصة عنها، لقد كان خائفاً، من غير ذنب، من عينيها الجريئتين، الواثقتين جداً..

ومع ذلك شعر بحقارته وذنبه، وهذا جعله ساخراً وعنيفاً، وكان إحساسه بهذا الشعور في الوقت الذي بدأ فيه بعادة التخفي وراء صفحات جريدة الصباح، ومن حين إلى آخر كان كعادته يرفع عينيه فوق مستوى حافة الجريدة ليرى ما الذي تعمله تلك المرأة؟ عيناها ستكونان ثابتتين تحدقان به، وسيضطره هذا إلى أن يدفن رأسه مضطرباً وبسرعة في صفحات الجريدة، هذه الجريدة التي لم تكن أكثر من جدار بينه وبين الطرف الآخر من المائدة.

ذات يوم قالت له: «أرجوك خذني إلى معرض الرسم الأسبوع القادم»، كان صوتها واثقاً وشبه طفولي لا يعطيه مجالاً للشك في أنها تهيئ لحيلة ما...

أجابها وهو يحاول أن يظهر كلامه منطقياً، مُخفياً في الوقت ذاته ضيقه من طلبها: «أنتِ لن تفهمي شيئاً من تلك الرسوم.. فما الفائدة من ذهابك؟»،

لقد أهانها بفظاظة لاقتراحها التافه هذا لدرجة أنه رغب في الضحك.. لماذا تريد الذهاب إلى معرض فني؟ وهل تستطيع أن تفهم منه شيئاً؟..

إن السيرك هو المكان المناسب لها.. ثم إنها لا تفهم أي شيء على الإطلاق، ومع ذلك لا يمكن أن تكون غبية إلى هذا الحد الذي تبدو عليه، إنه لم يرها تقرأ مطلقاً، لم يكن لديها أي اهتمامات، لقد كانت حيواناً ضخماً وغبياً.

ولكن ماذا لو كانت تفكر؟ ماذا لو كانت تمتلك شخصية خفية؟ حيث لا يمكنك أن تعرف من ملامح وجهها بم تفكر؟ ولكن افترض - على الرغم من ذلك - أنها كانت تعيش حياتها الخفية وتخفي شخصيتها وراء قناع

وجهها اللحمي الفاقد الحس.

ربما كان لها شخصيتها وتستطيع أن تتخيل وتحلم.. ترى هل كان له ثمة وجود في خيالاتها وأحلامها؟، وهل من الممكن أنها تمقته؟ وأنه في الحقيقة لا يعني لها شيئًا؟ الأفكار أذلته، وشعر بأنه يزدري نفسه، فإمكانية أن تكون متسامحة، ومرحها الطفولي معه، أغضبه أكثر من أن يغضبه أن تكون كارهة له بشدة، لو كان ما يتخيله صحيحا فسوف يجعلها تدفع ثمن ذلك، في مقابل معاناته هذه، سيعاقبها، ويعذبها بقسوة، سوف يجرها إلى الكلام بهدوء.. حتى يعرف ماذا يدور في رأسها الكبير الغبي..

لقد كانت مجرد مصادفة أن يربط بين «مايبل وكولين» فحين كان يقرأ الجريدة كالمعتاد على مائدة الإفطار، شعر فجأة أنها اضطربت، ربما كان السبب في الصفحة المواجهة لها من الجريدة، وعندما نظر من فوق صفحاتها رأى - أو خيل إليه أنه رأى - لأول مرة منذ زواجهما، أجمل تعبير للمشاعر على وجهها.

لقد تأكد أنها رأت شيئًا أثارها في الجريدة..، شيئًا ما قرأته..! أو لعلها صورة كانت سببًا في ظهور هذا التعبير الإنساني على وجهها.

كان ذلك بالنسبة «لهنري» يشبه المعجزة، ذلك لأنه قرر بينه وبين نفسه أنها مجرد حيوان، لذا صمم على أن يكتشف ما وراء هذا التوهج الذي ارتسم على وجه زوجته دون أن يسألها أية أسئلة.

شعر «هنري» بالفخر لدهائه، في البداية تظاهر أنه لم يلاحظ شيئًا.. وعندما هرب من المنزل إلى المكتبة نظر إلى تلك الصفحة التي نظرت إليها زوجته، وكانت سببًا في ظهور المتعة المفاجئة على وجهها، صورة رجل محترم، يظهر الشعر الرمادي على الأصداغ، نظر إلى الصورة مرة أخرى، التعليق على الصورة يقول: «الدكتور كولين جيلز، حضر مؤخرًا من الولايات المتحدة»..لقد بدا «لهنري» أن هناك ابتسامة ساخرة للرجل.. هذه الملاحظة بدت «لهنري» مهمة جدا على الرغم من أنه لم يسبق له أن رآه أو سمع به، لقد كان ذلك سبب إثارة «مايبل» هذا كان استنتاجه.

ورأى في خياله كل التفاصيل التي زادت من حمى تصوراته «الصبي والفتاة والعلاقة بينهما، واعترف بأنها لم تذكر اسمه قط!! أو لم يسبق لها التحدث عنه مطلقًا»، ولكن ذلك كان بالنسبة إليه دليلاً إيجابيًا لوجود شيء ما..!! ولكنه سيصل إلى جذور ذلك الشيء حتى لو مات وهو يحاول!..

إذًا.. ذلك كان السبب وراء سكونها وهدوئها، صبرها على الأذى، رباطة جأشها.. وصفاء بالها!! طوال ذلك الوقت كانت تعيش حالة في خيالها، أما هو نفسه فلم يكن شيئًا بالنسبة إليها..!! طوال تلك السنوات كانت تفكر في كولين!! يا له من أعمى! لقد كان يسميها الحيوان الأحمق الغبي، ولكن يبدو أنه هو الذي كان أحمق، ولم يعد كذلك بعد الآن.. لقد عرف سرها وسوف يحمله فوق رأسه مهددًا لأنها طردته حتى من أفكارها، سوف يُريها.. هكذا أقسم.. ثم سيرحمها!!.

لذا، خلال الشهر الماضي رأى «هنري» تغييرًا واضحًا في «مايبل»، لقد بدت مفعمة بالحياة، مرحة سعيدة، بل كانت تبدو أكثر سعادة من قبل، وكلما فكر بذلك تأكد من عدم إخلاص زوجته له «ليس جسديًا بل روحيا.. وذلك أكثر خطورة».

تلك الشكوك الصامتة نمت إلى غيرة قاتلة في نفسه، ولكنه كان صابرًا، وذلك حتى لا يجعلها تضع ٢+٢.. إلى أن آن الأوان ليذكر اسم «كولين جيلز» بالمصادفة أمامها.. وبلا اهتمام ليرى ردة فعلها ويؤكد شكوكه.. خطته كانت بسيطة لن يخطر ببالها أنه يشك فيها، لذا، صباح الأمس سألها وهما على طاولة الإفطار: «هل علمت عن الطبيب الجديد المتخصص في الملاريا، في المستشفى.. أنه قادم من الولايات..؟»،

«آه.. نعم» ..كانت إجابة «مايبل» نصف سؤال تريد منه الإجابة، ولم يستفد شيئًا من دهائه، لذا جعل خطته مباشرة..

فقال: «أتساءل.. هل هو من هنا..» وهو يتوقع الإجابة.. ولكنها لم تجبه.. وساد الصمت.. وضايقه أن يكون مهملاً.. فصرخ بصوت غاضب، غير متحكم في أعصابه.

«حسنًا.. ألن تسأليني من هو؟».

كان واضحًا استغرابها لاعتقاده أن أمرًا كهذا، سيكون مهمًا بالنسبة إليها، فقالت: «لماذا..؟ وما أهمية الأمر بالنسبة إليّ؟».. وعندما لم يجد جوابًا لسؤاله قال:

«اسمه.... دكتور..جيلز.. د.ك و ل ن، ج ي ل ز».. نطق الاسم ببطء وهو يشدّد على أحرفه.. مثل رجل يرمي قطعة نقود صغيرة في آلة الصرف المالية، ويتوقع أن يخرج له مليون دولار.

قال: «آه.. نعم..».. لم يكن هنالك معنى مختبئ.. أو غموض في كلماتها!!.

ذهب إلى عمله وهو في حالة سيئة جدًا، عصبيًا مغلوبًا على أمره ومحبطًا، ولذا ظهر اليأس والتجهم على وجهه.. ومما زاد الوضع سوءًا، أن الجو كان حارًا، المكيف لا يعمل، وكانت الرياح تهب باستمرار لتبعثر أوراقه من على مكتبه، وتزيد من اضطرابه.. وعندما عاد عصرًا إلى المنزل كان في حالة عصبية ومروعة..

كل ذلك حدث بالأمس، عند وصوله إلى المنزل، كان الصمت يخيم على المكان.. الرسالة كانت تنتظره في وسط المنضدة بجانب المزهرية المملوءة بالورد الأحمر.. قرأ الرسالة، ولم يجد أي صلة بين «كولين جيلز ومايبل» ولأول مرة في حياته..

بدأ يشعر أن المنزل غريبٌ، وأن المرء يستطيع أن يفتقد أي شيء.. حتى الألم الذي تعوده عليه.

جلس إلى المنضدة وتذكر يوم زفافه، وتذكر تحديقه في أشعة الشمس المندفعة والعاكسة للشمعدان النحاسي، من دون سبب كانت عيناه ممتلئتين بالدموع.. بالتأكيد فإن زواجه.. بل إن زواجهما لم يكن سوى وداع طويل.. لقد كانت محقة.. لقد وجدت الكلمات الحقيقية لوصفه.

الآن يتذكر كيف مشت ببطء متأبطة ذراع والدها.. تذكر ذلك الوجه.. وجهها المغطى بالبودرة.. وبينما كان يتذكر.. نسي أنه كان قد فكر بها كحيوان بلا إحساس..

سمه إذا شئت.. وداعًا طويلاً..

هذه الكلمات رفضت أن تترك رأسه.. ومرة أخرى ظهرت أمامه كامرأة غير طبيعية، ملكة.. رائعة الطول.. والوقار.

هامش

جون ويكهام: أحد الشخصيات البارزة في الأدب الكاريبي، ولد وتعلم في باربادوس، وسافر كثيرًا في منطقة الكاريبي، (أوربا وشمال أمريكا)، وعمل مدة أربع سنوات في منظمة الأمم المتحدة في جنيف،ومثل باربادوس في اجتماع دول الكومنولث لمديري الصحف الأدبية، وكان رئيس جلسة كندا والكاريبي لجائزة الكومنولث الأدبية في عامي ١٩٨٨-١٩٩٩م. ورأس تحرير مجلة باربادوس الأدبية(BIM)، ومنذ عام ١٩٧٩م ظل يرأس تحرير المطبوعة الثقافية لجريدة الشعب،وهو كاتب قصة بارع، وظهرت أعماله القصصية في كثير من الكتب المتخصصة، إذ تعد نموذجًا لأسلوب الكتابة باللغة الإنجليزية بخصوصية كاريبية، كما تُرجمت أعماله القصصية إلى اللغتين الإسبانية والألمانية، ونال العديد من الجوائز.

الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال

عبدالعزيز شرف
مراجعة: طه عبدالرحمن محمد علي

هذا الكتاب محاولة لدراسة الإعلام والتقانة (التكنولوجيا) في مجال الاتصال من أجل إنجاز إعلام إسلامي فاعل ومؤثر، يواجه التحديات المستقبلية والمعاصرة أيضاً، تأسيساً على أن التقانة الاتصالية ذات طبيعة مزدوجة، عندما توسع إمكانات الإنسان، وعندما تهدد باختزال مجال الحياة.

ويطلعنا الكتاب على طبيعة هذا الازدواج في علاقة الإنسان بالإله، والسعي إلى إقامة صورة متوازنة، وكيف تؤدي هذه العلاقة إلى دعم حياتنا وإغنائها.

ويتخذ المؤلف من الإعلام الإسلامي وتقانة (تكنولوجيا) الاتصال موضوعاً لبحث يسعى إلى مواجهة التحديات المستقبلية من خلال عدة محاور: الإعلام الإسلامي وتقنية الاتصال، والإعلام والتقنية الاتصالية، والحواس ووسائل الإعلام، والتعليم الإعلامي وعلوم الاتصال، والرسالة ووظائف الاتصال، والإعلام في التصور الإسلامي، والصهيونية والخطر الدعائي والإعلامي.

كما يتناول الإعلام الإسلامي والإعلام الدولي، والإعلام الإسلامي والرأي العام العالمي، والإعلام الإنساني في الإسلام، ويتناول جانباً من ملاحق إعلامية عربية منها تقارير من المجلس القومي للثقافة والإعلام، وتوصيات مجلس وزراء الإعلام العرب.

جوهر الإعلام

ليس من قبيل المصادفة أن تجيء كلمة «الإعلام» في اللغة العربية من مادة «علم»، وأن تشترك مع «العلم» في جذورها، وأن تتفق معه في فروعها وأغصانها، ذلك أن «العلم»: نقيض الجهل. ويشير هذا الاتفاق في الجذر اللغوي بين «العلم» و«الإعلام» إلى أن استخدام «الإعلام» في اللغة العربية في مقابل المصطلحات الحديثة استخدام مصيب، يشير إلى الوظيفة الأصلية التي ينبع منها «الإعلام» في التصور الإسلامي؛ فالمصطلح الحديث يسعى إلى تنقية جوهر «الإعلام»، ويسعى إلى تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة من خلال عرض فني يساعد الناس على تكوين رأي مصيب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير وميولهم واتجاهاتهم.

ومعنى ذلك أن الغاية الإعلامية الأساسية في المصطلح الحديث هي تيسير عملية الإقناع عن طريق عرض المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات؛ ولذلك، فإن الإعلام يعد تعبيراً موضوعياً، وليس ذاتياً من جانب الإعلامي، سواء أكان صحفياً أم إذاعياً أم سينمائياً أم تلفازياً، بينما تلجأ الدعاية إلى التحريف والتزييف



الإعلام الإسلامي
وتكنولوجيا الاتصال
د. عبدالعزيز شرف
القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م، ٢٤٥ص

والتلوين من أجل أداء أغراضها الخاصة، ولذلك يفترض العلماء أن الإعلام ينبغي أن يقوم على الوضوح والصراحة ودقة الأخبار مع ذكر مصادرها، كما يشترط التزام معايير الصدق والأمانة؛ فالإعلام - تأسيسًا على هذا الفهم - يتوسل بوسائل الاتصال، ويوظِّف (التكنولوجيا) الاتصالية من أجل عرض أكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة وتقديمها ونشرها، أو الحقائق الواضحة التي يمكن التثبت من صحتها أو دقتها بالنسبة إلى المصدر الذي تنبع منه، أو تنتسب إليه، وبقدر ما في الإعلام من حقائق صحيحة ومعلومات دقيقة منبثقة من مصادر أمينة، يكون هذا الإعلام سليمًا قويًا.

ولذلك فإن الإعلام يخاطب العقول لا الغرائز، ويؤدي وظائف منها: التثقيف، والتنشئة الاجتماعية، والتوجيه والإرشاد والتفسير والتقويم، كما يؤدي وظيفة الإعلام بالأخبار والمعلومات الصادقة التي تنساب إلى عقول الناس، وترفع من مستواهم، وتنشد تعاونهم من أجل المصلحة العامة.

التقنية في اللغة

وينطلق المؤلف إلى تعريف كلمة «التقنية» في اللغة العربية بأنه يراد بها - بحكم الجزأين المكونين لكلمة تكنولوجيا - ذلك العلم التطبيقي الصناعي الذي يتم تحصيله بواسطة الأجهزة العلمية، وهي تدل في الأصل على مختلف طرائق المعالجة العلمية في الفنون عمومًا، وفي البحث العلمي على وجه الخصوص. وحسب ما يعتقد هارولد آدمز إنيس - وهو اقتصادي كندي - فإن تكنولوجيا الاتصال تعدّ قطب الرحى بالنسبة إلى تكنولوجيا أخرى. ويتفق ماكلوهان مع إنيس على أن اكتشاف الإنسان للحروف المتحركة لم يكن مجرد إيجاد أداة جديدة للاتصال الفعال جماهيريًا. ولكن الإنسان قد غير جوهر نفسه. ويبني ماكلوهان على ذلك ما يذهب إليه من أنه قبل اختراع «الألف باء» كانت الأذن هي المسيطرة على الاتصال، فما يُسمع يُصدق، ثم جاءت وسيلة جديدة من الألف باء الصوتية وبداية القراءة، مما أدى إلى التحول إلى توازن حي جديد يتمركز حول العين.. من ذلك اشتق ماكلوهان الوسيلة وهي الرسالة.. وتعني أن المجتمع يتشكل عن طريق وسائل الإعلام التي يتصل بها الناس، أكثر مما يتشكل بمضمون الاتصال، فالطباعة نفسها أهم من أي شيء أو كل شيء نشرته المطبعة، والتلفاز أهم من أي شيء، أو كل شيء يعرض على شاشة التلفاز.

الإعلام تعبير موضوعي وليس ذاتيًا، بينما الدعاية تحريف وتزييف وتلوين لتحقيق غايات خاصة

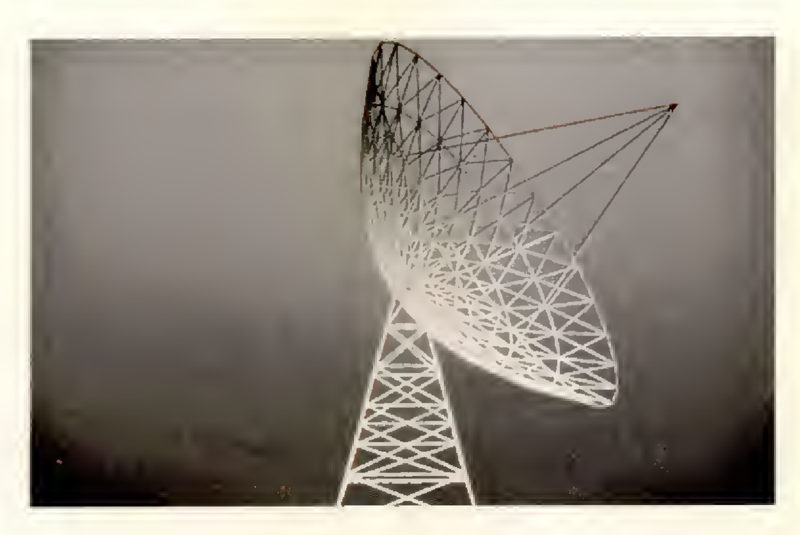
يسأل المؤلف: هل التعليم الإعلامي السائد في العالم العربي اليوم يساعد الطلاب على استيعاب المنافع واكتساب المهارات في التعامل مع (التكنولوجيا)؟ ويجيب: إنه من الصعب بالنسبة إلى علوم الاتصال أن تؤسس شرعيتها على هذا المشروع الذي يعتمد على توحيد المعارف الإنسانية، ولا سيما أن عددًا لا بأس به من الأنظمة قد بدأ يدخل الاتصال في مجاله منذ الأربعينيات، وإلى جانب الأنظمة التقليدية التي تطرقت إلى دراسة الاتصالات. وحسب رأي تليما ماكورماك فإن الرؤية الغائية لنظرية الاتصال تنتمي إلى رأي انتقادي لهذه المجموعة من الظواهر أكثر مما تنتمي إلى مشروع علمي موحد.

ومازالت التقنيات الاتصالية الحديثة مصادر ذات مضامين خافية على بعض الناس، ولم يدرس تأثيرها في المستويين العام والخاص. ويعني المؤلف بذلك: التسجيلات الصوتية، والفيديو، والبث المباشر بالأقمار الصناعية، والحاسوب، والإنترنت، وهي ليست أبدالاً للتقنيات المسموعة والمرئية والمقروءة، ولكن خطرها أعمق وأشد أثرًا في حياة الناس؛ ذلك أنها تخضع عادة للانتقاء الشخصي، وقد تختلف مادتها المختارة مع قيم المجتمع ومثله وتقاليده، وربما تفلت دون رقابة أو كبح جماحها.

وهنا يؤكد د. شرف أن طبيعة الحديث عن الإعلام وتكنولوجيا الاتصال تقتضي تضافر الرؤى، من أجل تحقيق التكامل لإنجاز إعلام فعال في نهاية الأمر. وهذا يتحقق من خلال: المهندس والعالم الاجتماعي والإعلامي، والعالم في الطبيعة (الفيزيقي)، والمشتغل بالعلوم الإنسانية، والدارس الأكاديمي، والمبدع الإعلامي، بالقدر نفسه الذي تلقاه هذه الأهمية لدى المفكر الإسلامي؛ لأن هذا الموضوع قاسم مشترك بينهم جميعًا.

ويطلعنا التقدم في تكنولوجيا الاتصال منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على جملة من القضايا التي تطرحها مشكلة الإعلام والاتصال بالناس.

ويذهب فيليب بروتون وسيرج برو إلى أن ظهور التقنيات الاتصالية في الساحة الاقتصادية قد تحقق بفضل الدعم الهائل من جانب الاتجاهات الفكرية (الآيديولوجية) للاتصال، التي واكبت خطوة بخطوة الحركة التقنية والاقتصادية، سواء في مجال الاتصالات اللاسلكية، أو في مجال الإلكترونيات، أو حتى تطور وسائل الإعلام الجديدة. ولم يقتصر دور (آيديولوجية) الاتصال التي يمكن أن نتابع تغلغلها التدريجي في العقول، على مواكبة التطور التقني والاقتصادي في هذا القطاع، فقد مهدت له الطريق، ووفرت له أكثر الحجج إقناعًا.



أما أكثر السمات بروزاً في تطور التقنيات فهي من دون شك حركة اندماج ميادين الاتصال المختلفة، والاختفاء التدريجي للحدود التي كانت تفصل بينها من قبل.

وهنا يشدد المؤلف على ضرورة إصدار دورية علمية للإعلام وتكنولوجيا الاتصال يشترك في تحريرها علماء الإعلام وهندسة الاتصال. وتكنولوجيا الاتصال، تقدم حواراً فعّالاً للوصول إلى إعلام فعّال تتكامل في أدائه الوسيلة والرسالة؛ لأن المطلوب هو الوصول إلى إعلامي عارف بالتكنولوجيا بقدر ما نريد المهندس المتمرس في أصول الإعلام؛ ذلك أن النقص في الخلفية الفنية يجعل المثقفين في هذه المجالات يُغفلون في الغالب علاقات على قدر كبير من الأهمية بين التطورات الاجتماعية والثقافية من جهة والتطور التقاني (التكنولوجي) من جهة أخرى.

كما يوصي الكاتب بتأسيس جمعية علمية باسم «الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال» تجمع بين علماء الإعلام والهندسة والاتصالات والمفكرين الإسلاميين، وتصدر عنها دورية، وإيفاد بعثات تدريبية منتظمة من وسائل الإعلام الإسلامية إلى الوسائل الإعلامية في الدول الغربية خاصة للتدرب على أحدث وسائل الإخراج والإعداد للبرامج الفعالة، وهو الأمر الذي يجب أن تقوم على إنجازه في الأصل - كما يقول المؤلف - دراسات الإعلام في جامعاتنا العربية والإسلامية من خلال إعداد الإعلامي إعداداً متكاملاً. وعلى حد قول بيتر دروكر: كيف يتأتى لنا أن نأمل في فهم «التكنولوجيا» من دون دراسة العمل وفهمه؟ وهنا يذكر د. شرف أن الأمر يقتضي توظيف الوسائل التقليدية والمستجدة في عالم الاتصال بين أنحاء العالم، وإنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها وموادها باللغتين الإنجليزية والفرنسية، إلى جانب العربية، ومواجهة الغزو الثقافي عن طريق المضمون عبر القنوات المحلية في البلاد الإسلامية، بهدف تحصين المتلقي ضد أي غزو فضائي أو غير فضائي من قنوات الاتصال والإعلام، وتأكيد الذات الثقافية في الأمة، والنهوض بالإعلام الإسلامي على الصعيدين المحلي والدولي.

وهنا يشير المؤلف إلى أن الإعلام الإسلامي لا يصطدم بطبيعة الإنسان وخصائصه الثمينة، ولا يحطمها ويكبتها. كما يقرر دكتور كاريل ذلك عن الحضارة المعاصرة وما تنطوي عليه من نظم في الحياة والإعلام وغير الإعلام.

ويقول: إن طبيعة «الرسالة» التي يسعى «المرسل» إلى توصيلها في الاتصال إلى المستقبل، هي محور الدراسة في الإعلام الإسلامي؛ لذلك تعنى دراسة المؤلف بطبيعة الرسالة من حيث الأغراض والوظائف والاستعمالات المختلفة للغة، ولولا أن كلمة «مستويات» كما يقول - علماء اللغة - توحي بصعيد أعلى وأسفل على منسوب قيم، لكان في وسعنا أن نقول: إن اللغة تؤدي وظائفها على مستويات مختلفة. وعلى ذلك فإن توظيف التقنيات الاتصالية من أجل إعلام إسلامي فعال، يؤدي إلى تحقيق أهداف التنمية الإنسانية، ويجسد تفاعل المجتمع مع نفسه.

الدعاية الصهيونية

ويتعرض المؤلف إلى الدعاية الصهيونية بوصفها خطراً على الإسلام لما تفرضه من قهر سياسي وقسر فكري وتمايز عنصري، ويتضح هذا المعنى في بروتوكولات حكماء صهيون، وسبيلها إلى ذلك السيطرة على وسائل الإعلام والاتصال في العالم كله، وفي أوربا وأمريكا بصفة خاصة، بهدف تحقيق الدعاية المنظمة التي تتوسل بأجهزة الإعلام والاتصال بالجماهير من أجل اغتصاب العقل البشري والسيطرة عليه، سواء أكانت هذه الأجهزة منظمات يهودية سافرة، أم منظمات اجتماعية سرية أو علنية، كالجمعيات الماسونية، وفرسان المعبد، وجماعات الصليب الوردي، والكباك، وغيرها من الهيئات والمنظمات والجمعيات التي تبثها الصهيونية، واستخدامها في إحداث الحرب النفسية، وإشاعة الفوضى، وزعزعة القيم الأخلاقية بمحاولاتها السيطرة على وسائل الإعلام كالإذاعة والصحافة والسينما ووكالات الأنباء.

اندماج ميادين الاتصال واختفاء الحدود بينها من أكثر السمات في تطور التقنيات الاتصالية

الأسس اللغوية لعلم المصطلح

محمود فهمي حجازي   مراجعة: محمد أحمد خضير

إن قضية المصطلحات العلمية قضية مهمة، أهمية العصر الذي نعيشه، والتقدم الذي يحيط بنا من كل جانب، ولقد استطاعت اللغة العربية في فترة تاريخية سابقة أن تكون أداة طيّعة لنقل العلم والحضارة، ثم تعرضت منذ فترة - ولاتزال - لهجوم أبنائها وغير أبنائها، متهمين إيّاها بالعجز والوقوف في طريق التقدم.

ولا تزال المجامع اللغوية العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تبذل جهودها التي تسعى إلى تنمية اللغة العربية، من دون أن ينظر إليها الكثيرون أو يُكلّفون أنفسهم عبء الاطلاع على ما تقوم به من جهود.

والكتاب الذي بين أيدينا يُلقي الضوء على ما تقوم به هذه الهيئات من جهد في مجال المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة والتعريب، وهو لا يكتفي بذلك، بل إنه يُفسّر تلك الجهود وما وراءها من أسس لغوية تسهم في تشكيل المصطلحات، ويسعى إلى التوحيد المعياري للمصطلحات العربية، كما يُبيّن وسائل الاقتراض المعجمي ودور المصطلح العلمي في التنمية اللغوية، وهو في كل ذلك يُعدّ مشاركة فاعلة في بحث قضية المصطلحات العلمية الحديثة في العالم.

يأتي هذا الكتاب بعد انتظار طويل، فمؤلفه يرتبط أشد الارتباط بالمجامع اللغوية العربية، ويشارك في أعمالها منذ أمد غير قصير، كما يشارك في تطوير برامج اللغة العربية في العالم العربي - وفي غيره - وله تلامذته في مجال علم اللغة العربية في الوطن العربي - وفي غيره أيضًا - الذين يرتبطون به، ويتابع إنتاجهم ويوجههم، ولهذا كله، فإن هذا الكتاب يصدر في مصر لكن جذوره تمتد في أكثر أقطار العربية.

نظر المؤلف في جهود المجمعيين في مصر والعراق وسورية والأردن، وأسعده ذلك الاهتمام الكبير باستخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي وفي بنوك المصطلحات في الرياض، وعرف عند نخبة من اللغويين والتونسيين عناية خاصة بعلم المصطلح، وبجهود المشارقة، وشارك المؤلف في أثناء عمله مستشاراً للمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة في أعمال مكتب تنسيق التعريب بالمغرب(١).

ولكل هذا يوجه المؤلف شكره لكل من كتب في علم المصطلح من مشارقة ومغاربة، ثم لخبراء مركز المصطلحات في فيينا بالنمسا، وخبراء مركز المصطلحات بشركة سيمنس في ميونيخ بألمانيا، ثم يأمل أن يكون هذا العمل مفيداً للباحثين من اللغويين والعلميين والمصطلحيين؛ والكتاب بالفعل يهم كل هؤلاء، كما أنه - في رأيي - مدخل علمي لقراءة جهود علمائنا الذين بذلوا الجهد والسنين الطويلة في خدمة لغتنا التي ننتمي إليها جميعاً.

الأصل اللغوي

جاء الكتاب في فصول ستة أولها بعنوان «علم المصطلح» وقد بدأ بالوقوف عند مادتي (صلح)، و(اصطلح) وأمثالهما في المعجمات العربية وفي الأحاديث النبوية؛ وكما عرض للمصطلح في اللغة العربية؛ فإنه يعرض له أيضًا في اللغات الأوربية، (في الإنجليزية والهولندية والدنماركية والنرويجية والسويدية ولغة ويلز والألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والروسية والبلغارية والرومانية والسلوفينية والتشيكية والبولندية والفنلندية)، ويؤصل للمصطلح في اللغتين اليونانية واللاتينية، ويرصد تحول دلالة الكلمات الدالة على المصطلح من الدلالة المادية إلى الدلالة المعنوية الاصطلاحية، ويعرض بالتحليل لتعريفات عربية وأوربية للمصطلح وخصائص تلك التعريفات، ثم يقول: إن المصطلح الواحد تتحدد دلالته بين مصطلحات التخصص الدقيق نفسه عن طريق مكانه بين المصطلحات الأخرى، أما الوسائل الصرفية لتكوين المصطلحات فيمكن أن تُعين بشكل ما على تحديد معنى المصطلح، ولكنها ليست المنطلق الأول لتحديد الدلالة(٢).

ويُفرّق بين لغات التخصص واللغة العامة بتوضيح سمات كل منهما، ويضع أيدينا على أهمية علم المصطلح حيث يعرض الجهود الدولية في عمل المصطلحات وتقنينها وتوحيدها في القرنين التاسع عشر والعشرين، كما يتحدث عن اهتمام الدول الصناعية المتنافسة بقضية المواصفات القياسية للمنتجات وبقضية المصطلحات الدالة على كل ما يتصل بالصناعة ثم يعرض لأهمية الحاسب الآلي والإفادة منه في هذا المجال، ونشأة بنوك المصطلحات في عدد كبير من الدول وفي مقدمتها بنك المصطلحات الكندي، وبنك المصطلحات التابع للمجموعة الأوربية، وقيام بعض المؤسسات الكبرى بإنشاء بنوك المصطلحات وفي مقدمتها شركة سيمنس الألمانية في ميونيخ.

مجالات علم المصطلح

ثم يحدد الكتاب مجالات علم المصطلح، ويُفرق بين علم المصطلح العام (أو النظرية العامة لعلم المصطلح)، وعلم المصطلح الخاص، ولكل منهما مجالاته التي يهتم بدراستها، ويتناول مرحلة تدوين المصطلحات والأسس المنهجية لتسجيلها، والوسائل المناسبة لتسجيل المصطلحات، التي تخضع في اختيارها لحاجة المتلقين من جهة ولحاجة العاملين في مجال المصطلحات من جهة أخرى. ولهذا فإنه «ينبغي تحديد مجموعات المستفيدين، ومنهم - مثلاً - المتخصصون العلميون والمترجمون واللغويون والعاملون في مجال المصطلحات(٣) للتعرف إلى الوسيلة المناسبة لنقل المصطلحات إليهم وعمل البرامج المناسبة لهم.

ويعرف الكتاب بالمنظمات والهيئات ومراكز المعلومات التي تهتم بالمصطلحات في العالم، وكذلك المؤتمرات الدولية وأعمالها. وإذا كان علم المصطلح فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقي، فإنه يختلف في منطلقاته الأساسية عن المنطلقات العامة للبحوث اللغوية الأساسية، ولعلم المصطلح صلة بالمنطق وعلم الوجود (الأنطولوجيا)، أما تطبيقاته فهي في كل مجال من مجالات المعرفة المختلفة.

مصطلحات التراث والمصطلحات المعاصرة

ثم يحدد الكتاب مجالين أساسيين للبحث في المصطلحات العربية، وهما: المصطلحات في التراث العربي، والمصطلحات في العصر الحديث، ويتطلب القيام ببحوث المصطلحات الواردة في الكتب العربية والمُعربة وجود طبعات مُزودة بكشافات مزدوجة اللغة، ولهذا، فإن تحقيق التراث العربي في مجالات الطب والرياضيات والفلك والنبات يتطلب تعاوناً تخصصياً لظهور هذه الكتب بشكل علمي. والقضايا الأساسية للبحث في المصطلحات هي المجالات المعروفة في البحث اللغوي، فمنها بنية المصطلحات ودلالة المصطلحات، وقضية تدوين المصطلحات، وإعداد المعجمات الخاصة بالمصطلحات، وتعد الدراسات اللغوية التاريخية للمصطلحات العربية جزءاً مهماً من تاريخ اللغة العربية، ومن تاريخ العلم، وقد أعدت في هذا المجال سلسلة من الرسائل الجامعية بإشراف مؤلف الكتاب تنتظر من يهتم بنشرها وتجميعها والإفادة مما فيها من مصطلحات، يضاف إلى ذلك البحث في تطور المصطلحات الحديثة، والدراسات اللغوية التقابلية. وتُعنى الدراسات اللغوية المقارنة بتأصيل المصطلحات العربية ببيان أصولها السامية أو غير السامية. ثم يتناول علم المصطلح العربي الأسس الخاصة بوضع المصطلحات على أساس معياري موحَّد للتخلص من تعدد المصطلحات واختلافها، وهي قضية حساسة اهتم بها المؤلف في الكتاب وأفرد لها فصلاً منه.

ينتقل الكتاب في الفصل الثاني إلى بنية المصطلحات حيث اتخذت المصطلحات العربية للتعبير عن العلم الحديث والحضارة الحديثة عدة أبنية صرفية، فيبحث قضية الاشتقاق حيث يختلف المقصود بالاشتقاق هنا عما قصده به القدماء «في توسيع القياس في الاشتقاق وفي تجاوز ما عرف عند النحاة بالمشتقات، وفي إمكان الاشتقاق من حروف المعاني ومن أسماء الأعيان».

التعبير عن المفاهيم المستحدثة

وإذا كانت العربية قد أفادت عبر تاريخها الطويل من الاشتقاق في تكوين كلمات عربية دالة على المفاهيم الجديدة، وفي تكوين مصطلحات علمية، وكلمات للحياة العامة من الألفاظ المولدة، وثبت بذلك أن الاشتقاق من أكثر طرق التنمية المعجمية فاعلية وأهمية، فإن عمل مجامع اللغة العربية في الاشتقاق يقصد إلى تكوين كلمات عربية لم تذكر في المعجمات العربية، وتصلح للتعبير عن المفاهيم المستحدثة في العلوم والصناعات، لأن تلك المعجمات تقف عند عصر الاحتجاج لا تتعداه إلى النظر فيما جاء من ألفاظ المولدين بعده، ومن هنا كان من الضروري أن ينظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تلك الألفاظ ويُقرَّ ما جرى منها على أقيسة كلام العرب - من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما، كاصطلاحات العلوم والصناعات مع الإفادة مما جاء عند النحاة واللغويين من خلاف، إذ نظر المجمع في ذلك بهدف الأخذ بالرأي النحوي الذي يعتمد على واقع اللغة في نصوصها الفصيحة، ويُمكّن في الوقت نفسه من الوفاء بالمتطلبات المعاصرة. تناول الكتاب بعد ذلك الأبنية الأساسية لتكوين المصطلحات، فعرض الضوابط القياسية لتكوين الأفعال التي لم تذكرها المعجمات العربية، وأهمية الأوزان الصرفية في تكوين المصطلحات الحديثة، وتوظيف إمكانات

الأسس اللغوية لعلم المصطلح
د.محمود فهمي حجازي
القاهرة: مكتبة غريب، ٢٥٨ص.

القرار اللغوي لا بد أن يكون قرارًا سياسيًا يحدد اتجاهًا واضحًا في الاستخدام اللغوي

أوزان الأفعال [(فعّل) و(أفعَل)، و(استَفعَل)، و(فعلَل)، و(تفعلَل)] في تكوين المصطلحات الحديثة المعربة، وقد اهتم مجمع اللغة العربية في القاهرة بإطلاق القياس في كثير من الصيغ معتمداً في ذلك على آراء بعض النحاة، ومن ذلك قياسية مصادر الفعل الثلاثي وأفعال المطاوعة؛ مما يمكّن من تكملة كلمات المواد اللغوية التي لم تذكرها المعجمات.

وكان النحاة قد عرفوا دلالة (فعالة) على الحرف والصناعات، ولكنهم اختلفوا حول قياسيته، وقد رأى المجمع إمكان الإفادة من هذا الوزن لتكوين كلمات جديدة، واشتقاق كلمات أخرى من ألفاظ غير عربية، واعتمد المجمع قياسية أوزان (فُعال) و(فَعيل) للدلالة على الصوت، وأفادت المصطلحات الطبية من أوزان مثل (فَعَل) و«(فُعال)، وكذلك (فُعالاني) مثل (صُدافاني)، و(افتعال)، و(انفعال) وغير ذلك، كما أفادت المصطلحات الحديثة من وزن أوزاناً أخرى، وأقرّ صحة وزن (فعّالة) مثل ثلاجة، وغسالة. وكذلك أفاد من وزن (مفعال) مقابلاً للاحقة SCOPE مفردة ومضافة. وأفاد أيضاً من وزن (فعّال) الدال على المنسوب إلى الصناعة، ووزن (مفعلة) للدلالة على المكان الذي يكثر فيه الشيء.

وقد أسهمت صيغ النَّسب المختلفة في تكوين المصطلحات وأفادوا من تنوعها في التمييز بين المصطلحات المختلفة، كذلك أفاد المجمع من إمكان النسب بزيادة الألف والنون من مثل (ربّاني) في تكوين مصطلحات علمية، وقد دعت ضرورات معاصرة إلى الأخذ بالرأي الذي يجيز النسب إلى لفظ الجمع لإرادة التمييز بين المصطلحات. وأجاز المجمع أيضاً النسب إلى ألفاظ العقود بإلحاق الياء مثل (العيد الخمسيني)، أما النسب إلى المصطلحات المركبة، فيتخذ طريقتين، إحداهما النسب إلى المصطلح كله مثل (رأسمالي)، والأخرى: النسب إلى كل كلمة من

الدول الكبرى أنشأت مؤسسات تعنى بقضايا الترجمة ووضعت مشروعات معجمية كثيرة تدعمها الحكومات

كلمات المصطلح المركب مثل (بطني تناسلي). وكذلك أفادت المصطلحات الحديثة من أوزان التصغير المختلفة.

(فَعُول)، و(فَعّالة) الدال على الصفة و(فَعَلان) الدال على التقلّب والاضطراب، و(مفاعلة)، و(فعال)، و(إفعال) وغيرها، وقد عرض الكتاب أمثلة كثيرة لتلك المصطلحات معتمداً على معجمات ومشيراً إلى ما أجازه المجمع من هذه المصطلحات معللاً سبب تلك الإجازة بالنظر إلى آراء القدماء والمحدثين.

يأتي بعد ذلك المصدر الصناعي وما له من أهمية في التعبير عن المذاهب والنظم والاتجاهات والمعنويات والظواهر الطبيعية وأسماء الأمراض والعلوم وغيرها. وتأتي أهمية المصدر الصناعي أيضاً من مرونته حيث يمكن إلحاق النهاية (يّة) بأنواع شتى من المفردات والتراكيب.

وقد أجاز المجمع جمع المصدر إذا اختلفت أنواعه، وجاءت على ذلك مصطلحات كثيرة سواء أكان جمع تكسير أم جمع مؤنث سالماً.

وفي الأوزان الدالة على اسم الآلة قرّر المجمع قياسية (مِفعل)، و(مِفعال) كما أضاف

ثم تناول الكتاب قضية النحت والتركيب في العصر الحديث من أوزان التصغير المختلفة.

توظيف النحت والتركيب

ثم تناول الكتاب قضية النحت والتركيب في العصر الحديث في إطار الإفادة من الإمكانات اللغوية المختلفة لصوغ المصطلحات العلمية والكلمات الحضارية. وقد تناولت كتب اللغة ظاهرة النحت - منذ الخليل - بأمثلة محدودة؛ أما مؤلفو كتب النحو فلم تعنهم أمثلته إلا قليلاً، وتحفّظ الفريقان تجاه قياسية النحت، ولقد أفادت اللغات الأوروبية من النحت في تكوين كلمات كثيرة للتعبير عن ظواهر طبيعية أو حضارية أو مصطلحات علمية، وأفادت اللغة العربية من هذه الصيغ المنحوتة في اللغات الأوروبية على سبيل الاقتراض والتعريب، ومال عدد من أبناء الشام إلى نحت كلمات عربية من عناصر عربية، ولم تُقبل مقترحاتهم في بعض الكلمات التي لم يقبلها الذوق العربي، وتحفّظ كثير من علماء العرب المعاصرين في قبول الألفاظ المنحوتة.

ووافق مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتحفّظ على نحت الكلمات العربية عند الضرورة، وأقرّ بعض المصطلحات المنحوتة، وتضمن المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام بعض المصطلحات المنحوتة، ويلاحظ وجود صيغ منحوتة من عناصر عربية، أو من عناصر عربية وأجنبية، أو من عناصر أجنبية، ولكن هذه الأنماط لم تستوعب المصطلحات الأوروبية المركبة.

وقد فرق الكتاب بين النحت والتركيب، وينقسم التركيب إلى: التركيب المزجي العربي، والتركيب الإضافي، والتركيب المزجي المختلط، وعرّف الكتاب الأنواع الثلاثة وعرض أمثلة من المصطلحات لكل نوع مع تحليل تراكيبها المختلفة، كما عرض عند التركيب المزجي المختلط المقابل الأجنبي المنقول عنه المصطلح، ووقف عند أهم النهايات الأجنبية المنقولة مع هذه المصطلحات من مثل (ات = ate) و (يت = ite) و(يك = ic)، ثم وقف بعد ذلك على الأسباب التي أدت إلى تعدد المصطلحات داخل المجموعة الواحدة(٤).

ويسعى الفصل الثالث من الكتاب إلى التوحيد المعياري للمصطلحات العربية، ومشكلة تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد من المشكلات التي تعوق حركتنا العلمية وتقف دون تواصل العلماء، وهي مشكلة ينبغي أن تُبحث «بهدف إزالة التعدد والوصول إلى التوحيد المعياري بقدر الإمكان توخياً للوضوح والدقة والمباشرة ومنعاً للتداخل»(٥).

أسس عامة

عرض الكتاب للجهود العالمية في هذا الصدد ثم وقف عند الأسس العامة التي وضعها رائد علم المصطلح العام فوستر من أجل البحث الهادف إلى التوحيد المعياري للمكونات اللغوية للمصطلحات، ثم بدأ تطبيقها معدّلة في بحث المصطلحات العربية فعرض في هذا الفصل السوابق ثم اللواحق الأوروبية الشائعة الاستخدام بهدف التوحيد المعياري.

وقد عرض لسابقة العدد وما يقابلها في اللغات الأخرى ووضع حلولاً للتوحيد المعياري

لبعضها(٦)، بينما وجد بعضها الآخر موحدًا. ثم عرض ما يُعبر عن مفهوم الضدية والتقابل في المصطلحات الأوروبية ونقلها إلى العربية، والمصطلحات التي تعبر عن مفهوم النفي، ثم المصطلحات التي تعبر عن مفهوم الاشتراك في صفة، والمصطلحات التي تعبر عن مفهوم التخالف، ثم مفهوم التساوي، ثم المصطلحات التي تُعبّر عن المناصفة والمشاركة في قدر من الصفات، ثم تعرّض لغير ذلك من تصنيفات للسوابق وأشار إلى توحُّدها المعياري، أو اقترح توحيدًا لها مع عرض المقابل الأجنبي والاستشهاد بمصطلحات متعددة من معجمات المصطلحات العربية المختلفة.

ثم عرض بعد ذلك اللواحق، ومما يدخل في ذلك المصطلحات الدالة على أسماء العلوم، والمصطلحات الدالة على أجهزة القياس، والمصطلحات التي عبّرت عن مفهوم الشَّبه في الخصائص، والدالة على مفهوم الإمكان وغيرها، ثم أشار إلى أن التعريب قد ساد في أسماء المواد الكيماوية.

وبهذا يضع الكتاب أيدينا على مواطن الاضطراب في ترجمة المصطلحات أو تعريبها، ويدلنا على سُبل توحيدها، واعتمد في أمثلته على ما جاء في معجمات المصطلحات العربية المختلفة فصنّفها وحلّلها ووضع الحلول الممكنة للتوحيد المعياري مراعيًا في ذلك طبيعة اللغة العربية والذوق العربي.

ويتناول الكتاب في الفصل الرابع الاقتراض المعجمي، ويقرر أولاً أن الاقتراض المعجمي من أقدم الظواهر في تاريخ اللغات، ويأتي بأمثلة منه في اللغات المختلفة، ثم يقول: إنه مع دخول منتجات الحضارة الأوروبية إلى المنطقة العربية دخلت كلماتٌ أوروبيةُ الاستخدام اليومي في العالم العربي. ولهذا تُعدُّ ظاهرة الاقتراض المعجمي نتيجة للاحتكاك الحضاري ولها جوانبها اللغوية وغير اللغوية(٧).

الاقتراض اللغوي

ثم عرض الكتاب للاهتمام بموضوع التعريب عند القدماء والمحدثين وقرار المجمع بجواز أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم؛ وعرض للآراء المتنوعة في موضوع التعريب بين التحفظ والاتساع، وقد وقف المجمع عند المصطلحات الدالة على مذاهب أدبية أو فنية حديثة نشأت في البلدان الأوروبية، وأخذ بالتعريب والترجمة معًا في أكثر هذه الكلمات، ولكن هذه الكلمات تطرح عند تعريبها قضية الصيغة التي تُتَّخذ أساسًا للتعريب، وهو ما وقف عنده الكتاب فحلّل الصيغ في ضوء لغاتها وفي ضوء اللغات السامية، كما وقف عند بعض الكلمات وبحث جدوى التعريب أو الترجمة.

إن التعريب عن طريق الاقتراض اللغوي يكون في حالات بأعيانها هو الحل المفضّل، وقد اتضح هذا عند النظر في عدد من المصطلحات العلمية، عرضها الكتاب وحلّل موقف المجمع منها، ثم قال إنه قد ساد اتجاه بأن يكون التعريب في أضيق الحدود، وكان الاتجاه إلى الأخذ بالتعريب يواجَه دائمًا بتحفُّظات كثيرة. وفي التعريب تُراعى قواعد النسب العربية للكلمات الدخيلة، وهناك اتجاه لتفضيل الكلمة العربية على الكلمة المعرَّبة تُسانده السليقة العربية التي تنبذ الكلمات المعرَّبة عندما يظهر المقابل العربي المناسب.

معجم موحد

بحث الكتاب في المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في التعليم العام في المؤتمر الثاني للتعريب ١٩٧٣م، ومجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي أصدرها مجمع اللغة العربية، فوجد أن المجالات الدلالية للمصطلحات المعربة تتضمن أسماء الأجهزة والآلات التي يُلاحظ كثرة الألفاظ المعرَّبة الدالة عليها، وأسماء العناصر الكيماوية ذات الأسماء الدولية وهي الغالبيةالمطلقة منها، وتوجد بعض الأسماء العربية الموروثة مثل النحاس والذهب، أما باقي أسماء العناصر الكيماوية فقد عرض الكتاب قواعد تعريبها، وكذلك الأحماض والأملاح والمركبات المختلفة، ووحدات القياس المستخدمة في العلوم المختلفة، وهي وحدات يتم التعامل العلمي والتقني بها على مستوى عالمي مقَنَّن، وبعضها منسوب إلى أسماء أعلام، كما تضم الألفاظ المعرَّبة مصطلحات علمية أساسية تُستخدم عند الباحثين في دول العالم المختلفة، وتُعدُّ من الرصيد العالمي المشترك للتعبير العلمي، وكذلك مفاهيم منسوبة إلى أسماء الأعلام، وقد أقرَّ المجمع تعريب المصطلحات الدالة على التيارات الفكرية المنسوبة إلى أشخاص نُسبت إليهم في كل اللغات، وأصبحت من الرصيد العالمي للمصطلحات، إلى جانب الأسماء العلمية الدالة على كائنات حيوانية أوأجزائها، أو كائنات نباتية أو أجزائها، أو على مؤسسات بعينها، أو مصطلحات أساسية في الفكر العالمي، أو مصطلحات دولية اقتصادية معاصرة، أو المصطلحات التي تعتمد على الأبجديات الأوروبية، وأخيرًا المختصرات الدولية التي تكوّنت في لغات أجنبية ثم عُرّبت، أما المختصرات التي تكوّنت في الدول العربية، فإن استخدامها نادر.

وهناك جهود كثيرة تسعى إلى التوحيد المعياري في مجال تدوين الأصوات الأجنبية بحروف عربية، ويرجع الاختلاف في تدوين الحروف إلى اختلاف اللغات المنقولة عنها الأسماء المعرَّبة، واختلاف نطق تلك الحروف، وهناك مصطلحات معرَّبة في التراث العلمي العربي يدخل فيها الوسيط السرياني ويؤثر في كتابة حروفها، وقد أشار الكتاب إلى الاختلاف بحسب المصدر الذي تمت عنه الترجمات العربية، وإلى القواعد التي اتخذها المجمع في ذلك وتعديلاتها. ثم عرض الكتاب الأسس المنهجية التي يقوم عليها التوحيد المعياري لتدوين الأصوات في المصطلحات المعرَّبة، وقد لاحظ كذلك الاختلاف الصوتي بين اللغة العربية واللغات المقترض منها المصطلحات؛ فقد يكون في تلك اللغات صوت لا مثيل له في العربية، وكذلك تختلف النظم الصوتية للغات من حيث نظام الحركات، ولهذا، فإن التعريب يُحدث تغيُّرًا في بنية الكلمات عند وضعها في قالب عربي، وقد عرض الكتاب أمثلة كثيرة لذلك.

المصطلحات والغنى اللغوي

يتناول الفصل الخامس علاقة المصطلحات بالتنمية اللغوية، وترجع الأهمية المعاصرة للمصطلحات في التنمية اللغوية وضرورة إنشاء بنوك المصطلحات إلى عدة عوامل، في مقدمتها

تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد من المشكلات التي تعوق حركتنا العلمية وتقف دون تواصل العلماء

كثرة الإنتاج العالمي من الكتب والأهمية المتزايدة للترجمة.

وقد عرض الكتاب إحصاء بإنتاج الكتب في العالم، وتناول موقع الكتاب العربي بين الكتب العالمية، وكذلك عناية دول العالم المختلفة بالترجمة وحجم الكتب المترجمة، وأهمية الترجمة للثقافة والتقدم، ونخرج من الإحصاء بأن حركة الترجمة في الدول العربية دون المستوى المنشود من حيث الكم. وتأتي أهمية المصطلحات في عملية الترجمة في إمكان توافرها على نحو مُنظّم ومقنّن وكافٍ بين أيدي المترجمين، وقد أنشأت الدول الكبرى مؤسسات تعنى بقضايا الترجمة، ووضعت مشروعات معجمية كثيرة بدعم من الحكومات المعنية.

وتحدث الكتاب أيضاً عن أهمية الترجمة في إطار التعاون الدولي، وفي المؤتمرات واجتماعات الخبراء والندوات المتخصصة وأهمية المصطلحات في تلك الترجمات، وعن اهتمام المنظمات الدولية العالمية والإقليمية بقضايا المصطلحات، ثم تحدث عن أهمية الخدمات اللغوية في مؤسسات الأمم المتحدة، وعن دخول اللغة العربية لغة رسمية بين لغات العالم في تلك المؤسسات، وما يتطلبه ذلك من متطلبات لغوية في مجال المصطلحات والترجمة، وإعداد المعجمات المتخصصة التي تفي بحاجات العمل المتنوعة في المنظمات الدولية.

وطالب الكتاب بأن يكون القرار اللغوي قراراً سياسياً على أعلى مستوى مُلزماً بتحديد اتجاه واضح في الاستخدام اللغوي في إطار خطة لغوية شاملة، ويكون القرار موجهاً إلى الوزارات والمؤسسات والشركات والجمعيات والنقابات وغيرها، وكذلك بالنسبة إلى الوثائق والمذكرات والمكاتبات والسجلات والمحاضر والعقود.. إلخ، بل إن هذه الخطة الشاملة ينبغي أن تكون على مستوى العالم العربي الذي توحده اللغة العربية.

اللغة العربية في الجامعة

ويُنبّه الكتاب على أهمية وضع التوصيات الخاصة باتخاذ اللغة العربية لغة للتدريس في الكليات أو المعاهد العالية موضع التنفيذ، واتخاذ التدابير اللازمة لذلك، وكذلك استخدام اللغة العربية السليمة في كل ما تنشره وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة.

ولقد أدى نمو العلاقات الاقتصادية الدولية إلى زيادة حجم الترجمة المتخصصة في مجالات القانون والاقتصاد، وهناك ضرورة في العالم العربي المعاصر لتنمية علاقاته بدول العالم الإسلامي وبغيرها، وللمصطلحات أهميتها في ترجمة ما تحتاج إليه تلك العلاقات، وينبغي عندئذ الاهتمام بالمترجمين وإعدادهم إعداداً سليماً.

والمصطلحات من أدوات التعبير العلمي ولها دورها الكبير في تدوين الملاحظات ووضع الافتراضات وتكوين النظريات، من هنا فقد أكد الكتاب أن يكون المصطلح العلمي دقيقاً حتى تزول الحواجز اللغوية التي تعوق التفاهم بين المتخصصين في كل فرع من فروع المعرفة، وحتى يستطيع المتخصص التعبير عن معرفته العلمية بلغة واضحة.

واهتم اللغويون بقضية المصطلحات في مجال تعليم اللغات لغير أبنائها، وزاد الاهتمام بتعليم اللغة العربية لأبناء اللغات الأخرى، وقامت لذلك عدة مؤسسات في الدول العربية، ومن الضروري بناء مقررات لتعليم العربية لأغراض خاصة، تُلبي حاجة الدارسين. وهناك قدر كبير من المصطلحات التي تتطلبها التخصصات المختلفة تُكتسب في أثناء عملية التعليم في المواد التخصصية، وقد كثُرت الدراسات اللغوية الإحصائية التخصصية التي تهتم بإحصاء الكلمات الأكثر شيوعاً في تلك النصوص. ويُعدُّ تحديد المصطلحات العلمية الأساسية مُنطلقاً مُهماً لبناء المقررات.

وقد زاد الاهتمام بالمصطلحات كذلك في مجال التعليم العام لأبناء اللغة القومية، ومن الضروري ضبط المصطلحات في الكتب المقررة على التلميذ في الفصل الدراسي الواحد. وهناك محاولات لإصلاح الكتاب المدرسي اعتماداً على نوع من ضبط المصطلحات. وللمصطلحات كذلك أهمية في المدارس المهنية فهي أداة إتقان المادة النظرية، وهي ضرورية في التسمية الدقيقة للمواد والأدوات ومراحل العمل، ولهذا، كله فإن المصطلح يُعدُّ محوراً مُهماً في العملية التعليمية.

إن نسبة المصطلحات التخصصية التي تدخل اللغة العامة في زيادة مطّردة، وهي ترِد في وسائل الاتصال الجماهيري وتكثر في حوار المثقفين، كما أن للصناعة دوراً كبيراً في تحوّل كثير من الحقائق العلمية إلى منتجات، ولهذه المنتجات تسميات لغوية تنتقل المصطلحات الدالة عليها من لغة التخصص إلى اللغة العامة عندما تكون هذه المنتجات قد صُنعت للإنسان لاستهلاكها في حياته اليومية، وكذلك انتقلت مصطلحات من مجال العلوم والطب والسياسة وغيرها إلى اللغة العامة بطرق مختلفة.

ولكل ما سبق، فقد أصبح من الضروري أن تنظم البرامج المناسبة لإعداد المتخصصين في المصطلحات وتدريبهم، وقد زادت العناية بتدريس علم المصطلح وأصبحت مقرراته تُقدَّم في الجامعات. وفي المنطقة العربية اقتصر الاهتمام بعلم المصطلح على الجهود التطبيقية في المؤسسات والمجامع اللغوية والعلمية، أما المترجمون فهم - بصفة عامة - لم يؤهلوا للترجمة التخصصية التي تُعينهم على نقل ما يترجمونه بدقة ووضوح.

ظاهرة الاقتراض اللغوي من جوانب الاحتكاك الحضاري، ولها جوانبها اللغوية وغير اللغوية

المصطلحات اللغوية وتطورها

أما الفصل السادس والأخير فهو بعنوان «قضية المصطلح العربي الحديث في علوم اللغة»، وقد أُلقي ملخصه في الحلقة الدراسية: مشكلات المصطلح الأدبي واللغوي، التي عقدها المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٧ - ٨ أيار/مايو ١٩٨٦م، ويبدأ هذا الفصل بمدخل تاريخي يتناول تاريخ تكوين المصطلحات اللغوية المعاصرة منذ البدايات الأولى عند الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٢م)، مروراً بالشدياق وجرجي زيدان وإبراهيم اليازجي. وأنستاس الكرملي والمستشرقين، ودور الجامعة المصرية في بدايتها، ثم دور جامعات المشرق العربي وجهود المدرسة السامية المقارنة ومن يُمثلها في المشرق، والمدرسة اللغوية التي ارتبطت بإبراهيم أنيس،

وكان مؤلف هذا الكتاب واضع مصطلحات كثيرة في مجال علم اللغة، إلى جانب ما تضمنته كتب هؤلاء وترجماتهم من كشافات بالمصطلحات.

وتناول الكتاب بعد ذلك مصطلحات اللغويين اللبنانيين التي تتفق إلى حد بعيد مع مصطلحات اللغويين في مصر والعراق، ثم تناول المصطلحات في تونس وجهود رشاد الحمزاوي وصالح القرمادي، لكن ضعف الصلة بين جامعات المشرق والمغرب كان سبباً في عدم الإفادة الجادة من تجارب المشرق.

تحدث الكتاب عن مصادر المصطلحات وأولها مصادر تراثية أفاد منها علم الأصوات حيث اهتم المستشرقون الأوربيون بما كتبه العرب في تصنيف أصوات العربية، إلى جانب الكتب والبحوث المنشورة بالعربية في هذا المجال التي كتبها مؤلفون وثيقو الصلة بالمصطلحات التراثية في البحث الصوتي، لكن بعض المصطلحات التي تضمها المعجمات المتخصصة خالفت -لسبب أو لآخر- ما عرفه التراث اللغوي العربي من مصطلحات، وأغلب الظن أن تجنُّب المصطلحات التراثية -في كثير من الحالات- لم يقم على أساس علمي.

وقد ثبت أنه من الضروري الاهتمام بقضية المصطلحات المستخدمة في التراث اللغوي العربي وفي كتب التراث الأخرى المتصلة بقضايا اللغة، ولهذا أُعدَّت بالفعل أبواب كبيرة في عدد من الرسائل الجامعية تناولت مجموعة المصطلحات التي يتناولها البحث، وتُعَدُّ دراساتٌ أخرى تهتم بالمصطلحات العربية في علوم اللغة حصراً وتأريخاً وإعداداً معجمياً.

والمصدر الثاني هو الاشتقاق؛ وقد أفاد البحث اللغوي الحديث من عدة أبنية لتكوين كلمات جديدة تعبر عن مفاهيم مستحدثة، وفي مقدمتها أبنية المصادر والمصدر الصناعي الذي تَكْمُنُ مشكلته في دلالة صيغته، فهي تدل على المذاهب والاتجاهات، كما تدل على العلوم ومجالاتها، ويرفض الكثير من اللغويين استخدامه لدلالتين مختلفتين، ويرون تحديد دلالته للتعبير عن المذاهب والاتجاهات. وإلى جانب ذلك نجد ثلاثة أوزان مصدرية تكونت بها مصطلحات جديدة في علوم اللغة، والمهم هو الاتفاق على دلالة كل كلمة لكي تصبح من المصطلحات. أما المصدر الثالث فهو الاقتراض المعجمي الذي يتضح في مجموعة من المصطلحات الدالة على علوم جديدة، وفي تسمية الأجهزة التي يفيد منها الباحثون في دراسة الأصوات وطرق استخدامها، وهناك مصطلحات مستقرة في مجامع اللغة العربية حاول بعض المغاربة تجنُّبها بأخذ المصطلح الدخيل وتفضيله على المصطلح العربي، كما تكونت مصطلحات مركبة عن طريق الترجمة المباشرة لمكونات المصطلح الأوربي المركب، وكذلك بعض المصطلحات مركب على نحو يحذفُ حرفاً من حروف الكلمة الأولى ويكوِّن من الكلمتين تركيباً يُشْبِهُ النحت، وهذه المصطلحات غريبة عن النمط اللغوي العربي في تكوين المصطلحات، ولم يُكتَب لها القبول عند المتخصصين في علوم اللغة.

ويعرض الكتاب بعد ذلك المشكلات التي تعوق المصطلح عن تأدية وظيفته في التواصل بين العلماء في داخل التخصص حتى لو اتصف المصطلح المقترح بالصحة اللغوية، ومن هذه المشكلات استخدام المصطلح التراثي لمفهوم جديد يختلف عن مفهومه في التراث، واستخدام كلمتين مختلفتين أو عدة كلمات لمفهوم واحد، أو عكس ذلك استخدام الكلمة الواحدة لمفهومين أو مفاهيم مختلفة، أو عدم الإفادة من التراث العربي في علم اللغة، وكذلك عدم الإفادة مما استقر من أسماء العلوم الإنسانية، وضرورة التوحيد المعياري لترجمة المصطلحات المركبة في علوم اللغة، وتعدُّد الأخطاء التي تضمها المعجمات المتخصصة في مصطلحات علم اللغة عند ذكرها لأسماء اللغات، وعدم توحيد الطريقة التي تُدون بها أسماء الأعلام من اللغويين في ترجمة كتب علم اللغة، والخلط بين المادة التي تُبحثُ والباحثين المتخصصين فيها في بعض الترجمات والمؤلفات.

مستقبل المصطلح العربي

وأخيراً يستشرف الكتاب آفاق المستقبل في مجال مصطلحات علم اللغة العربية، ومن أهم هذه الآفاق الإفادة من رصيد المصطلحات التراثية في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة، وعدم الاقتصار على المصطلحات الأساسية وتجاوزها إلى مصطلحات أكثر عُمقاً، وضرورة حصر مصطلحات التخصص الدقيق الواحد لا النظر الجزئي في المصطلح المفرد بهدف إيجاد المقابل العربي له، وعمل معجمات لمصطحات

آفاق غير محدودة للإفادة من المصطلحات التراثية في إيجاد مصطلحات لغوية حديثة

العلوم اللغوية المستخدمة في الكتب والدوريات المتخصصة والدوريات الثقافية، ووضع المصطلحات المعيارية موضع التنفيذ في إطار خطة متكاملة لترجمة المؤلفات الأساسية في علم اللغة العربية، وأخيراً الإفادة المتبادلة من المصطلحات التي تَرِد في كتب علم اللغة كما ترد في كتب العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ويختتم الكتاب بعد ذلك بملحقات ثلاثة أولها يتضمن القواعد العامة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال المصطلحات، والثاني: يتضمن منهج تنفيذ المشروعات المعجمية للمصطلحات في مكتب تنسيق التعريب بالرباط، والثالث: يتضمن المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها في ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي (الرباط ١٨ ـ ٢٠/ ٢/ ١٩٨١م).

وذُيِّل الكتاب بعد ذلك بمراجع مختارة في علم المصطلح باللغة العربية وباللغات الأوربية، كما رصد أهم الدوريات العربية والأوربية.

والكتاب بهذا عمل مفيد لأطراف كثيرة من العلماء والمتخصصين، سواء أولئك المهتمون بعلم اللغة أو بعمل المصطلحات في المجامع اللغوية وغيرها، أو لطلاب العلم الذين يطمحون إلى البحث في مجال المصطلحات، وهو لا يُشكِّل لبنة أساسية في بناء المكتبة العربية فحسب، بل إنه يُشكل ركناً أساسياً في مجال دراسة المصطلَحات على المستوى العالمي.

المراجع

١. الأسس اللغوية لعلم المصطلح، المقدمة ٥ ـ ٦.
٢. نفسه ص١٣.
٣. نفسه ٢١.
٤. نفسه ٧٨.
٥ ـ نفسه ٩٠.
٦. نفسه ٩٦.
٧. نفسه ١٤٧.

التصحر: تدهور الأراضي في المناطق الجافة

محمد عبدالفتاح القصاص   مراجعة قسم التحرير

برز مصطلح التصحر إلى الوجود، وشدّ انتباه العالم عندما تعرض النطاق الإفريقي (الممتد جنوب الصحراء الإفريقية الكبرى من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر) لفترة جفاف امتدت من عام ١٩٦٩م إلى عام ١٩٨٤م، وقد نفقت المواشي، ومات الزرع، وتشرد كثير من البشر، وبادرت الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر بهذا الخصوص في عام ١٩٧٧م، وتوجّت جهودها بتوقيع الاتفاقية الدولية للتصحر في عام ١٩٩٤م، وقد عرّفت هذه الاتفاقية التصحّر بأنه «تدهور الأرض في المناطق الجافة، وشبه الجافة، وتحت الرطبة وينتج من عوامل عدة، منها: تغيرات المناخ، ونشاط الإنسان.

تعرّض المؤلف في هذا الكتاب لقضية التصحّر من النواحي والأسس البيئية والاجتماعية التي تتسبب في تدهور الأرض، وشرح أسباب هذا التدهور. ثم تعرض لقضايا التصحر في العالم مخصصًا جزءًا كاملاً للحديث عن التصحر في العالم العربي، ثم ناقش جهود الأمم المتحدة ومنظماتها في التصدي لهذا الخطر الداهم.

تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه يسعى إلى نشر الوعي لدى الإنسان العربي، وتنبيهه على أهمية المحافظة على عافية الأرض الزراعية، والحفاظ عليها من الجفاف والتصحر الذي يؤثر في معدلات التنمية الغذائية، في وقت أصبح فيه الغذاء سلاحًا فعّالاً ومؤثرًا في مجريات الأحداث في العالم.



نقص الغطاء النباتي من مظاهر مشكلة التصحر

يقع الكتاب في ٢٢٥ صفحة موزعة على مقدمة، وستة أجزاء، وخاتمة.

الجزء الأول من الكتاب خاص بالمناطق الجافة، وفيه تعرض الكاتب للجفاف، وجغرافية المناطق الجافة، فالجفاف صفة جغرافية لمناطق من العالم تكون بها موارد المياه من التساقط أقل من كمية الماء التي يمكن أن تذهب بها قوى البخر والنتح. ثم تحدث بعد ذلك عن المناخ في إفريقية، وتباين كم التساقط، والتباين الفصلي والسنوي، ونوبات الجفاف، والتباين المكاني، والأراضي الجافة، والمرتفعات خاتمًا هذا الجزء بالحديث عن برنامج اليونسكو لدراسات المناطق الجافة.

أما الجزء الثاني من الكتاب فكان عن تدهور الأراضي: فمفهوم تدهور الأرض مفهوم صعب التعريف؛ لأن له أكثر من وجه، فالمعنى القريب هو تدني الأرض في درجات الفائدة الإنتاجية الزراعية، وتقدير الإنسان للأرض يكون على ثلاث مراتب:

- أرض صالحة ومستخدمة ومنتجة.
- أرض يمكن أن تستصلح وتنتج.
- أرض عاطلة تبدو غير ذات فائدة.

وقد حار العلماء في كيفية التقدير الكمي لتدهور الأرض (التصحر)، وكل التقديرات التي نقرؤها في البحوث هي تقديرات اجتهادية تعتمد على الخبرة، وقد حاول الباحثون التغلب على هذه المشكلة بالاعتماد على الصور الفضائية لمناطق الأراضي الجافة التي رُصدت في سنوات متباعدة، وقد أُنشئ مرصد (مرصد الساهل) تشارك فيه فرنسا، وبعض الدول الإفريقية، والشرق أوسطية، ويسعى إلى بناء قاعدة بيانات تتجاوز هذا القصور، والتقديرات التالية هي أفضل ما وصل إلينا لحجم مشكلة التصحر في العالم:

- **أدلة طبيعية (فيزيقية)**: ومنها:

نقص في عمق التربة، ونقص في محتوى المادة العضوية في التربة، ونقص في خصوبة التربة، وتكوّن قشرة صلبة على سطح التربة، وزيادة الأتربة في الهواء،

وزيادة العواصف الترابية، وزيادة في تكوّن الكثبان الرملية، وفي معدل تحركاتها، وتملّح التربة، أو تحولها إلى القلوية، وتدني نوعية المياه الأرضية، ونقص كمياتها، وتدني نوعية المياه السطحية، ونقص كمياتها، وتغير نسبة ما ينعكس من الطاقة عن سطح الأرض (البيدو).

- أدلة أحيائية (بيولوجية):

أولاً: الغطاء النباتي: ويشتمل على:

نقص الغطاء النباتي، ونقص كمية الكتلة الحية فوق سطح الأرض، ونقص المحصول، وتغير في أنواع النبات الرئيسة، وتوزيعها، وكم نموها، وفشل بعض الأنواع في التكاثر.

ثانياً: حياة الحيوان: وتشتمل على:

تغير في أنواع الحيوان الرئيسة، وتوزيعها، ونموها، وتغير في أعداد الحيوانات المستأنسة، وتغير في تركيب القطيع، ونقص الإنتاج الحيواني.

- أدلة اجتماعية واقتصادية: ويقصد بها:

تغير في استخدام الأرض، وفي استخدام المياه، وتغير في نمط المستقرات/ هجرة القرى، وتغير في المقاييس البيولوجية للسكان، وتغير في أحوال الصحة العامة والهجرة، وتغير في الأصول والأوضاع الاجتماعية، وتزايد التوتر في العلاقات بين مجموعات السكان.

وتناول الكتاب بعد ذلك موارد المياه في المناطق الجافة، **وأوضح أن مصادر المياه المتاحة في هذه المناطق هي:**

- الأمطار القليلة والمتغيرة من سنة إلى سنة.

- المياه الجوفية المختزنة في باطن الأرض.

- مياه الأنهار التي تحمل المياه من مناطق مطيرة وبعيدة إلى مناطق جافة (مثال نهر النيل الذي يحمل مياه المناطق الاستوائية «الهضبة الإفريقية» والموسمية «الهضبة الإثيوبية» عبر السودان وصحاريه الشمالية إلى مصر.

ويمكن أن نضيف إلى هذه المصادر الثلاثة مياه التحلية التي تستخلص من مياه البحر، ومياه الصرف الصحي بعد معالجتها.

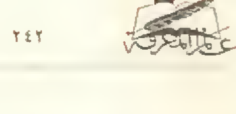
ثم تناول موارد المياه في المنطقة العربية، فأوضح أن المنطقة تطل على عدة بحار، وقدرت شواطئها بنحو ٢٢٨٧٠ كيلو متراً، كما قدّر إجمالي مياه الأمطار التي تسقط عليها بنحو ١٩٢٦ مليار متر مكعب في السنة.

ثم ختم هذا الجزء من الكتاب بالحديث عن تدهور الأراضي في الزراعة المروية والمطرية، وفي المراعي.

منظمة الأمم المتحدة وجهودها لمعالجة التصحر

في الجزء الثالث من الكتاب عرضٌ لمشكلة التصحّر في العالم وتناولٌ لجهود منظمات الأمم المتحدة المعنية بقضايا الأراضي الجافة والتصحر (برنامج الأمم المتحدة للبيئة بالتعاون مع منظمات الأمم المتحدة للغذاء والزراعة والأرصاد الجوية والتربية والعلوم والثقافة)، ثم استعراض لمشكلة التصحر في باقي دول العالم وقاراته: أستراليا، وإفريقية، وأمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وآسيا، مع دراسة حالات فردية لبعض البلدان في قارات مختلفة.

أما الجزء الرابع وهو أهم أجزاء الكتاب - فقد أفرده المؤلف للحديث عن التصحّر في الأقاليم العربية. ففي هذا الجزء تحدث عن التصحر في الأقاليم العربية ذاكراً الموارد الطبيعية والجغرافية لكل بلد، ومستعرضاً



٢٤٢

التَّصَحُّر

تدهور الأراضي في المناطق الجافة

تأليف: د. محمد عبدالفتاح القصاص

التصحر: تدهور الأراضي في المناطق الجافة

د. محمد عبدالفتاح القصاص

الكويت: عالم المعرفة، شوال ١٤١٩هـ، فبراير/شباط ١٩٩٩م، ٢٥٣ص.

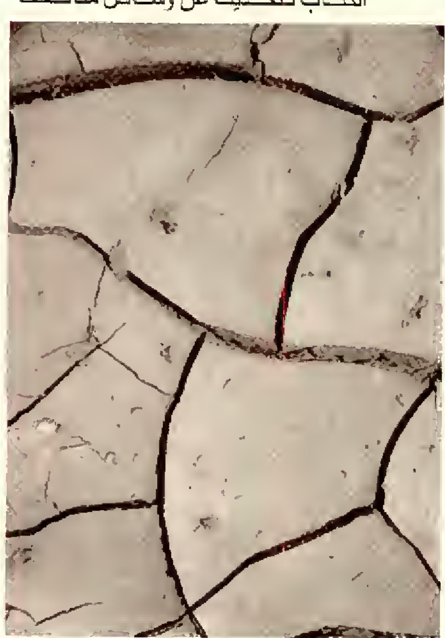
مفهوم تدهور الأرض مفهوم صعب التعريف لأن له أكثر من وجه



التصحر عامل طرد للإنسان

أسباب التصحر ومظاهره، وبرامج مكافحته، وقدم تفصيلاً لهذه الظاهرة في كل من: الأردن، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة البحرين، والجمهورية التونسية، والجمهورية الجزائرية، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية السودان، وسورية، والصومال، والعراق، وسلطنة عمان، ودولة فلسطين، وقطر، والكويت، ولبنان، والجماهيرية الليبية، ومصر، وموريتانيا، وجمهورية اليمن.

وخصص الجزء الخامس من هذا الكتاب للحديث عن وسائل مكافحة



استصلاح الأراضي التي تصحرت من وسائل مكافحة الجفاف

التصحر؛ فمكافحة التصحر تعني منع تدهور الأراضي التي تنتج الأخشاب والأحطاب والكلأ والمحاصيل، وتعني - في اللغة التي أشاعها مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية الذي عقد عام ١٩٩٢م - : «أن تكون تنمية موارد الأرض في المناطق الجافة وشبه الجافة تنمية متواصلة (مستديمة)».

وسائل محاربة التصحر

ذكر المؤلف عدداً من الوسائل التي تساعد على محاربة التصحر، فبالنسبة إلى الغابات تكون مكافحة التصحر بصون ما تبقى من نمو الأشجار والشجيرات، واستزراع الأشجار. **وللتشجير عدة فوائد منها:**

- إقامة الأحزمة الواقية، ومصدات الرياح بقصد حماية التربة من أثر الرياح.
- تحسين المراعي من ناحيتي حماية أراضي المراعي من التعرية، وإضافة موارد رعوية تتيح الكلأ في السنوات الجافة (الشحيحة المطر).
- إتاحة مصدر للوقود بزراعة الأشجار قرب القرى، والمناطق السكنية.

أما بالنسبة إلى المراعي فقد تمثلت في:

- تنظيم الرعي من ناحيتي عدد الحيوانات في وحدة المساحة، ومدة بقاء الحيوانات في المرعى.
- تحقيق تكامل بين موارد المراعي الطبيعية والموارد الإضافية لغذاء الماشية.
- العمل المتصل على تحسين المراعي الطبيعية باستنبات أنواع من نباتات العلف.
- محاولة استصلاح أراض جديدة؛ وذلك لتوسيع الرقعة.
- تحسين نوعية العلف.

أما الزراعة المطرية فتكون في:

- زراعة خطوط من الأشجار أو الشجيرات (سواتر) للتخفيف من فعل الرياح، وأثرها في سطح التربة.
- عدم استخدام المحاريث القلابة، والاعتماد على الحراثة السطحية والمحدودة، التي تكفي لخلط مخلفات المحصول مع التربة.
- العمل على زيادة المخلفات العضوية في الحقل، بالتسميد العضوي.
- توجد مواد إضافية (مستحلبات غروية، بلمرات) ترش على سطح التربة، فتزيد من مقاومة التربة للانجراف.
- إقامة سدود على مجاري الوديان التي تتجمع فيها مياه السيول.

ثم أبان المؤلف أهمية الزراعة المروية في المناطق الجافة إذا توافرت موارد للمياه من الأنهار، أو المياه الأرضية. فالزراعة المروية سخية العطاء، ويبلغ إنتاجها أضعاف إنتاج الزراعة المطرية. وقد قدرت الأراضي الزراعية المروية في الأقاليم العربية بنحو ٧ر٧ ملايين هكتار.

وتصحر أراضي الزراعة المروية هو تدهور الأرض الذي ينتج من اختلال التوازن بين الري والصرف، **ومكافحة التصحر هنا تكون بترشيد الري، وزيادة كفاءة الصرف؛ وذلك بالاعتماد على الوسائل الآتية:**

- تطوير شبكات الري.
- تدقيق تسوية أرض الحقل.
- التحول إلى وسائل الري الحديثة بديلاً عن الري بالغمر السائد حالياً في كثير من الزراعات المروية.

وتعرض المؤلف بعد ذلك لمخاطر الرمال المتحركة، وتحدث عن الوسائل المتبعة في محاربتها، والتي تندرج في مجموعتين:

- **وسائل ميكانيكية:** وهي إنشاء حواجز (كاسرات رياح) قليلة الارتفاع.
- **وسائل بيولوجية:** وهي استزراع أنواع معينة من النباتات لها القدرة على تثبيت الطبقات السطحية من الرمال.

أما الوسائل الاقتصادية في مكافحة التصحر فتتمثل في إنفاق مبالغ طائلة دعماً للمزارعين لعونهم على البقاء والاستقرار في بيئاتهم الجافة الشحيحة المياه. وهذا الجهد متصل بالجهد العالمي لتنفيذ البرامج الدولية لمكافحة التصحر على نحو ما خطط له مؤتمر الأمم المتحدة للتصحر عام ١٩٧٧م، وقد ورد ذلك في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر. وتنص المادة ١- الفقرة ب: يتضمن مصطلح «مكافحة التصحر» الأنشطة التي تشكل جزءاً في التنمية المتكاملة للأراضي في المناطق القاحلة، وشبه القاحلة، وشبه الرطبة الجافة من أجل التنمية المستديمة، التي ترمي إلى:

- منع و/ أو خفض تردي الأراضي (صون).
- إعادة تأهيل الأراضي التي تردت جزئياً (إصحاح).
- استصلاح الأراضي التي

تصحّرت (استصلاح).

وخصص الجزء السادس من الكتاب لجهود الأمم المتحدة في مكافحة التصحّر. فقد تبنّت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) برنامجاً عالمياً لدراسة المناطق الجافة فيما بين ١٩٥٠م - ١٩٦٠م، ثم تبعه البرنامج الدولي لعلوم الأحياء ١٩٦٤م - ١٩٧٠م الذي أشرف عليه المجلس الدولي للاتحادات العلمية. ثم تلا ذلك برنامج اليونسكو عن (الإنسان والمحيط الحيوي) في عام ١٩٧١م. وقد أسفرت هذه الجهود عن حصيلة ثرية من الكتب، والدراسات، والرسائل الزاخرة بالبيانات، والمعارف العلمية والتطبيقية.

ولم تكتف الأمم المتحدة بهذا، بل وضعت قضية الأراضي الجافة في ثبت القضايا العالمية، وعلى جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة. وفي عام ١٩٧٤م اتخذت الجمعية العامة قرارين:

- **القرار الأول:** دعوة دول العالم جميعاً لأن تتعاون في مجال الدراسات والبحوث المتصلة بالتصحر، وأن تعمل على مساعدة الدول المتضررة على بناء قدراتها العلمية والتقنية في هذا المجال.

- **القرار الثاني:** يقرر عقد مؤتمر للأمم المتحدة عن التصحر، وهو المؤتمر الذي عقد في نيروبي بكينيا من ٢٩ أغسطس/آب إلى ٩سبتمبر/أيلول ١٩٧٧م. وقد حضره مندوبو أكثر من تسعين دولة، وعدد من المنظمات الدولية، والهيئات الأهلية. وقد توصل المؤتمر إلى وضع «خطة عمل لمكافحة التصحر» تضمنت ٢٨ توصية، بكل توصية برنامج عمل تضمن تفاصيل العمل على الصعيد الوطني، والإقليمي، والدولي.

واستمرت الجهود، فعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية في البرازيل عام ١٩٩٢م، وحضره عدد من رؤساء الدول والحكومات، وقد سمي «مؤتمر الأرض»، وفيه أقرّ المؤتمرون (أجندة القرن ٢١)، وقد استغرقت صياغة أجندة مسودة هذا المؤتمر زهاء عامين، وشارك في صياغتها كثير من المختصين. وقدم المؤلف شرحاً وافياً ومفصلاً لمحتوى هذه الوثيقة المهمة.

وعلى الرغم من كل هذه الجهود التي استمرت زهاء العشرين عاماً، فإن الكاتب يرى أن العالم لم يحشد قدراته بما فيه الكفاية لمحاربة هذه الظاهرة التي بدا أثرها في الدول الفقيرة أكثر من الدول الغنية، مع أن أراضي الدول الغنية نفسها تتعرض لهذه المشكلة، ويعزو الكاتب ذلك إلى أن «الإرادة السياسية التي ترسم للعالم خطاه لم تضع بعد قضية التصحر والجفاف - وهي قضية العالم الفقير - في أولوياتها».

وفي خاتمة الكتاب تناول المؤلف عدداً من المسائل العامة التي تتصل بقضايا التصحر والجفاف متسائلاً ومجيباً عن عدد من الأسئلة مثل: هل لقضايا التصحّر صفة الكوكبية، والتأثيرات الأحيائية، والتأثيرات الفيزيقية؟ وهل يمكن التنبؤ المبكّر بنوبات الجفاف؟ وهل تحقق اتفاقية التصحّر أهدافها؟

إن أهمية هذا الكتاب تنبع من أهمية الموضوع الذي يتناوله، وهو موضوع الجفاف والتصحر، الذي ضرب كثيراً من البلدان غنيها وفقيرها، وظهر أثره أكثر في الدول الفقيرة، وقد تناول الكاتب هذا الموضوع شارحاً ومفصلاً ومنبهاً على أهمية هذا الأمر وخطورته. ونحن في عصر أصبح فيه الغذاء سلاحاً مهماً ومؤثراً وفعالاً.



زيادة الكثبان الرملية من دلائل الزحف الصحراوي

قضية التصحر هي قضية العالم الفقير الغائبة عن أولويات الإرادة السياسية في العالم



لم يجد هذا الطائر غير غصن جاف ليقف عليه



ردًا على محمود طه شيحة

عولمة العالم الأرضي والكوني مهمة أمريكية كبرى

عبدالله أبو راشد

لقد كتب الأستاذ محمود طه شيحة في العدد (٢٦٩) الصادر في ذي القعدة ١٤١٩هـ - آذار/مارس ١٩٩٩م من مجلة الفيصل مقالاً تحت عنوان «عولمة الثقافة وعولمة السياسة أيهما يصلح للهيمنة؟» في سياق مجموع الاجتهادات التأويلية التي تعج بها الخريطة الثقافية - الفكرية العربية في موضوع (العولمة) بصفتها ظاهرة كونية - حداثية آنية ما زالت في طور التكوين والتبلور، وتحتل من أقلام المفكرين والفلاسفة والساسة والمثقفين والصحافة(١) والفقهاء عربيًا(٢) أو أجانب(٣) المكانة الرئيسة في الحركة الناشطة للمثاقفة الجدلية حول ماهيتها وآليتها ونحن نعبر إلى القرن الحادي والعشرين، كمحاولة جمعية للدخول في فلك الألفية الثالثة على أرضية الفهم المشترك حول حقيقة العولمة، وما يجري في الخريطة الكونية من انزياحات بنوية ومتغيرات. وما تحتله الولايات المتحدة الأمريكية من جذور تاريخية وخلفيات إجرائية وسلوكية تسويقية معاصرة وفق المفهوم النفعي الأمريكي(٤) من فردانية القطب العالمي الأحادي الجانب، ومحركة فاعلة لدينامية النظام العالمي الجديد(٥) ولا سيما عقب حرب الخليج الثانية(٦) بحكم كونها قائدة لمجتمع العولمة وآلياته الكاسحة في المسارات المجتمعية كافة، من علوم ومعارف وعلاقات كونية وما بها من قدرات مادية وقيمية.

تحديد سمات مجتمع العولمة

ولقد اجتهد الزميل الباحث شيحة في استحضار مجموعة من المقتطفات الكتابية العربية والأجنبية في تسويف مقولته (المساءلة) في مجال آليات محددة (الثقافة - السياسة) معزولة عن بقية المرتكزات العولمية. موليًا الاهتمام الرئيس لها في تفاضل تراتبي للأولويات في إحكام السيطرة والهيمنة على الخريطة الكونية. وكان أولى بالكاتب أن يدخل صلب موضوع بحثه في سياق شمولي - تكاملي في الوصول إلى غايته الهدفية عبر تحديد مفهوم العولمة الاصطلاحي، ومعابر الاجتهاد الفردي في توصيف المصطلح (العولمة) مبنية على التفاعل المعرفي المتشكلة في لغة الخطاب السياسي والثقافي العربي(٧) والعالمي(٨)، وإحداث عملية التمحيص والتدقيق والمقاربة والمناقصة الدلالية لفاعلية المفاهيم في أنماط معرفية مثل الحداثة - العالمية - ما بعد الحداثة - ما بعد الرأسمالية - وما إلى ذلك من منافذ مفهومية لتحديد سمات مكونات مجتمع العولمة الحالي ومناقبيته القائمة على تبادل المنافع والمصالح بين قوى ومجتمعات متصارعة في سياق الغلبة للأقوى، من دون أي حساب قيمي وإنساني، وإحكام السيطرة على مقدرات الخريطة الكونية (القرية)(٩)، ومن ثم تحديد العلاقة المفهومية بين الثقافة والعلم والسياسة وبقية المرتكزات العولمية في الاتجاه المرغوب أمريكيًا؛ لأن مفهوم الثقافة(١٠) المتغير على الدوام - كبداهة معرفية - لايحتمل التأويل، متغير بتغير الزمان والمكان والمؤثرات البشرية الفاعلة في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، والمتفاعل بالضرورة مع ثقافة الآخر من جهة، والعلوم الإنسانية والتطبيقية من جهة ثانية؛ وفق منطق: أن العلم هو جزء أساسي من الثقافة المجتمعية السائدة، ومرتبط بأوطان المثاقفة التي تنشدها تلك المجتمعات في محدداتها الكونية، وما تحمله من سمات وماهية وكينونة وصيرورة تطورية منذ القرون المغرقة في القدم حتى مجتمع العولمة، فضلا عن موقع المتغيرات في كل الميادين المعرفية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والدينية والجغرافية والأيديولوجية والثقافية المواكبة لكل مرحلة من مراحل التطور الإنساني والمجتمعي(١١)، والتي تشكل فصولها وأحداثها تاريخًا مشتركًا للعالم الكوني شئنا ذلك أم أبينا(١٢)؛ لأن منهجية البحث في مصداقيته، وأكاديميته تفترض هذه الآلية التواصلية مع تراث الماضي وعبور الحاضر استشرافًا لآفاق المستقبل القادم، والوقوف الجاد والمعمق مع متغيرات الخريطة الكونية والقوى الفاعلة فيها (إيجابيًا أو سلبيًا)



أمركة أم عولمة؟

والانفجار المعرفي والتقني الذي حملته السنوات الخمسون الأخيرة من هذا القرن، والتي تسبق مرحلة العبور الكوني نحو الألفية الثالثة، وتجاوز ملحوظ أو مقصود لمفاهيم الوجود الإنساني واتجاهاته الفكرية والعقدية (أيديولوجياته)، وقيمه، وجمالياته، والاستعاضة منها بمفاهيم احتلالية بديلة (مادية محضة) تسير وفق عوامل التطور العلمي - التقني، والتراكم الكمي للخبرات، والنوعي لمعطيات رأس المال ودوره في صنع الاقتصاد العالمي، وسياسته وثقافته عبر تجمعات اقتصادية وتحالفية لازدواجية المنافع، متجاوزة حدود الدول الوطنية والقومية، وتراث الشعوب والأمم، مثل الشركات المتعددة الجنسية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والناتو، وسواها من آليات كاسحة وعملاقة، والتي تُمثل الدول (السبع) الصناعية الكبرى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الحاضنة الأساسية لمكونات العولمة في إحداث الهوة والقطيعة مع كل ما هو إنساني وقيمي وأخلاقي.

مغالطة منهجية

إن مقولة الباحث: إنه لا تاريخ مشتركًا بين الأمم العربية والأوروبية و«الأمريكية؟!!» فهي - باعتقادي - مغالطة منهجية لمنطق الأحداث، ومسالك البحث المعرفي، وتفاعلات التاريخ المشترك للمجتمع الإنساني، ولا سيما على جبهة الثقافة الإنسانية القيمية والحضارية وما ينبثق عنها من تفاعلات(١٣). وليس هناك قطع أو قطيعة ما بين قنوات التفاعل الإنساني المجتمعي بين مرحلة تاريخية وأخرى إلا في ضوء محددات الدور التاريخي والوظيفة المجتمعية المتأثرة بعوامل «الزمان والمكان»، وشرطية الذاتي والموضوعي. وأشكال التواصل الثقافي - الحضاري في حركة مستمرة ودؤوبة ما بين إحجام ومحركات إقدام تبعًا للأنماط القهرية - الجبرية، أو الطوعية - الاختيارية لماهية التواصل وكينونته في فرض ثقافة الآخر كنوع من «العولمة» محددة الشرط التاريخي المكاني والزماني، وعبر ضرورات الحاجة المطلبية القائمة على المماهاة والتقليد والمحاكاة للأقوام المغلوبة على أمرها للأقوام الحاكمة (١٤) ووفق قانون (الحاجة أم الاختراع)، لأن الإنسان الفاعل (العاقل) في جوهره كائن اجتماعي متفاعل بالضرورة مع ذاته ومحيطه القريب والبعيد بشكل ما أو بآخر. وهذه المسألة الجوهرية (الإنسان الفاعل - المتفاعل) باعتقادي هي مقدمة منطقية لتحديد ماهية الدور الوظيفي لنسج التاريخ المشترك بين الأمم والشعوب، ولها بصمات وحضور في الذاكرة المعرفية والإنسانية والفلسفية والروحانية في هذا السياق التفاعلي ما بين شرق وغرب أو شمال وجنوب. مع الأخذ في الحسبان أن الولايات المتحدة الأمريكية والكيان العنصري الصهيوني في فلسطين يشكلان أنموذجًا فريدًا للخروج عن المألوف المجتمعي للخريطة الإنسانية الكونية، وخارج التوصيف التفاعلي الحضاري للأمم والهويات القومية التي حفرت بصماتها عميقة في سلم القيم التاريخي والحضاري، ولا يُمكن موازنتها بالأمم العريقة التي أغنت مسيرة المجتمع الإنساني بأصالة تاريخية معرفية ومناقضة بطبيعة الحال لآليات مجتمع العولمة الآنية التي تسير وفق النمذجة الأمريكية (أمركة العالم)، والقائمة على الاستحواذ المطبق، والهيمنة الشاملة لقدرات الخيارات الإنسانية والطبيعية قهرًا مفضوحًا في أكثر من مكان وموقع، ومستندة في هذه النمذجة على النفعية الأمريكية، وسطوة رأس المال ووحدانية السوق وتجارته بعيدًا عن أي معبر قيمي - روحاني وإنساني، وعلى إلغاء هويات الشعوب والقوميات والأمم من خريطة المجتمع العولمي الحالي خدمة لثقافة الأمركة المنقطعة الجذور.

خروج عن مألوف القانون الطبيعي

وإن الصهيونية بكيانها العنصري لا تخرج عن سياقها الوظيفي للدور المرسوم في متغيرات الرأسماليات المتعاقبة، وبشكل أكثر وضوحًا في مجتمع العولمة الأمريكي. ولا يشكلان قط مقومات الحد الأدنى للأمة. وإنما هما نتاج أفراد مغامرين ومقامرين وحالمين وقتلة تجمعهم المصلحة الفردية أولاً وأخيرًا، من دون أي حساب قيمي أو أخلاقي، وشكلوا في ديناميتهم التواجدية في المرحلة الراهنة حالات خاصة وأنموذجًا فريدًا لآليات القمع والقهر الإنساني، خارجة عن مألوف القانون الطبيعي لتشكل الأمم. والتاريخ المشترك للأمم (العربية - الأوروبية - الآسيوية) المشهودة في صفحات التاريخ ومرئياته الوجودية في الكتب والمتاحف وتكنولوجيا المعلوماتية حاشدة بالأدلة والبراهين، ولا سيما في ظل حضارة بلاد ما بين النهرين والشام ووادي النيل وقرطاج، مرورًا بالإسلام والثقافة العربية الإسلامية والأندلسية(١٥) خصوصًا، وأهميتها في إحداث المثاقفة الإنسانية في



التجمعات الاقتصادية تتجاوز حدود الدولة القطرية

صنع التاريخ الحضاري المشترك مع أوربا التي كانت تغط في نوم عميق، ومأس كارثية حافلة في القرون الوسطى، وأنزياحها بفعل الثقافة الإسلامية، وصناعة عصر النهضة والتنوير الأوربي، واكتشاف الآلة مع نهاية القرن التاسع عشر، وحلول فضل القيمة التراكمي والنهب القهري للعاملين، وما تبعها من غزوات استشراقية واستعمارية وحروب عالمية مدمرة. فهذه المعطيات، على الرغم من قهريتها في بعض الأحيان، تشكل معطى كونيًا متغيرًا فرضته واقعية النظرة العقلانية والعلمية لأهمية التواصل الثقافي وحقيقة التاريخ المشترك ما بين أوروبا والعرب وبقية الأمم. والاختلاف في المُعطى الثقافي هو ضرورة منطقية تفترضها شبكة العلاقات التواصيلة مع ثقافة الذات والآخر في بعدها الإنساني. ومن هنا نجد مفهومي العالمية والحضارة وصناعة التاريخ المشترك لا ينطبقان على الولايات المتحدة الأمريكية، والكيان الصهيوني؛ لأنهما

أمريكا وإسرائيل خارج التوصيف التفاعلي الحضاري للأمم والهويات القومية

يحاولان عبر تبادل المنافع، والدور الوظيفي للكيان الصهيوني في الإستراتيجية الأمريكية أن يشكلا في ذاتهما التوسعية - الاستعمارية هوية الأمة. وعلى الرغم مما تحتله الولايات المتحدة من طغيان وهيمنة على مقدرات الخريطة الكونية في عصرنا الراهن الذي يُدار (بديناميـة) النفعية الأمريكية، وجعله عصراً أمريكيًا (خالصاً) بالمعنى الإجرائي للهيمنة على معابر السياسة والاقتصاد والعسكرتارية والمعلوماتية التي تحاول فرض الأنموذج الأمريكي لتأسيس ذات ثقافية عابرة، ومغايرة لمألوف المجتمع الإنساني من هدم للقيم والثقافات والشعوب، عبر تسخير الوسائط المادية كافة لذاتها الفردية النفعية، وما توظفه من خبرات أكاديمية وأقلام صحفيين وكتاب ومفكرين ومؤتمرات لتحقيق أنماط معرفية مرغوبة، عبر الصحافة والفضائيات والحواسيب وشبكات الاتصال والإنترنت وسواها من المكتشفات العلمية الكاسحة، كمقدمة أساسية لإحكام السيطرة، عملاً منها للهيمنة على عولمة العقول في الاتجاه الثقافي الإنساني المغاير.

وفردانية التحكم العالمي للإدارة الأمريكية في غالبية المسارات العولمية، لا تعني ألبتة إحكام السيطرة على جبهة الثقافة أي (عولمة الثقافة)، لأن الثقافة هي من أكثر الآليات العولمية (إشكالية) وصعوبة في مساراتها التوسعية، وتحتل الأهمية القصوى في إستراتيجية وتكتيك (الأمركة) على وجه التحديد.

الإخفاق في الاحتواء

إن أية نظرة موضوعية للشأن الثقافي (عولمة الثقافة) تشكل للإدارة الأمريكية هاجسها الرئيس، لأن ثقافة أي مجتمع مرهونة بعقول أبنائه، وأنماط وعيهم، وقوة إرادتهم، ومناعتهم لمواجهة ثقافة الآخر (المعولم)، ورفضها، وهي بمنزلة الحصن الدفاعي الأخير لوجود أمة أو هوية وطنية أو قومية، وأمركتها ليست بالمسألة السهلة حتى داخل مؤسسات مجتمع العولمة ذاتها. فإن الثقافة اليابانية المنغلقة في وجه آليات الأمركة الفضائية الكاسحة دليل على إخفاق ذريع لاحتواء ثقافة المعطى الياباني وتدجينها على الرغم من كونها حليفًا رئيسًا وشريكًا فاعلاً في قيادة مجتمع العولمة. أو المسارات الفرنسية عبر مؤتمرات الفرانكفونية المتعددة الأماكن والأسماء، وحتى داخل منظومة الاتحاد الأوربي والآسيوي. أو المواقف الذاتية للمواطن العربي في الشارع الشعبي الرافض حلول التسوية، لوجود الكيان الصهيوني في فلسطين من عقد مجموعة من المواثيق والعقود والاتفاقيات بين بعض العرب مع الحكومة الصهيونية. أو في مناطق أخرى من العالم، وما زالت محافظة على وجودها وذاتها الثقافية المتحفزة والمتصادمة مع ثقافة العولمة الأمريكية التي لا تكل ولا تمل من محاولة النيل من ثقافات الشعوب، والتي تأخذ التجمعات الكونية في المرحلة الحالية محاولاتٍ مناهضة للسياسة الأمريكية (الأمركة) في فتح صفحات حوارية مفتوحة الخيارات ونحن نعبر القرن الحادي والعشرين، من مقولة حوار الثقافات، ودحضاً لتداعيات وأكاذيب سابقة متخفية في عصور النهايات. وإن بروز قوى عالمية جديدة في مساحة التفاعل المجتمعي هو خيار تصادمي حتمي مع مقولة النظام العالمي الأحادي الجانب ومن ثم انهيار العولمة من داخلها.

المراجع

١. قضايا وآراء في مجمل الصحافة العربية الصادرة في أوربا - ما بين ١٩٩٧م - ١٩٩٩م.
٢. العرب والعولمة، ندوة فكرية لمجموعة باحثين عرب، تحرير أسامة أمين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة ١٩٩٨م.
٣. الإمبراطورية الأمريكية، كلود جوليان، ترجمة ناجي أبو خليل، د. فؤاد شاهين، دار الحقيقة، بيروت، طبعة ١٩٧٠م.
٤. تفجير النفط - إدوار حشوة - دمشق - ١٩٧٢م.
٥. العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، عبدالله أبو راشد، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٨م.
٦. أمريكا طليعة الانحطاط، روجيه غارودي، ترجمة صباح الجهيم، ميشيل خوري، دار عطية، بيروت ١٩٩٨م.
٧. أعداد مختلفة للدوريات العربية (النهج، الطريق، شؤون الأوسط، المستقبل العربي، الكلمة، الاجتهاد، معلومات دولية، الثقافة العالمية) ما بين ١٩٩٨ - ١٩٩٩م.
٨ - فخ العولمة، هانس بيتر مارتين، هار الدشومان، ترجمة د. عدنان عباسي علي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت عدد (٢٣٨).
٩ - الولايات المتحدة وإسرائيل، العروة الأوثق، كميل منصور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٩٦م.
١٠. نظرية الثقافة، مجموعة من الكتاب، ترجمة د. علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٢٣.
١١. إنتاج المجتمع، آلان تورين - ترجمة إلياس بديوي، وزارة الثقافة السورية ١٩٧٧م.
١٢. جيران في عالم واحد، لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي، مراجعة عبدالسلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٠١).
١٣. الماضي المشترك بين العرب والغرب، أ.ل رانيلا، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، سلسلة عالم المعرفة العدد ٢٤١.
١٤ - الخلدونية، د. نور الدين حقيقي، ترجمة إلياس خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس ١٩٨٣م.
١٥. تراث الإسلام في جزأيه، مراجعة د. فؤاد زكريا - سلسلة عالم المعرفة أعداد (٢٣٣ - ٢٣٤).

ردًا على أحمد محمد عيسى

ليته ذكر المصدر!!

قرأت في العدد (٢٧١) من مجلة الفيصل مقالاً مصوراً عن الاحتفالات والأعياد السنوية في اليابان للأستاذ أحمد محمد عيسى، ولكني أظن أن المقال ليس له، بل هو منقول من كتاب بعنوان «اليابان اليوم» الذي أصدرته شركة الجمعية الدولية للمعلومات التربوية.

وأرسل لكم الصفحات المصورة من طبعة سنة ١٩٩١م، حيث تتطابق صفحات من الكتاب مع ما جاء في صفحات الفيصل، مع تغيير لفظة واحدة أو أكثر أو إضافة كلمة غير مناسبة كما في (ص ١٠٧)، حيث ذكر كلمة الأضرحة بينما لا توجد أضرحة في اليابان، وقوله «نوع من المشروبات» بدلاً من «الساكي» وهو شراب معروف. أو اختصاره كلمة «السوجوركو»، «وهي الكلمة اليابانية للعبة النرد». وهكذا

وأظن لو ذكرت المجلة أن المقال من إعداد التحرير لكان أطيب، أو ذكرت المصدر وهو كتاب اليابان اليوم أو أصله الياباني أو ترجمته الإنجليزية في كتاب JAPAN PRO-FILE من ص ٢١٩ - ٢٢٢.

وشكراً لمجلة الفيصل اهتمامها بنشر هذه المعلومات عن احتفالات اليابان.

سارة تاكاهاشي

ص.ب ٢٤٧٦٠ - الرياض ١١٤٥٦

دييجو فيلازكيز

فنان هاجسه الطبيعة والضوء والحركة

ترجمة: نعيم الغول



الأميرة مارجاريتا

دييجو فيلازكيز أحد أعظم الفنانين الإسبان، وواحد من أشهر الرسامين في كل العصور، وهو - كغيره من فناني القرن السابع عشر - كان هدفه من رسوماته تحقيق ترجمة هادئة ومتوازنة للطبيعة والضوء والحركة.

جوانب من حياته

ولد دييجو فيلازكيز في عام ١٥٩٩م في إشبيلية من أب ينحدر من أصل برتغالي، هو خوان رود ريجير دي سيلفا JUAN RODRIGUEZ DE SILVA، أما والدته فهي جيرونيما دييجو فيلازكيز JERONIMA VE-LAZQUEZ، وقد تدرّب فيلازكيز فترة وجيزة على يد هيريرا الأب HERRERA THEELDER، ثم أخذ يتدرب على يد باتشيكو PACHECO، وقد تزوج ابنته في عام ١٦١٨م.

وانتقل فيلازكيز من إشبيلية إلى مدريد في عام ١٦٢٢م، وفي السنة التالية عينه الملك فيليب الرابع رساماً في البلاط الملكي. ومنذ ذلك الوقت كان يقضي كثيراً من حياته في القصر موزعاً وقته بين الأعمال المتعلقة بشؤون البلاط الملكي ونشاطاته الفنية.

ولما كان خبيراً في المقتنيات الملكية رافق الفنان روبنز RUBENS خلال زيارته إلى مدريد في عام ١٦٢٨م، وفي العام التالي، سافر إلى البندقية، وروما، ونابلي.

وفي عام ١٦٤٩م، عاد إلى إيطاليا بناء على طلب الملك فيليب الرابع، ليشتري رسومات زيتية، ومنحوتات، ليضمها إلى المقتنيات الملكية، وبعد عودته إلى إسبانيا في عام ١٦٥١م عين حاجباً للقصر، وتسلم في عام ١٦٥٨م رداء رهبنة سانتاجو، وتوفي بعد ذلك بعامين في مدريد في اليوم السادس من آب/أغسطس عام ١٦٦٠م.

سيرته الفنية

يضم متحف برادو الإسباني أعمالاً كثيرةً لفيلازكيز، وكانت رسوماته الزيتية جزءاً من المقتنيات الملكية الإسبانية، ثم انتقلت إلى المتحف بعد إنشائه في عام ١٨١٩م، وقد أضيفت إليها بعض الأعمال القليلة في سنوات لاحقة.

وقد نفذ فيلازكيز بعض رسوماته في أوائل حياته الفنية في إشبيلية، وهي قليلة العدد، إلا أنها، مع الرسومات التي أبدعها إبان عمله في البلاط الملكي في الفترة من عام ١٦٢٣م إلى عام ١٦٦٠م، تتيح لنا دراسة متكاملة للتطور الفني لهذا الفنان العظيم.

وتتضمن الحجرات المخصصة لأعمال فيلازكيز مجموعة متنوعة، من بينها أعماله الكاملة، وبخاصة في فن النحت، إلى جانب رسومات أسطورية (ميثولوجية)، ودينية، وتاريخية، ومناظر طبيعية.

وتشكل أعماله الفنية وحدة متكاملة من الانسجام والتناغم، وقد تأثر فيلازكيز في أعماله الأولى بفن كارافاجيسك CARA VAG-GESQUE، ويتضح ذلك في الإضاءة القوية التي تغمر الأشخاص والأشياء، واستخدم الألوان بشكل مستوٍ ومعتم.

ومن عام ١٦٣٠م، أخذ يتغير مفهومه للضوء، وأدرك أن وظيفته الفنية تتعدى الإضاءة إلى وصف الهواء والفضاء الذي يحيط بالأشخاص والأشياء، مما أفقد الألوان حدتها ونقاءها.

واتجه - في الوقت نفسه - إلى الألوان الفاتحة، مستخدماً الألوان الفضية الرمادية المميزة، وزخرفتها بأشكال بارعة دقيقة.

وقد تبدو رسوماته عن قرب غير مترابطة، إلا أنها عند النظر إليها من بعد تنقل انطباعاً مقنعاً للواقع.

وتروي لوحات فيلازكيز جزءاً مهماً من تاريخ إسبانيا ولكل منها قصتها، ومزاياها الفنية، وتتضمن الأسطر التالية تعريفاً ببعض هذه اللوحات التي يضمها متحف البرادو.

الكونت جاسبار دي جوزمان GASPER DE GUZMAN دوق أوليفارا على صهوة جواده

هذا الرسم يظهر آثار الفن الباروكي الرائع، وتصور وقفة بطولية مقابل منظر طبيعي مفتوح وواسع. وفي الأفق البعيد تبدو آثار معركة ودخان. وهذه اللوحة تجسد الانتصار على الفرنسيين في معركة فوينترابيا FUENTERRABIA التي وقعت في خريف ١٦٣٨م. وقد رسم الجواد وهو يقفز في وضع مائل ليعطي إحساساً بالعمق، ويتمنطق دوق أوليفار بنصف سلاحه، وعليه وشاحه، ويبدو منتصباً على ظهر جواده حاملاً عصا (المارشالية)، ووجهه متجه نحو المشاهد.

ودون جاسبار دي جوزمان دوق أوليفارا ودوق سانلوكار لامايور هو ابن الكونت الثاني لي أوليفارا، وأمه هي دونا ماريا بيمنتل، وقد ولد في روما في السادس عشر من شهر كانون الثاني/ يناير عام ١٥٨٧م، وكان رئيس وزراء الملك فيليب الرابع في الفترة من ١٦٢١م إلى ١٦٤٣م، وتوفي في تور في الثاني والعشرين من شهر تموز/يوليو ١٦٤٥م.

دونا خوانا باتشيكو في جلسة شعوذة وعرافة

وهذه اللوحة ذات تعبيرات هادئة، وهي صورة خوانا باتشيكو زوجة فيلازكيز، وابنة أستاذه فرانسيسكو باتشيكو،



لاس لانزاس



دونا ماريا دي استريا

الأمير بالتاسار كارلوس على صهوة جواده

وكانت ضمن مقتنيات إيزابيلا فارنيس ISA-BEL FARNESE في قصر لاجرانجا، وهي تصور خوانا باتشيكو في هيئة من يمتهن الشعوذة والعرافة، إذ تمسك بلوحة تسجل عليها كهانتها ونبوءاتها، وهذه اللوحة مرسومة بفرشاة طليقة الحركة، وتحقق وحدة متكاملة مع خلفية محايدة تنسجم مع ردائها بلونه الرصاصي الرمادي.

الملك فيليب الثالث على صهوة جواده

هذه اللوحة التي تمثل فارسًا على متن جواده بالإضافة إلى صورة الملكة مارجاريتا والملكة إيزابيلا قد أثارت تساؤلاً هل كان فيلازكيز قد بدأ في رسمها قبل رحلته الأولى إلى إيطاليا، ومن ثم أكمل رسمها عند عودته إلى إسبانيا، أم إن هذه اللوحة رسمها فنان آخر، وفي وقت لاحق أعاد فيلازكيز رسمها؟ والاعتقاد السائد أن فيلازكيز قد يكون أشرف على إعادة رسمها قبل أن تُعلق في بهو دالو رينو SALON DE LOS REINOS في قصر بوين ريتيرو BUEN RETIRO.

وصورة الملك في هذه اللوحة مرسومة مقابل منظر بحري، وقد تم تكبير قطعة القماش المرسومة عليها هذه الصورة بإضافة قطعتين ضيقتين من كل جانب، مما حوَّل الشكل الأصلي من مستطيل إلى مربع.

والملك فيليب الثالث الذي تجسده اللوحة هو ابن الملك فيليب الثاني والملكة آنا دا أوستريا في مدريد؛ وذلك في الرابع عشر من نيسان/ أبريل من عام ١٥٧٨م، وتوفي في مدريد في الحادي والثلاثين من آذار/مارس من عام ١٦٢١م. ويبدو في هذه اللوحة وهو يتمنطق بنصف سلاحه ودروعه ويرتدي قبعة لبّاد سوداء مزينة بلؤلؤة، ويمسك بعصا مارشالية في يده اليمنى. والفن المستخدم في رسم معظم أجزاء الجواد، والسرج، وعدة الحرب على متن الجواد ينم على السمة المميزة لرسومات فيلازكيز في أواسط الثلاثينيات من القرن السابع عشر.

فرانسيسكو باتشيكو

يعتقد أن هذا الرسم هو صورة فرانسيسكو باتشيكو، وهو رسام وكاتب بحوث من إشبيلية، كما أنه معلم فيلازكيز ووالد زوجته. وهو في اللوحة يرتدي ملابس سوداء اللون، وياقة كاملة رائعة الجمال. وقوة الرسم المعبِّرة، ، واستخدام مصدر أحادي للضوء للمساعدة في صياغة شكل الوجه، كل ذلك ينم على السمة المميزة لباكورة أعمال فيلازكيز في إشبيلية.

استسلام مدينة بريدا

رسم فيلازكيز هذه اللوحة الرائعة «رسم تاريخي» في عام ١٦٣٥م في بهو لورينو في قصر بوين ريتيرو. والحادثة التي تجسدها اللوحة بألوانها الأنيقة والمتنوعة هي استسلام مدينة بريدا للجيش الإسباني في الثاني من حزيران/يونيو من عام ١٦٢٥م، وقد تسلم أمبروزيو دا سبينولا AMBROSIO DE



الملك
فيليب الرابع



شخصية
دينية

SPINOLA الذي تظهر صورته في الوسط، مفاتيح المدينة من جوستين أوف ناسو JUSTIN OF NASSAL الحاكم العام لمدينة بريدا بعد ثلاثة أيام، ويصطف الجيشان على طرفي الرسم. فالإسبان على اليمين وهم يمسكون الرماح في وضع عمودي، وبشكل مغاير للرماح غير المنتظمة للهولنديين المهزومين على اليسار. ولقد قابل فيلازكيز سبينولا خلال رحلته إلى إيطاليا لهذا السبب، فيعتقد أن هذه الصورة هي صورة حقيقية.

وتنقسم اللوحة إلى مجموعتين متوازيتين، كل مجموعة برئاسة قائدها، ويظهر بها جواد سبينولا بالقرب من الإطار على اليمين، كما يظهر على اليسار صورة يُظن أنها لفيلازكيز نفسه، بالإضافة إلى الجنود الهولنديين وهم كمن ينظرون إلى المشاهد. ويتوسط الأشخاص منظر طبيعي يبدو عن بعد مع سحب دخان ضارب للون الرمادي تحت سماء زرقاء، يشغل كامل الثلث الأعلى من الصورة. ولم يسافر فيلازكيز أبداً إلى بلاد الفلاندر، إلا أن الفرصة أُتيحت له لدراسة مطبوعات المعلمين الفلمنكيين ورسوماتهم، وبذلك استطاع وصف تضاريس الموقع بكل صدق.

الأمير بالتاسار كارلوس

على صهوة جواده

رسمت صورة الأمير بالتاسار كارلوس BALTASAR CARLOS لتوضع في بهو دار رينو في قصر بوين ريتيرو، وهي معلقة هناك إلى جانب صور والديه وجدّيه. وقد رسم الأمير وله من العمر خمس سنوات تقريباً، ويبدو على صهوة جواد يعدو، ويحمل عصا مارشالية في يده. ورسم المنحنى المبالغ فيه لجسم الفرس عن قصد؛ وذلك لأن الصورة كانت ستعلق في مكان مرتفع فوق بوابة المدخل. وتشغل جبال جوا داراما وقمة جبال لا ماليثيوسا المغطاة بالثلوج كامل خلفية الصورة، كما أن اختلاف مستويات السطوح يعود إلى تدرج درجات اللون، من الألوان الخضراء إلى الألوان الزرقاء. كما أن السماء المغيّمة جزئيا تلتقي الأفق في وسط الرسم.

الأمير بالتاسار كارلوس صياداً

وتوضح الكتابة المنقوشة على هذه الصورة أنها رسمت في نهاية عام ١٦٣٥م أو في عام ١٦٣٦م عندما كان عمر هذا الطفل ٦ سنوات.

وبالتاسار كارلوس هو ابن الملك فيليب الرابع والملكة إيزابيلا دا بوربون، وقد ولد في ١٧كانون الأول/ديسمبر ١٦٢٩م، وتوفي في ساراجوسا في ٩كانون الثاني/يناير ١٦٤٦م.

ويظهر الأمير على يمين الصورة تحت شجرة تشغل فروعها الجزء العلوي من الرسم . وهو يمسك بيده هركوبة (سلاح ناري قديم) كانت قد قدمت هدية إلى والده فيليب الرابع من نائبه على مقاطعة نافار. ويرافق الأمير كلبان أحدهما مستلق على الأرض بشكل مائل مع المنظر الطبيعي للصورة، وكلب صيد رمادي على اليمين. ويمكن مشاهدة قمم سلسلة جبال جوا داراما في خلفية اللوحة.



ندوة عن المكتبات الوقفية

التجربة الروائية
لكاتبات الخليج وشبه الجزيرة

مخطوطات نادرة بين الدشوت

احتفالات بستينية شيموس هيني

رسائل غرامية للبيع

إصدارات حديثة

أحدث الدوريات

خاتمة المطاف:
مصحف نادر في مركز الملك فيصل



الرطوبة تهدد قصر الحمراء



الحقيل يهدي مكتبته الخاصة لمكتبة الملك فهد الوطنية

وجه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض والمشرف العام على مكتبة الملك فهد الوطنية خطاب شكر للشيخ عثمان بن الحقيل على إهداء مكتبته الخاصة لمكتبة الملك فهد الوطنية، كما وجه سموه إدارة المكتبة بتنظيم الكتب المهداة ليتمكن الباحثون من الاطلاع عليها والاستفادة منها.

وقد صرح الأستاذ علي بن سليمان الصويلح أمين المكتبة بأن هدايا قيمة وكثيرة وصلت إلى المكتبة استجابة كريمة لدعوة سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز، المشرف العام على المكتبة، بهدف النهوض بها ودعمها خدمة للعلم والعلماء في هذا البلد العزيز. وأضاف أن المكتبة المهداة تحوي أكثر من ١٧٤٠٠ كتاب ومرجع ودورية في مختلف ضروب المعرفة.

العلاقات بين بريطانيا والإسلام

نظم المجلس الثقافي البريطاني مؤتمراً عن «العلاقات بين بريطانيا والإسلام» في الفترة من ١٢ - ١٤ محرم الماضي) ٢٨ إلى ٣٠ أبريل/نيسان عام ١٩٩٩م.

وقد حضر المؤتمر عدد من المفكرين والأكاديميين والشخصيات الإسلامية، وكان من بين الحضور الدكتور عبدالله بن محمد إبراهيم آل الشيخ وزير العدل السعودي، والدكتور قاسم أوتيم رئيس جمهورية موريشيس.

افتتحت جلسات المؤتمر كيت هوي وزيرة الدولة في وزارة الداخلية البريطانية مؤكدة أهمية مثل هذه اللقاءات من أجل نشر المعرفة الحقيقية عن الإسلام، كما أشارت إلى أن وجود المسلمين البريطانيين يمثل عامل قوة وإثراء وتنوع في المجتمع البريطاني، ودعت في نهاية حديثها المؤتمر إلى الإسهام في التعريف بالإسلام الحقيقي لإزالة أي سوء فهم بين المسلمين والغرب حتى يتمكن الجميع من العيش بسلام.

ناقش المؤتمر محاور متعددة حول التأثير المتبادل بين بريطانيا والإسلام، وكيفية توطيد العلاقة وتوثيقها بين بريطانيا والعالم الإسلامي في مختلف أوجه النشاط التجاري والاقتصادي والثقافي والعلمي.



موسم ثقافي حافل لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

في إطار الموسم الثقافي لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية هذا العام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م أقام المركز محاضرة بعنوان «تصنيف المعرفة عند المسلمين»، ألقى المحاضرة الدكتور عبدالوهاب أبو النور، وقدّم له الدكتور ناصر السويدان، وكان ذلك في ٩ صفر الماضي بقاعة المحاضرات بالمركز.

تعرض المحاضر لمصطلح «تصنيف المعرفة» من كل جوانبه، فبين الفرق بينه وبين «مصطلح التصنيف الببليوجرافي»، وأوضح أهمية دراسة تصنيف المعرفة عند المسلمين لكونها تبرز إسهامهم في العلوم المختلفة، وهو ما يحاول مؤرخو الغرب أن يغيبوه.

وأوضح أيضاً أن المسلمين عرفوا لفظ التصنيف منذ القدم، وهناك شواهد كثيرة على ذلك في السنة النبوية الشريفة، وفي المعاجم القديمة، حتى إنهم رفعوه إلى مرتبة العلم، وقد أنتج المسلمون كثيراً من التصانيف، وأول هذه التصانيف ظهوراً هو كتاب «إحصاء العلوم» للفارابي، ثم توالت التصانيف بعد ذلك.

وتناول المحاضر أيضاً التصنيف عند المسلمين في العصر الحديث، فأوضح أن كل المحاولات انصبت في ثلاثة محاور جاءت كلها متأثرة بتصنيف ديوي العشري، وأشار إلى مؤتمر الإعداد الببليوجرافي الأول الذي عقد بمدينة الرياض في عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م وتوصياته بخصوص تجريب الخطة العربية للتصنيف تمهيداً لاستكمالها.

وفي الختام أشار المحاضر إلى أن التصانيف التي أنتجها العلماء والفلاسفة تمثل الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة في ذلك العهد، وهذا يعني أن تصانيف الفلاسفة المتأثرين بالفلسفة اليونانية لا تمثل الفكر الإسلامي، على عكس تصانيف الببليوجرافيين التي تعطي تفاصيل واسعة للعلوم العربية والإسلامية.

وكان المركز قد نظم محاضرتين من قبل الأولى للدكتور صالح الخثلان وعنوانها «الوضع السياسي في آسيا الوسطى»، في ٢٦ ذي الحجة ١٤١٩هـ، قدم لها الدكتور عوض البادي والأخرى للدكتور جاسر أبو صفية وعنوانها (أهمية البرديات في كتابة التاريخ الإسلامي) في ١٧ محرم الماضي قدم لها الأستاذ هزاع بن عيد الشمري.



ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز آل سعود، أمير منطقة المدينة المنورة، وفي رحاب مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، أقامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ندوة بعنوان: المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، في الفترة من ٢٥ - ٢٧ من المحرم ١٤٢٠هـ / ١١ - ١٣ مايو/ أيار ١٩٩٩م).

هدفت الندوة إلى التعريف بالمكتبات وأهميتها عند المسلمين، وكذلك بالوقف وأهميته بالنسبة إلى المجتمع الإسلامي، ودوره في نشأة المكتبات وتطويرها عند المسلمين.

سعت الندوة أيضاً إلى إلقاء الضوء على وقف الكتب والمكتبات في المملكة العربية السعودية، ومحاولة التعريف بطرائق دعم هذه المكتبات الوقفية ووسائله. وشارك في الندوة نخبة من رجال العلم من المهتمين بشؤون الوقف والمكتبات، وقدّمت فيها بحوث قيمة أغنت الموضوع من كل جوانبه.

قدّم في بداية الندوة، الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع - عضو هيئة كبار العلماء - بحثاً بعنوان: «الوقف من منظور فقهي»، ثم قدم الدكتور عبدالله بن محمد بن سعد الجحيلي بحثاً بعنوان: «الأوقاف النبوية في المدينة المنورة ووقفيات بعض الصحابة الكرام: دراسة فقهية تاريخية وثقافية»، وقدم الدكتور محمد العيد الخطراوي بحثاً بعنوان: «أثر

الوقف في تشييد الحضارة الإسلامية (مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة نموذجًا». أما الدكتور أحمد عبدالجبار الشعبي فقد كان بحثه بعنوان: «الوقف: مفهومه ومقاصده».

قدم الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان بحثًا بعنوان: عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاعًا ونشرًا»، وتلا ذلك الأستاذ عبدالله محمد المنيف ببحث عنوانه: «دور الأئمة من آل سعود في وقف الكتب والمكتبات في منطقة الرياض»، وجاء بحث الدكتور فهد بن عبدالله السماري بعنوان: «الملك عبدالعزيز ووقف الكتب».

أما «الكتب والمكتبات في جنوب المملكة العربية السعودية (١٢١٥ - ١٣٧٣هـ) حركتها، ووقفها عامرها، وموفيها»، فقد كان عنوان البحث الذي قدّمه الدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش، وقدّم الدكتور عبدالرحمن بن إبراهيم الضحيان بحثًا بعنوان: «الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة الإسلامية»، وكان عنوان بحث الدكتور علي بن إبراهيم النملة «أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها ومعوقات دوام الإفادة منها».

أما الدكتور إبراهيم بن محمد المزيني فقد كان بحثه بعنوان: «الوقف ودوره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية»، وجاء بحث الدكتور عباس بن صالح طاشكندي تحت عنوان: «دور القطاع الخاص في دعم المكتبات في المملكة العربية السعودية»، وللدكتور عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان بحث عنوانه: «الوقف: مفهومه ومقاصده».

وقدمت الدكتورة دلال بنت مخلد الحربي بحثًا بعنوان: «إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد»، ثم جاء بحث الدكتور راشد بن سعد القحطاني: «وقفية مكتبة شيخ الإسلام: عارف حكمت» وتلاه الدكتور عبدالرحمن بن سليمان المزيني ببحث عنوانه: «من وثائق وقف الكتب بالمدينة المنورة في القرن العاشر الهجري»، وختم بحوث الندوة الدكتور

بحضور سمو الأمير خالد الفيصل
إمارة تبوك تحتفل بجائزة الأمير فهد بن سلطان للتفوق العلمي

بحضور صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير شهدت مدينة تبوك في شهر محرم الماضي حفل جائزة تبوك للتفوق العلمي التي يرعاها صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز أمير منطقة تبوك.

وألقى الأمير خالد الفيصل كلمة في هذا الحفل الذي تم فيه تكريم ٦٢ طالباً متفوقاً، قال فيه: « لا أخفيكم أني قد شغلت كثيراً بالتأمل في الظاهرة السعودية، وكلما طالعت العالم من حولي تأكد لي استقلالنا بمقومات نابعة من عقيدتنا وأصالتنا»، وأوضح سموه أن المملكة العربية السعودية هي الدولة الوحيدة التي لم تستورد دستورها من الخارج، بل اتخذت القانون الإلهي دستوراً لكل تشريعاتها ونظمها وقوانينها.

وقال سموه: «إن هذه الجائزة ومدلولاتها خطوة من خطوات سمو الأمير فهد بن سلطان للنهوض بالمستوى العلمي والثقافي بهذه المنطقة، وحث الشباب على مواصلة الإبداع الثقافي والعلمي».

وأشار أمين عام الجائزة الأستاذ محمد عبدالله اللحيدان مدير تعليم تبوك إلى أن هذه الجائزة تحفز الطلاب ومعلميهم على البحث والدراسة والتجربة.

العثور على مخطوطات بين الدشوت
في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالمدينة المنورة

تمكن العاملون في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالمدينة المنورة التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد من تجميع عدد طيب من المخطوطات من دشت كبير احتوى على أوراق متداخلة ومتناثرة، ومن بين هذه المخطوطات العناوين التالية:

شرح مختصر الحاجب لسعيد بن محمد القصباني (ت: ٨١١هـ)، ويقع في ٣٢٩ ورقة، مخروم من الأول والأخير، و**منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر** (مختصر الطليطلي) لأبي بكر محمد بن علي ابن محمد الفخار الجذامي المالقي (ت:٧٢٣هـ) في ٤٨ ورقة، ناقص من أوله، و**شرح التفريع** لابن الجلاب (ج١) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ) في ٨٣ ورقة مخروم من الأول والأخير، و**الوهاج في شرح المنهاج** لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ) في تسعين ورقة تقريباً، و**شرح التنبيه** لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) في ١٥٦ورقة، و**الإفصاح بنكت الإيضاح** لنور الدين أبي الحسن علي بن عبدالله (ت ٩١١هـ)، ويقع في١٤٣ ورقة (٧٠ - ٢١٢) مخروم من الأول، و**شرح منهاج الطالبين** للنووي (قطعة منه)، لجمال الدين أبي محمد عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، و**النهجة المرضية شرح البهجة الوردية** (قطعتان منه)، لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن العراقي (ت ٨٢٦هـ)، وأوراقها (١٥١-١٧٨ و ١٨١-٢٠٠)، و**مقاصد الأشراف** (ج٢)، لتقي الدين يحيى بن محمد التارماني (ت ٨٣٣هـ)، وتقع في ٣٠ ورقة، ورؤوس المسائل (المجلد الأخير) لمحفوظ بن أحمد الكلوذاني (ت ٥١٠هـ)، وتقع في ٢٠٠ ورقة من (١١ - ٢١٠) ناقص من

أوله، ومنهاج السنة لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨) الجزء الأول، ٢٤٢ ورقة، بعض الأوراق عليها خط المصنف، والصادع في الرد على من قال بالقياس والرأي والتقليد والاستحسان والعليل لابن حزم الظاهري.

إن العثور على هذه العناوين وغيرها مما لم يوصف هنا يدل على ضرورة البحث الدقيق في الدشوت والحرص على ما تحتوي عليه. إذ إنها تحفل بكنوز من المعرفة والعلم، وللوصول إلى نتيجة إيجابية كما تم في مكتبة الملك عبدالعزيز فإنه لا بد من عمل مخلص ورغبة صادقة وصبر وجلد.

٤٥٠ دار نشر تشارك في معرض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الدولي

شاركت نحو ٤٥٠ دار نشر محلية وأجنبية في معرض الكتاب الدولي الثالث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الذي أقيم في الفترة من الخامس عشر من المحرم الجاري واستمر حتى الثامن والعشرين من الشهر نفسه (١ - ١٤ مايو/أيار ١٩٩٩م).

بلغ عدد دور النشر السعودية ١٠٣ دار وشاركت من جمهورية مصر العربية ٩٦ دار نشر، ومن الجمهورية اللبنانية ٨٧ داراً، ومن الجمهورية العربية السورية ٤٦ داراً، ومن المملكة الأردنية الهاشمية ٣٤ داراً للنشر، ومن الكويت ١١ داراً، ومن الإمارات العربية المتحدة خمس دور نشر، ومن المملكة المغربية أربع دور، إضافة إلى داري نشر من الجماهيرية الليبية، كما شارك خمس دور نشر من كل من قطر، والسودان، وتركيا، ومالطا، وأميركا.

نادٍ لكتاب الطفل في مكتبة الملك عبدالعزيز



ضمن نشاطات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض تم تأسيس نادٍ للقراء الصغار، وتذكر فوزية الجلال التي كتبت توضيحاً وتعريفاً به في أحوال المعرفة (المحرم ١٤٢٠هـ) جاء فيه أن نادي الطفل «للقراء الصغار يسعى إلى توفير الكتاب المناسب لكل طفل ينضم إليه حيث يتولى النادي إرسال كتاب أو أكثر إلى الطفل عن طريق البريد حسب فئته العمرية، وذلك في مطلع كل شهر هجري مصحوباً بورقة نشاط كتابي تضم أنشطة ذهنية ولغوية وترفيهية منوعة».

أما عن أهداف النادي، فتذكر الجلال أنه يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- توفير الكتاب المناسب للطفل عضو النادي.
- تجاوز العقبات التي تحول دون وصول الكتاب إلى الطفل.
- تعزيز ثقة الطفل بنفسه عن طريق انضمامه إلى نادٍ خاص به ووصول ظرف بريد يحمل اسمه.

دليل عن طبعات القرآن الكريم ومعانيه

عن دار: VERLAY IM ORIENT ANTIQUARIAT في هامبورج صدر دليل بعنوان (محمد والقرآن الكريم) MOHAMMED UND DER HILIGE KORAN من إعداد مارك إدوار إتاي واحتوى الدليل على معلومات عن مجموعة طيبة من المصاحف وترجمات المصاحف المطبوعة في مختلف أنحاء العالم، إلى جانب مجموعة من الكتب المؤلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغات عديدة، ومن ترجمات معاني القرآن الكريم التي وردت معلومات عنه في الدليل:

- ترجمة ألمانية صدرت عام ١٧٤٦م.
- ترجمة لاتينية صدرت عام ١٥٥٠م.
- ترجمة سويدية صدرت عام ١٨١٣م.
- ترجمة إيطالي صدرت عام ١٨٤٨م.
- ترجمة فرنسية صدرت عام ١٦٤٧م.

يوسف بن إبراهيم الحميد ببحث تحت عنوان: «جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وخططها في رعاية المكتبات الوقفية بالمملكة العربية السعودية».

واختتمت أعمال الندوة في مساء يوم الخميس السابع والعشرين من شهر المحرم ١٤٢٠هـ بكلمة ألقاها الأستاذ الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، شكر فيها المشاركين والحضور وبيّن أن الوزارة تنوي تكرار تنظيم مثل هذه الندوة في مدن أخرى في السنوات القادمة.

ومن أهم توصيات هذه الندوة:

- أن تتابع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد اهتمامها بالمكتبات التابعة لها، وأن تسعى إلى تطويرها من كل النواحي.
- إنشاء قاعدة معلومات عن الوقف تجمع فيها كل المواضيع ذات الصلة، وبكل اللغات.
- حث الجامعات على أن تدرج في خططها الدراسية مفردات تعنى بالوقف، وتاريخه وأثره في تشييد الحضارة الإسلامية.
- تشجيع الطلاب وحثهم على ارتياد مكتبات الأوقاف والاستفادة من المعلومات التي تقدمها.
- حث القطاع الخاص على الإسهام المباشر في أعمال الوقف، وذلك بإنشاء الشركات الكبرى وصناديق الاستثمار وصرف أرباحها على تمويل مشاريع الأوقاف.

التجربة الروائية لكاتبات الخليج وشبه الجزيرة العربية

تحت رعاية حرم حاكم الشارقة الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي رئيسة مجلس إدارة أندية الفتيات بالشارقة، نظمت رابطة أديبات الإمارات في أندية الفتيات بالشارقة ملتقاها الأدبي السنوي تحت شعار «التجربة الروائية لكاتبات الخليج وشبه الجزيرة العربية»، وذلك في الفترة من ٨ - ١١محرم الماضي - / ٢٤ - ٢٧ أبريل / نيسان ١٩٩٩م.





رمى الملتقى إلى تسليط الضوء على التجربة الإبداعية للرواية في منطقة الخليج، وإيجاد المناخ المناسب على صعيد واحد، وتوثيق العلاقة الإبداعية بين المرأة في هذه المنطقة والتجربة الروائية.

أشارت رئيسة الرابطة شيخة الناخي في كلمتها الافتتاحية إلى أن المرأة العربية أثبتت قدرتها على رصد ما حولها من حركة وتطور فكري وثقافي وحضاري، مما أهلها إلى المبادرة للدخول في بوابات التجارب الفاعلة والإبداعية كالكتابة الروائية، ووصفت هذه الملتقيات الأدبية بأنها جسر تعبر من خلاله المرأة المبدعة نحو الاغتراف من تجارب فكرية إبداعية مماثلة، وتخالط أدبي يكشف خصوصيات الكتابة الإبداعية للمرأة.

وقد استضاف الملتقى عدداً من الأديبات ممن لهن تجارب في الكتابة الروائية في دول الخليج وشبه الجزيرة العربية.

شهد اليوم الأول من الملتقى مناقشة ورقة عمل المؤتمر، وهي: «دلالات المكان في النص الروائي» للكاتبة السعودية الدكتورة خيرية السقاف.

وفي اليوم الثاني قُدّمت فيه ورقتا عمل إحداهما بعنوان: «مضامين الرواية في التجربة القطرية» للكاتبة القطرية الدكتورة دلال خليفة، وهي كاتبة روائية ومسرحية، والورقة الأخرى قدمتها الروائية البحرينية فوزية الرشيد، وكانت بعنوان «المرأة في الكتابة عن المرأة».

أما اليوم الثالث فقد اشتمل أيضًا على ورقتين: كانت الأولى بعنوان «الموروث الشعبي وانعكاسه في العمل الروائي»، للكاتبة العمانية طاهرة بنت عبدالخالق اللواتي،



- ترجمة فرنسية صدرت عام ١٧٧٠م.
- ترجمة هولندية صدرت عام ١٦٩٦م.
- ترجمة فرنسية مميزة في طباعتها صدرت عام ١٩٧٢م.

يعد الدليل مصدراً مهمًا للحصول على المعلومات التي تتعلق بترجمات القرآن الكريم في اللغات الأوربية، وكذلك في تعريف بعض طبعاته في مختلف أنحاء العالم.

وفاة الأديب الكويتي فهد الدويري

توفي في ٧ صفر الماضي (٢٢ مايو/ أيار ١٩٩٩م) الأديب الكويتي فهد يوسف الدويري عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.

وكان الأديب الراحل قد نذر عمره كله لقضايا الأدب والثقافة والإعلام، كما صرح بذلك الدكتور محمد الرميحي - الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

شارك الفقيد في إصدار عدد من المجلات، مثل مجلة الرائد عام ١٩٥٢م بالتعاون مع حمد الرجب وأحمد العدواني، وكان أحد أعلام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وعضواً في مجلس إدارة وكالة الأنباء الكويتية، وقد كان الراحل غزير الإنتاج مشاركًا في الكثير من الإصدارات، مساهماً بفكره وعلمه، وكان يكتب بأكثر من اسم مستعار في العدد الواحد.

لم يقتصر نشاط الدويري على الأدب والثقافة والاعلام فقط، بل كان مهتماً بالسياسة، وقد ناصر سياسة الشيخ سالم المبارك المناهضة للإنجليز فدفع ثلاث سنوات من عمره منفياً في الهند بأمر المقيم الإنجليزي.

جمعية الثقافة والفنون بالباحة تكرم المشري

يقوم فرع جمعية الثقافة والفنون السعودية بتكريم الأديب عبدالعزيز المشري في مسرح إدارة التعليم للبنين بالباحة بوصفه رمزاً من رموز الإبداع الأدبي في المملكة العربية السعودية، وذلك بعد صدور موافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب.

وقد وجه القائمون على هذا الحفل الدعوات إلى الأدباء والمفكرين في داخل المملكة وخارجها للمشاركة في هذه المناسبة، ويتضمن التكريم إصدار كتاب؛ يتناول مشواره الأدبي، إلى جانب ما يتقدم به المشاركون من دراسات نقدية لأعماله.

وفي العدد القادم تفاصيل أوفى لمثول المجلة للطباعة في اليوم المقرر لإقامة هذا الحفل التكريمي.

المؤتمر العربي الأول للشعر بفاس

شهدت مدينة فاس المغربية في ١١ محرم الماضي (٢٧ أبريل/نيسان) عام ١٩٩٩م، وتحت شعار (التواصل الإبداعي) افتتاح المؤتمر الأول للشعر الذي نظمته جمعية فاس - سايس بهدف رد المكانة والقيمة للشعر، وكإحياء قديم دأبت عليه مدينة فاس، وهو احتضان مهرجان الشعر.

شارك في المهرجان الذي استمر حتى ٣٠ من أبريل/نيسان، أكثر من ثمانين شاعراً منهم شعراء من المملكة العربية السعودية، وسورية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، والكويت، والعراق، وقطر، وسلطنة عمان، والأردن، ومصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، وموريتانيا، والمغرب.

وقد حضر المؤتمر عدد من النقاد والمهتمين بالشعر الذين جاؤوا لرصد مسار الشعر العربي والبحث في مختلف أشكاله، وكان بينهم عدد من النقاد العرب المقيمين في أوربا.

ملحق خاص عن علي الطنطاوي

أصدرت صحيفة **الجزيرة** في الخميس ١٢صفر ١٤٢٠هـ / ٢٧ مايو (أيار) ١٩٩٩م ملحقًا خاصًا عن الشيخ علي الطنطاوي أحد الرموز الفكرية والثقافية المؤثرة، والذي عرف على نطاق واسع في المملكة ودول الخليج من خلال برنامجه التلفزيوني (نور وهداية).

وقد اشتمل الملحق على مقالات موجزة، ومطولة وحوارات عن حياة الشيخ وسيرته العلمية، منها حوار مع حفيدته عابدة العظم أوضحت فيه احترام الشيخ الطنطاوي للمرأة، إذ إنه كان في أحاديثه يدافع عن النساء ويذب عنهن ويحذر الرجال من الظلم والتعدي.

وممن شاركوا في الكتابة عن الشيخ في الملحق ناهد باشطح، وإبراهيم التركي، ومحمد الصباغ، وصالح اللحيدان، وأحمد سالم باعطب، وزياد الدريس، وبكر محمد با خيضر، وحصة العمار.

الرطوبة تهدد قصر الحمراء



في إسبانيا شكلت لجنة برئاسة أميليور بيس لإعداد دراسة عن مشكلة تسرب الرطوبة إلى قصر الحمراء الذي يعاني منها منذ وقت طويل لم تحدد أسباب هذا التسرب بشكل قاطع إلى اليوم،وإن كان يرجح أن الأمطار التي تتساقط على المرتفعات القريبة من غرناطة تعد الأساس فيها.

دورة تدريبية عن صناعة المخطوط العربي

ينظم مركز جمعة الماجد بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم دورة تدريبية دولية عن صناعة المخطوط الإسلامي خلال الفترة من الثاني إلى الرابع عشر من شهر أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٩م (٢٢ جمادى الآخرة - ٥ رجب ١٤٢٠هـ)، وتناقش الدورة ١٤ محوراً حول صناعة المخطوط في قضايا الترميم والتجليد والحفظ والمعالجة والفهرسة والتصنيف والتحقيق والحفظ والإتاحة الالكترونية. وسوف يلحق به متدربون من ١٥ دولة تم ترشيحهم من المنظمة الإسلامية إضافة إلى آخرين من المؤسسات والهيئات والمراكز المتخصصة في دول مجلس التعاون.

ونهدف هذه الدورة إلى تنمية مهارات العاملين في أقسام المخطوطات العربية ومراكزها ومساعدتهم على اكتساب خبرات في مجال التعامل مع المخطوط العربي. وهذه الدورة تعد الثانية، إذ سبق لمركز جمعة الماجد أن نظم الدورة الأولى في عام ١٩٩٧م.

بيع قطع أثرية في مزاد علني

أقيم في لندن في ٢٢ أبريل/نيسان ١٩٩٩م، مزاد علني لبيع بعض القطع الأثرية عن طريق شركة SOTHEBY.

شملت القطع التي عرضت للبيع مجموعة من الدراهم الفضية تمثل مراحل مختلفة من العصر الأموي، بالإضافة إلى عملات أخرى عربية وأجنبية، وميداليات، وأوراق مالية، ومخطوطات تحوي آيات قرآنية منذ صدر الإسلام.

اشتمل المزاد أيضًا على رسومات بشرية، ومصنوعات خزفية، وأسلحة، ومجوهرات، وغيرها من الأشياء الأثرية الثمينة.

مهرجان كان السينمائي



مهرجان كان السينمائي الدولي من أبرز الأحداث العالمية في عالم السينما، وقد انتهت مسابقات هذا المهرجان الذي يحمل هذا العام الرقم ٥٢ خلال الأيام الماضية، وأعلنت لجنة التحكيم، التي كانت برئاسة المخرج الكندي ديفيد كرونبرغ عن جوائز المهرجان وعددها ٢٢ جائزة.

وقد فاز بجائزة السعفة الذهبية فيلم «روزيتا» للأخوين لوك وجان بيار داردين من بلجيكا، وفاز بجائزة التمثيل للرجال الممثل إيمانويل شوتيه عن دوره في فيلم «الإنسانية» من إخراج برونو ديمون.

أما جائزة التمثيل النسائي فقد كانت مناصفة بين الممثلتين إيميلي دوكين عن دورها في فيلم «روزيتا» وسيفرين كانيل عن دورها في فيلم «الإنسانية»، وهما وجهان جديدان يظهران أول مرة على الشاشة.

كما فاز الإسباني بدرو المودوفار بجائزة الإخراج عن فيلمه «كل شيء عن أمي»، وكانت الكاميرا الذهبية من نصيب الفيلم الهندي «عرش الموت»، للمخرج مورالي نير.

كانت جائزة المهرجان الكبرى لفيلم (الإنسانية) ومخرجه برونو ديمون، وفاز فيلم

وتشغل وظيفة رئيسة قسم الصحافة والنشر بالمديرية العامة للعلاقات والإعلام التربوي بوزارة التربية والتعليم بالسلطنة، والورقة الثانية كانت بعنوان «تجربتي في الرواية» للكاتبة الكويتية فوزية شويش السالم، وهي شاعرة وروائية وكاتبة مسرحية.

واختتم الملتقى في اليوم الرابع بورقتين، كانت الأولى بعنوان «صورة المرأة في الرواية اليمنية» للكاتبة هدى العطاس التي تعمل في وزارة الثقافة في مكتب عدن، وتناولت الورقة الثانية «تجربة الرواية في الإمارات» للكاتبة الإماراتية أمنيات سالم.

القطاع الخاص الخليجي في ظل العولمة: الفرص والتحديات

تحت رعاية الشيخ الدكتور سلطان بن خليفة آل نهيان، عُقدت في مدينة أبو ظبي ندوة: «القطاع الخاص الخليجي في ظل العولمة: الفرص والتحديات»، خلال الفترة من ٤ - ٥ محرم الماضي /٢٠ - ٢١ أبريل / نيسان ١٩٩٩م.

عقدت هذه الندوة لأهمية العولمة بوصفها قضية إستراتيجية أثرت وتؤثر في معظم اقتصاديات دول العالم، ولما تمثله دول مجلس التعاون الخليجي من ثقل تجاري كبير، فإن تأثرها بالعولمة سيكون كبيراً، ولاسيما قطاعها الخاص الذي بدأ ينمو بما يجعله مؤهلاً لقيادة عملية النمو والتنمية الاقتصادية في دول مجلس التعاون خلال القرن القادم.

تناولت الندوة تعريف طبيعة العولمة، وآثارها المتوقعة في اقتصاديات القطاع الخاص الخليجي، كما ناقشت السياسة الاقتصادية الخليجية، وطالبت بإستراتيجية موحّدة لدول المجلس.

وانصبت الكلمات الافتتاحية على ضرورة تسريع التكامل الاقتصادي بين دول المجلس، واتباع سياسات أكثر انفتاحًا لدعم أداء الاقتصاد الخاص، وضرورة التعاون والتكاتف بين القطاعين العام والخاص في دول المجلس.



ناقشت الندوة - خلال خمس جلسات عمل على مدى يومين - كثيراً من المسائل المرتبطة بالعولمة، كمفاهيم العولمة ومتطلباتها، وتأثيراتها في قطاع التجارة والصناعة والزراعة في دول مجلس التعاون الخليجي، وتأثيرها في القطاع المصرفي، ودور الغرف التجارية، وإعادة هيكلة القطاع الخاص في ظل العولمة.

خلصت الندوة في ختامها إلى عدد من التوصيات منها: التعامل مع العولمة بواقعية وموضوعية بوصفها أمراً واقعاً، والإسراع في قيام سوق خليجية مشتركة وصولاً إلى الوحدة الاقتصادية الشاملة مع العمل على وضع سياسات ملائمة للصادرات الخليجية وتنويعها.

كما أوصت اللجنة بهيكلة القطاع الخاص الخليجي لكي يستطيع القيام بدوره في مسيرة التنمية الاقتصادية، وأكدت الندوة أهمية الغرف التجارية في قيادة مسيرة القطاع الخاص، وطالبت برفع كفاءتها من خلال مشاركتها في أعمال اللجان الوزارية ذات العلاقة بالشؤون الاقتصادية.

وأوصت كذلك بتبني إستراتيجية موحّدة لنقل التقنية (التكنولوجيا) الحديثة وتوطينها، والاهتمام بنظم الجودة والمواصفات والمقاييس في عملية الإنتاج السلعي والخدمي وتطبيق قوانين حماية البيئة، كما دعت الندوة إلى الاهتمام بتنمية القوى البشرية الخليجية مع إعطاء دور أكبر للقطاع الخاص للمشاركة في وضع البرامج التدريبية التأهيلية للموارد البشرية المواطنة في دول المجلس وتنفيذها.

«الرسالة» للمخرج البرتغالي مانويل دي أوليفيرا بجائزة لجنة التحكيم، كما نال مصمم الديكور توجاها الجائزة الفنية الكبرى عن فيلم «الإمبراطور القاتل»، للمخرج الصيني شين كيج.

ونال جائزة السيناريو يوري أرابوف وماريا كورينيفا عن فيلم «مولوك»، للمخرج الروسي ألكسندر سوكوروف.

أما جائزة السعفة الذهبية للفيلم القصير فقد فاز بها فيلم «عندما يبزغ الفجر» للمخرجين الكنديين لويندي تيلبي وأماندا فوربيس، وكانت جائزة التحكيم للفيلم القصير مناصفة بين «ستوب» للفرنسي رودولف ماركوني، و«النزهة» للكوري الجنوبي سونغ إيلفون. وأحدثت هذه الجوائز ضجة كبيرة في ختام المهرجان لعدم فوز عدد كبير من المخرجين والممثلين البارزين الذين شاركوا بأفلام مميزة في هذا المهرجان.

شقيق ديانا
يشتري أصل «شمعة في مهب الريح»

أقامت دار سوثبيز للمزادات في لندن مزاداً علنياً لبيع النص الأصلي لأغنية «شمعة في مهب الريح»، والتي صاغ كلماتها المغني التون جون من أجل الأميرة الراحلة ديانا.

وقد سجل هذا النص أول مرة تكريماً للممثلة مارلين مونرو، وأعيد توزيع اللحن بعد موت الأميرة ديانا تكريماً لها.

دفع الكونت تشارلز سبنسر - شقيق الأميرة الراحلة - مبلغ ٢٥٥٠٠ دولار ثمناً لهذا الأصل المكتوب بخط اليد والموقع عليه باسم التون جون وجورج مارتن المنتج السابق لفرقة البيتلز.

وقد أنشد التون جون القصيدة قبل تسجيلها على أسطوانة خلال دفن الأميرة الراحلة، وبعد طبعها على أسطوانة بيع منها ٣٣ مليون نسخة بقيمة قدرت بنحو ٩٥ مليون دولار محطمة بذلك أكبر رقم لبيع أسطوانة عبر التاريخ.

وقد خصص هذا المبلغ لدعم صندوق الأميرة ديانا الذي أنشئ بعد وفاتها لتوزيع الهبات.

رسائل غرامية للبيع

تنوي جويس مايناراد بيع الرسائل الغرامية التي يبلغ عددها أربع عشرة رسالة التي كانت متبادلة بينها وبين الروائي الأمريكي المعتزل الشهير جي. دي. سالنجر.

وكان سبب العلاقة بينهما موضوع نشرته ماينارد - عن مشكلات جيلها - في مجلة «نيويوركر»، ونشرت المجلة صورتها على الغلاف، وجذبت تلك الصور الروائي الأسطورة الذي صار يكتب إليها من عزلته.

واستمرت الخطابات بينهما حتى قررت ماينارد - على الرغم من معارضة الأسرة - ترك دراستها والعيش معه، ومع أن العلاقة بينهما لم تتجاوز تسعة أشهر لكنها تركت أثراً بالغاً في ماينارد التي نشرت كتابا العام الماضي بعد مضي ربع قرن على انتهاء هذه العلاقة.

احتفالات بستينية شيموس هيني



تحتفل الأوساط الأدبية هذه الأيام بمرور ستين عاماً على ميلاد الشاعر الإيرلندي شيموس هيني الذي نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٥م.

وقد رُشح هذا الشاعر ليكون شاعراً للبلاط البريطاني خلفاً لصديقه الراحل تيد هيوز، ولكنه اعتذر عن هذه المهمة، بل أكد أنه سوف يترك كرسيه الذي يشغله في جامعة أكسفورد ليتفرغ لكتابة الشعر.

لكن السبب الحقيقي لهذا الموقف هو رفضه للصراع الدامي بين البروتستانت والكاثوليك، وقد رفض - وهو الكاثوليكي - أن ينضم إلى أيٍ من الطرفين.

واعترف بشيموس شاعراً عالمياً منذ وقت مبكر بعد أن عدّه الشاعر الأمريكي الذائع الصيت روبرت يومل أهم شاعر إيرلندي بعد يتيس.



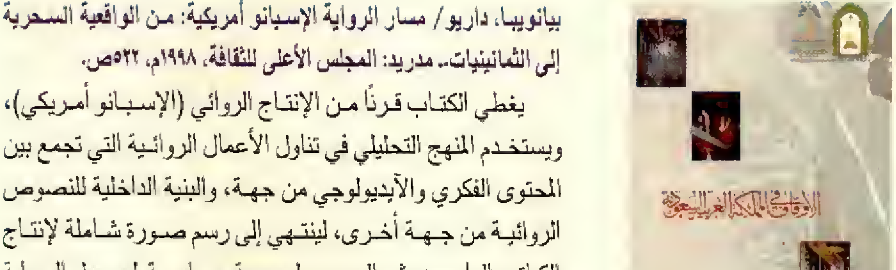
«الأوقاف في المملكة العربية السعودية»، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية،١٤٢٠هـ،١٣٤ص.

يحتوي الإصدار على ثلاثة أبواب، تحدث الباب الأول عن معنى الوقف ومشروعيته، متناولاً شروط الواقف وما يجري على الوقف من تصرفات، وأحكام تصرفات الناظر، ثم الولاية على الوقف.

أما الباب الثاني فقد كان عن الوقف وتجارب الأمم والحضارات الأخرى، وأثر الوقف في بناء الحياة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، ثم تاريخ الأوقاف في المملكة العربية السعودية.

وتناول الباب الثالث دور الوقف في تنمية الحياة الاجتماعية، ونظرة في مفهوم الإسلام للتنمية ومجالات ذلك، ثم رعاية الأوقاف في العصر الحاضر، والوقف في المملكة العربية السعودية.

تضمن الإصدار كثيراً من الصور الملونة لمنشآت الأوقاف في أنحاء المملكة العربية السعودية المختلفة، ثم ختم الإصدار بعدد من الملحقات الخاصة بالأوقاف في المملكة.



الشوكاني، محمد بن علي/ أدب الطلب ومنتهى الأرب، تحقيق عبدالله ابن يحيى السريحي.. صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٩٤ص.

التزم المؤلف وهو يعرض موضوعات هذا الكتاب المنهج العلمي الذي يدعو إليه ـ باستثناء بعض التجاوزات أو الشطحات القليلة ـ فهو يشخّص المشكلة ويحددها بدقة، ثم يعمل بعد ذلك على تحديد أسبابها، ومن ثم يقدم الحلول التي يراها من وجهة نظره مناسبة لحلها.

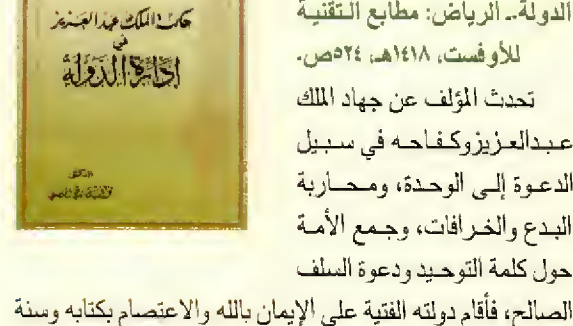
وقد دعا المؤلف إلى نبذ التقليد والتعصب للأشخاص والآراء والمذاهب «لأن في التقليد إبطال منفعة العقل»، وهو يدعو إلى الاجتهاد وتحرير العقل.

وقد حدد المؤلف معايير التزام الباحث الموضوعية، وتحرره من التعصب بعدم مخالفة الدليل، وعدم قبول أي رأي أو فكر دون تفكير وتمحيص ونقد أو رفضه المسبق، ثم اعتماد الباحث في كل علم على أهله، والرجوع إلى مصادره الأساسية.

بيانوبيا، داريو/ مسار الرواية الإسبانو أمريكية: من الواقعية السحرية إلى الثمانينيات.. مدريد: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م، ٥٢٢ص.

يغطي الكتاب قرناً من الإنتاج الروائي (الإسبانو أمريكي)، ويستخدم المنهج التحليلي في تناول الأعمال الروائية التي تجمع بين المحتوى الفكري والآيديولوجي من جهة، والبنية الداخلية للنصوص الروائية من جهة أخرى، لينتهي إلى رسم صورة شاملة لإنتاج الكاتب الواحد، ثم إلى رسم لوحة عامة لمجمل الرواية (الإسبانوأمريكية) في الفترة التي يتناولها. بالإضافة إلى أن الكاتبين استهلا دراستهما بمقدمة وافية لمراحل تطور الرواية في أمريكا الإسبانية في الحقبة المذكورة، مع استعراض نظري للظواهر التي صاحبت أو شكّلت ما يعرف اليوم بالواقعية السحرية أو العجائبية.

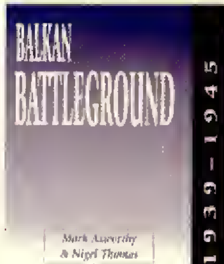




الحليسي، نواف بن صالح/ حكمة الملك عبدالعزيز في إدارة الدولة.. الرياض: مطابع التقنية للأوفست، ١٤١٨هـ، ٥٢٤ص.

تحدث المؤلف عن جهاد الملك عبدالعزيزوكفاحه في سبيل الدعوة إلى الوحدة، ومحاربة البدع والخرافات، وجمع الأمة حول كلمة التوحيد ودعوة السلف الصالح، فأقام دولته الفتية على الإيمان بالله والاعتصام بكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. ثم تحدث عن عبقرية الملك المؤسس في إدارة هذه الدولة في كل النواحي.

يقع الكتاب في ثمانية مباحث تناولت أقوال الملك عبدالعزيز وأفعاله في التخطيط لإدارة الدولة، وصفات الملك عبدالعزيز آل سعود رجل الدولة، ومنهج الملك عبدالعزيز وأعماله لإدارة الدولة، ومشاهد تطبيقية من رجال كانوا مع الملك عبدالعزيز، وأعمال الملك عبدالعزيز ومنهجه الإداري في علوم الدولة، وحكمة الملك عبدالعزيز ومنهجه المالي والاقتصادي لعلوم الدولة، وعبقرية الملك عبدالعزيز ومنهجه التخطيطي لإدارة الدولة عند تأسيس الدولة السعودية، وإدارة الملك عبدالعزيز في بناء قاعدة الدولة الحديثة.



إكسورثي، مارك/ البلقان ساحة قتال ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م.. كندا، ٢٥٦ص.

تعد منطقة البلقان منذ فترة طويلة بؤرة لصراع مرير ومعقد، لما فيها من تعدد الأعراق والأجناس، فكانت أن انطلقت منها شرارة الحرب العالمية

الأولى، ونتيجة لهذه التوترات أصبحت منطقة البلقان تهدد السلام في القارة الأوربية، بل كانت من أهم مسارح القتال خلال الحرب العالمية الثانية.

هذا الكتاب الذي اهتم بهذا الموضوع جاء في ثلاثة أجزاء:

- يغطي الجزء الأول منه الأحوال في هذه المنطقة خلال عامي (١٩٤٠ - ١٩٤١م).

- والجزء الثاني يغطي الفترة من (١٩٤١ - ١٩٤٤م).

وفي ختام الكتاب وهو الجزء الثالث رسوم تغطي مسارات الحرب خلال الفترة (١٩٤٤ - ١٩٤٥م) وتوضح النتائج التي أفضت إليها.



بافقيه، حسين محمد / الجوائز الأدبية: الحدود والأقنعة - أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١٥١ص.

يتناول الكتاب أشكال الجائزة في التراث العربي الإسلامي، وفي العالم المعاصر، وتناول الكاتب الجوائز الثقافية في الوطن العربي، وخص بالتفصيل المملكة العربية السعودية.

ثم تناول جائزة نوبل، وعدد الدول التي فازت بها، وعقد موازنة بين الجائزة الأدبية في الوطن العربي، وفي الغرب، وبين الفرق بينهما.

ويرى الكاتب في الخاتمة أن الجوائز يمكن أن تسهم في إغناء مستقبل الثقافة في البلاد إذا وُظفت بطريقة معينة، ذكرها.

القاسمي، سلطان بن محمد / رسالة زعماء الصومال إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي ١٨٣٧م - الشارقة: الخليج للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٩٦م، ٤٧ص.

الكتاب مخطوطة محققة لرسالة زعماء الصومال إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، يطلبون فيها أن يتملك عليهم، ويضم ملكهم إلى ملكه.

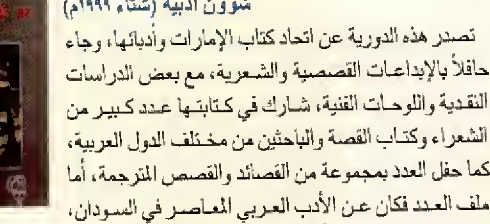
كُتبت الرسالة في عام ١٨٣٧م، وقد بيّن المحقق الأسباب التي دعت زعماء الصومال إلى كتابة تلك الرسالة، والأسباب التي حالت دون تحقيق الشيخ سلطان رغبة زعماء الصومال.

عالم الكتب

(المحرم/صفر ١٤٢٠ - مايو / يونيو - أيار / حزيران ١٩٩٩م)

حفل العدد بعدد من الموضوعات المتنوعة، ففي مجال الدراسات جاء فيها: بين العلامة نعمان الألوسي والعلامة جمال الدين الدمشقي، والإنتاج الفكري لأعضاء هيئة التدريس السعوديين بجامعة أم القرى.

أما في مجال المراجعات فقد جاء فيها موضوعات عن الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، وديوان الإمام عبدالله بن المبارك، وكتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني، بالإضافة إلى عرض بعض الدوريات والكتب التي صدرت حديثاً.



شؤون أدبية (شتاء ١٩٩٩م)

تصدر هذه الدورية عن اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها، وجاء حافلاً بالإبداعات القصصية والشعرية، مع بعض الدراسات النقدية واللوحات الفنية، شارك في كتابتها عدد كبير من الشعراء وكتاب القصة والباحثين من مختلف الدول العربية، كما حفل العدد بمجموعة من القصائد والقصص المترجمة، أما ملف العدد فكان عن الأدب العربي المعاصر في السودان، وتضمن قصائد وقصصاً قصيرة لمجموعة كبيرة من المبدعين السودانيين المخضرمين أمثال الأدباء محيي الدين فارس، ومصطفى سند، ومحمد المكي إبراهيم، وكمال الجزولي، وبشرى الفاضل، وعيسى الحلو، إلى جانب إبداعات بعض الشباب، وجاء في تصدير الملف أنه غير مكتمل ولا يعطي صورة متكاملة لحالة الساحة الأدبية السودانية، إلا أنه يعطي صورة ما لحركة الأدب في السودان.



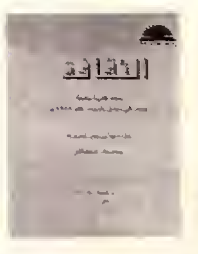


الثقافة العالمية

(المحرم/صفر ١٤٢٠هـ - مايو/يونيو - أيار/ حزيران ١٩٩٩م)

تصدر هذه الدورية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، وهي تختص بالموضوعات المترجمة عن اللغات الأجنبية.

وجاء هذا العدد محتوياً على كثير من الموضوعات، كالأزمة الآسيوية وصندوق النقد الدولي، والتناقضات الاجتماعية للرأسمالية اليابانية، والمسألة اليهودية في روسيا، وغير ذلك من المواضيع، بالإضافة إلى الأبواب الثابتة.



الثقافة (ذو الحجة ١٤١٩هـ - مارس /أذار ١٩٩٩م)

خصصت مجلة الثقافة الدمشقية العدد للقصة السعودية، وأوردت ٢٥ عملاً قصصياً لأدباء وأديبات سعوديين مع دراسة نقدية في مقدمة المجلة بعنوان: «المنعطف الفني في الرواية السعودية»، كتبها الدكتور سلطان القحطاني.

وهذه المجلة التي تصدر منذ أربعين عاماً تحاول رصد الحركة الأدبية في الوطن العربي، ودرجت على إصدار أعداد خاصة بالتعريف بالأدب والأدباء في كل قطر عربي.



الأكاديمية (العدد ١٥، ١٩٩٨م)

تصدر هذه الدورية عن أكاديمية المملكة المغربية، وخصص العدد الخامس عشر منها لموضوعات تتناول المورسكيين في المغرب، ومن البحوث التي تضمنها العدد (المغرب مهاجر الأندلسيين) لمحمد بنشريفة، و(من الهجرة إلى التهجير) لعبد الوهاب بن منصور، و(الأندلسيون لا الموريسكيون) لعبدالعزيز بنعبدالله.. و(صور من تطوان الغرناطية) لأمينة اللوه.. البحوث التي يضمها العدد متميزة في الطرح وتضم معلومات جديدة ومفيدة.

مصحف نادر

في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



اقتنى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مصحفاً نادراً، وهو مصحف متميز في خطه وجلده، فقد كتب بخط النسخ الجميل المشكول على ورق مشرقي خفيف في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الهجري تقريباً مقاسه ٥ر٣٣ × ٢٣سم ومسطرته ٩ أسطر ويقع في ٥٠٤ ورقات.

كتب النص القرآني في الأوراق الأولى من سورة الفاتحة وبداية البقرة، وكذلك الورقتان الأخيرتان منه، وسط جداول متوازية مذهبة يحيط بها جداول عريضة مزينة من داخلها بالرسوم الوردية الملونة بألوان زاهية كالأزرق والأحمر على أرضية مذهبة.

وكتب النص القرآني في باقي المصحف بالحبر الأسود، وسط جداول بداخلها رسوم بماء الذهب على هيئة أغصان أو فروع شجر.

وقد وضعت الفواصل بين الآيات القرآنية على هيئة كرة مذهبة بداخلها نقطة حمراء. وكتب أسفل النص القرآني في كل سطر ترجمة معانيه باللغة الفارسية بخط نستعليق دقيق وحبر أحمر.

وقد حليت جوانب صفحات المخطوط خصوصاً في أوله وآخره وصفحاته في وسطها وزواياها بمثلثات بداخلها وردية ملونة على أرضية





مـذهبـة. أمـا في وسط المخطوط، فـتـمـيـز عند علامـة الجزء والربع بكرة مـذهبـة يحيط بـهـا ألوان زاهيـة، وكـتب أعـلاه اسم الجـزء أو الربـع بالحـبـر الأحمر. كما كتب اسم كل سورة على حافة صفحاتها اليـسـرى كلهـا بـالحـبـر الأحمر.



أما الجلد، فالمخطوط مـحـاط بنوعين من الجلد الأول بـغـلاف داخلي خفيف من الجلد الطبيعي البني الداكن عليه أشكال هندسية على هيئة مربعات ومثلثات وشبه منحرف، ودوائر بداخلها رسوم وردية وزهرية مضغوطة، وكتب بداخلها بطريقة رأسية وأفقيـة عـبارة «العز الدائم والإقبال بالعلم والكمال» بحـروف بارزة بخط نستعليق، وقد امتد هذا الغلاف ليشمل ظهر الجلد الخارجي من الداخل.

أما الجلد الخـارجي، فهـو جلد طبيـعي بني داكن اللون ذو غطاء يلتف به، وصمم على هيئـة لوحة فنية رائعة فيما يعرف بفن الأرابيسك، بداخلها رسوم وأشكال هندسية مثل المربع والمثلث وشبـه المنحـرف والمستطيل، تحدها خطوط غـائرة، وفي وسطهـا نقط مذهبة ويحيط بهذه اللوحة جـداول بـداخلهـا رسـوم دائرية بارزة وغائرة.

أمـا مـا يحـيط به من حاشية فهي مختصر من تفسيـر الكـاشـفي المسمى بالتفسير الحسيني الذي تمّ تأليفه في غـرة محـرم سنة ٨٩٧هـ، وأهـداه مـؤلفـه للسلطان عـضـد الدولة سلطان المملكة الخـاقـانية. ومـؤلف التفسـير هو حـسين بن علي الكاشـفي البيـهـقي الشـهير بالواعظ الهـروي السـبـزواري (ت ٩١٠هـ)(١)، نسبة إلى مـدينة سـبزوارة، التـي هاجر منهـا إلى مدينة هراة بأفغانستان، حيث لازم سلطانها (الأمير علي).

١. كـحـالـة: مـعـجم المؤلفين ٣٤/٤، الموسـوي: روضـات الجنات ٢٥٥، ٢٥٦، البغدادي: هدية العارفين ٣١٦/١